

Princeton University Library



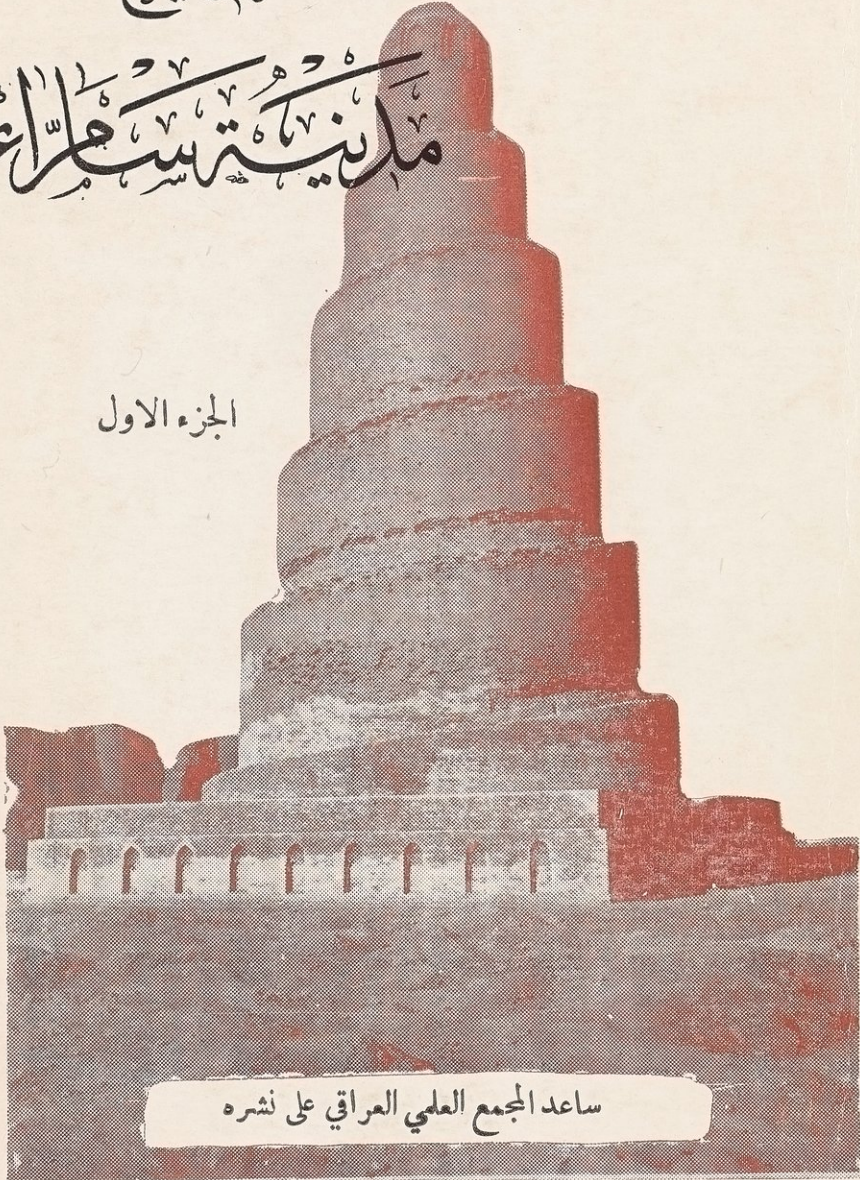
32101 074323070

يونس شيخ ابراهيم السامرائي

تاريخ

مدينة تكريت

الجزء الاول



ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره

١٩٦٨ - ١٣٨٨ هـ

al-Samarra'i, Yunus Ibrāhīm

تاريخ مدينة سامراء

Tārīkh madīnat Sāmarrā'

تأليف

يونس شيخ إبراهيم النياماني

صاحب مجلة صوت الاسلام

الجزء الاول

﴿ الطبعة الاولى ﴾

حقوق الطبع محفوظة

ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه

تاريخ

2274
79996
3885

مكتبة

v.1

الاهداء

الى اهل افغانىستان واهل عمومىتى ابنا واهل امراء
اليهم جميعاً اهدى كتابى هذا

الشيخ يونس السامرائى

10-15-68

1948

• فالمستفاد

لقد كان هذا الكتاب

من الكتب التي

كانت

المقدمة

بقلم : الاستاذ الكبير اليعاقبة كوركييس عواد

لم يشهد التاريخ مدينة أنشئت وازدهرت وعلا شأنها في مضاري الرقي وال عمران ، ثم لم تلبث أن خبا نورها بعد زمن يُعد قصيراً جداً في حياة المدن . فاستولى عليها الخراب والدمار ، على نحو ما حصل لمدينة « سامراء » .

ذلك ان الخليفة العباسي الثامن ، المعتصم بالله ، بعد أن أفلقه أمر الإقامة في بغداد عاصمة الدولة العباسية ، وصعب عليه البقاء فيها لأسباب سياسية واجتماعية لا مجال لذكرها هاهنا ، راح يفكر في إنشاء مدينة أخرى ، يتخذ منها مقراً للملكة . فوقع اختياره ، بعد التجوال والتحري ، على موضع سامراء ، لما رآه فيه من مزايا ومحاسن آثره معها على غيره من المواضع التي ارتادها . فأمر بالتخطيط والبناء ، وسار العمل في ذلك بسرعة وإتقان عجيبين ، حتى تكامل البناء . فانتقل اليها مع جيشه ورجال دولته ، وكان ذلك في سنة ٢٢١هـ (٨٣٦م) ثم تلاه في الإقامة فيها ، سبعة آخرون ممن تولى الحكم بعده من خلفاء بني العباس وهم : الواثق ، والمتوكل ، والمنتصر ، والمستعين ، والمعتز ، والمهتدي ، وآخرهم المعتمد ، الذي أمضى فترة من أيام خلافته فيها ، ثم هجرها في سنة ٢٧٩هـ (٨٩٢م) ، وعاد الى بغداد ، العاصمة القديمة .

وهكذا ، دام مجد سامراء العباسية ، زهاء نصف قرن من الزمان . وبعد أن فقدت مكانتها السياسية ، فقدت معها كل شيء . فسرعان ما انهار كيانهما

وتقوض عمرانها وآلت الى الخراب ، فاضحت مباني تلك المدينة الفخمة
أطالاً دارسة .

ولابد من الاشارة الى ان المعتصم ، إذا عُدَّ مؤسساً لمدينة سامراء ، فان
المتوكل ، ابنه ، كان قد اضى على المدينة بهاء ورونقاً ، بما شيده في مختلف أنحائها
من « قصور » عظيمة الشأن ، جمعت بين مباحج الحياة ورواء الصنعة وجمال
الرياسة وكمال الاناقة . ولكن تلك العمارات الباذخة ، لا تعدو أن تكون اليوم
خرائب وتولواً أثرية أو قل انها أصبحت أثراً بعد عين .

وعلى غرار ما نجاهه في كثير من المدن الاسلامية المنذرثة ، قام في جوار
سامراء ، بلدة ثانية عرفت بسامراء أيضاً . وهذه الأخيرة ما زالت قائمة عامرة
في جنوبي أطال سامراء العباسية .

تلك المدينة الدائرة ، وهذه المدينة العامرة ، هما موضوع الكتاب الذي عني
الاستاذ البحاثة الجليل يونس الشيخ ابراهيم السامرائي بتأليفه .

والاستاذ الشيخ يونس السامرائي ، ممن أنجبته هذه المدينة ، وهو ابن وفيّ
من أبنائها . وقف نفسه على خدمة هذه المدينة العظيمة الشأن في التاريخ الاسلامي
فصنف فيها التصانيف النفيسة . وكلها مؤلفات قيمة نافعة ، طُبع بعضها ، وما
زال بعضها الآخر ينتظر دوره في النشر . فما طبع من مؤلفاته التي تدخل في
هذا الباب : « دليل سامراء » ، و « تاريخ عشائر سامراء » ، و « الالعب
الشعبية لصبيان سامراء » ، و « السكنيات العامية في سامراء » ، و « تاريخ
علماء سامراء » ، و « مرآة الأئمة والاولياء في سامراء » . كما أصدر مجلة
« سامراء » الحافلة بالموضوعات المختلفة عن هذه المدينة في دورها القديم والحديث .

وللاستاذ الشيخ يونس ، مؤلفات اخرى عديدة ، ما زالت مخطوطة ، تفضل
فاطلعني عليها . وهي تتناول شؤوننا مختلفة من ماضي هذه المدينة وحاضرها .
ولعله يوفق لنشرها في وقت قريب إن شاء الله .

وهذا الكتاب الذي يقدم المؤلف الفاضل الجزء الاول منه اليوم لقراءه ،
هو أحد تلك التصانيف التي تحفى لتأليفها ، باذلاً في سبيل جمعه وتصنيفه كل
غال ونفيس ، لا يثنيه عن ذلك تعب ، ولا يقف في سبيله جهد أو كلل . فرجع
في إعداده الى أمهات المصادر العربية التي تطرقت الى هذا الموضوع ، وفيها القديم
والحديث . كما استعان بكثير مما دونه الباحثون الغربيون عن مدينة سامراء ،
وبينهم المؤرخ والنقب الآثاري والرحالة .

ولست الآن في سبيل التعريف بما صنعه المؤلف الفاضل في كتابه ، بل
سأدع هذا الأمر له كي يحدث قراءه بما انتهى اليه من جوانب هذا الموضوع
الطريف ، الذي سيستمعون بما حواه من فوائد تاريخية وبلدانية وأدبية .

كلمة المؤلف

مدينة سامراء من المدن المهمة في العراق حيث كانت بالأمس عاصمة الدولة العباسية وهي اليوم احدى المدن المقدسة يؤمها الزوار والسياح من مختلف أنحاء العالم اما زيارة مرقد الامامين العظيمين علي الهادي وولده الحسن العسكري رضي الله عنهما واما للاطلاع على المعالم الأثرية العربية العباسية الخالدة العظيمة التي لا تزال اعجوبة اهل الدنيا امثال الملوية ومنارة ابي دلف ودار العامة وقصر العاشق والمنقور وقبة الصليبية وتل العليق وغيرها من الآثار التي لا تزال ماثلة للعيان .

واما للترويض عن النفس في البلد الذي عشقه الزوار لطيب هوائه وعدوبة مائه وقلة دائه وفي ذلك يقول الامام علي الهادي (أخرجت الى سر من رأى كرهاً ولو اخرجت منها لخرجت كرهاً لطيب هوائها وعدوبة مائها وقلة دائها) وهي البلد العربي الأصيل الذي وقف ردها طويلا من العصور بوجهه الشعبية واعداء الاسلام فمنه انطلقت جحافل الشهامة والنجدة بقيادة بطلمها المعتصم بن هارون الرشيد لتأديب امراء عمورية والانتصار للمرأة العربية ومنه انطلقت جحافل العروبة والاسلام في زحفها المقدس بقيادة زعيمها المعتمد الخليفة العباسي اتمحبر البصرة من ظلم الزنج الذين عاثوا في الارض فساداً وعلى أرضها الطيبة درج الفلاسفة والعباقرة امثال السكندي والبحثري وابن المعتز والصولي . وفيها تربي الفصحاء والادباء والفقهاء والشعراء امثال ابي تمام وعلي بن الجهم والجاحظ

وابن السكيت والبوطي ، وبهذا يجوز لنا أن نقول بحق ان سامراء ذخيرة التاريخ
وكنز البطولة ومرتع العلم والفروسية والامجاد ومفرق هام الشهامة والاباء وسحر
الأدب والمعقربة فاذا افتخر الرومانيون بمدنيتهم (روما) واذا تبجح الباهليون
بعروس الشرق (بابل) التي تفننوا فيها حتى اقاموا لها الجنائن المعلقة . وإذا
افتخر الاكاسرة بطيسفون والمناذرة بالحيرة فخليق بنا أن نفتخر بمدنيتنا الخالدة
(سامراء) التي كانت احدوثة الزمان في هاتيك الايام اذلا يعرف في الدنيا
مدينة اتسع عمرانها في بضع سنوات كما اتسع عمران مدينة سامراء .

وما أبناء سامراء اليوم الا أحفاد اولئك العرب الغر الميامين الذين دوخوا
الدنيا بطولاتهم وفتوحاتهم . ومن السلالة الهاشمية الرفيعة ، وأنسابهم التي
يحتفظون بها تثبت ذلك وهو واضح ومعلوم لدى الناس وضوح الشمس
في رابعة النهار .

ولما لهذه المدينة من ماض مجيد وتاريخ تليد ومكانة مرموقة عزمت
متوكلاً على الله على أن أضع مؤلفاً يشمل تاريخ مدينة سامراء قديماً وحديثاً
وقد انتهيت الى وضع كتاب في ثلاثة أجزاء وقد سميت (تاريخ مدينة سامراء)
وهذا هو الجزء الأول وقد شمل العهد العباسي في سر من رأى وما قبله من
القرون والاحداث .

وها هو الكتاب اقدمه خدمة متواضعة لبلدي فاذا كنت قد
وفيته حقه على الوجه الاكمل فهذا ما ارجوه وأتمناه وان كان غير ذلك
فالكامل لله وحده .

وختاماً لا يسعني إلا أن اسجل شكري وتقديري للذين ابدوا إلي

التوجيهات والملاحظات القيمة وأخص بالذكر منهم الدكتور مصطفى جواد
والدكتور ابراهيم شوكة والدكتور يوسف عز الدين والاستاذ كوركيس عواد
والأستاذ سالم الآلوسي والاستاذ عبد الحميد العلوجي وغيرهم كثيرون لا مجال
لذكرهم راجياً من الله أن يجزيهم عنا خير الجزاء انه سميع مجيب .

الشيخ يونس السامرائي



موقع سامراء الجغرافي

تقع مدينة سامراء الحالية على ضفة نهر دجلة اليسرى شمال مدينة بغداد عاصمة العراق على بعد (١٣٠) كيلومتراً بالطريق البري و (١٧٥) كيلومتراً عن بغداد بطريق النهر وهي مبنية الآن على أطلال مدينة (سر من رأى) العباسية : والأخيرة كانت تمتد على طول نهر دجلة الى مسافة بعيدة نحو تسعة كيلومترات تقريباً جنوبي المدينة الحالية وحوالي الخمسة والعشرين كيلومتراً شمالها أي ان مجموع طولها يبلغ زهاء (٣٥) كيلومتر ، أما عرضها فيتراوح بين الـ١٠ كيلومترات والاربعة كيلومترات أي بمعدل ثلاثة كيلومترات وعلى هذا الاساس يمكن تقدير مساحة مدينة سامراء العباسية بحوالي مائة وعشرة كيلومترات مربعة، وإذا اضيف الى هذه المساحة مساحة حديقة حيوانات المتوكل (حير المتوكل) التي تقع في أقصى الحدود الجنوبية وهي نحو خمسين كيلومتراً مربعاً ، وكذلك مساحة منطقة القادسية الواقعة بجوار الحديقة المذكورة ، وهي حوالي سبعة كيلومترات مربعة ، جاز لنا أن (١) نقدر مساحة سامراء العباسية بحوالي (١٦٧) كيلومتراً مربعاً ، ولو اضيف الى ذلك مساحة معسكر الاصطبلات القائم على ضفة نهر دجلة اليمنى وهي حوالي (٥٨) كيلومتراً مربعاً ، أمسكنا اعتبار مجموع مساحة سامراء العباسية (٢٢٥) كيلومتراً مربعاً ، أي ما يقرب من (٩٠٠٠٠) دونم مشاركة : هذا عدا مشتملات المدينة من بساتين وحدائق وقصور على الجانب

(١) ري سامراء ج ١ ص ٤٦ - ٤٧ .

الايمن من نهر دجلة وهي المشتملات التي تقع بين نهر دجلة ونهر الاسحاق والتي تمتد على طول ضفة دجلة الغربية مقابل (سر من رأى) ولاشك أن هذه المساحة الكبيرة تجعل مدينة (سر من رأى) في عداد اكبر مدن العالمين القديم والحديث وهذا ما حمل ياقوت الحموي على القول بأنها (صارت أعظم بلاد الله) والقزويني على الحكم بأنه (لم يكن في الأرض أحسن ولا أجمل ولا اوسع ملكاً منها) واذا ما لاحظنا ان مساحة مدينة القاهرة بما فيها مصر الجديدة ، وهي اكبر عاصمة في الوطن العربي في الوقت الحاضر حيث يبلغ عدد سكانها قرابة أربعة ملايين نسمة لا تزيد على (٤٠٠.٠٠٠) فدان مصري (٦٧٠.٠٠٠) دونم عراقي وان مدينة بغداد الحالية لا تزيد مساحتها على الستين كيلومتراً مربعاً (٢٤٠.٠٠٠) دونم عراقي يتضح لنا ما كان لمدينة سر من رأى من اتساع من حيث المساحة ومن حيث عدد السكان .

أما سامراء الحالية فيبلغ طولها نحو اربعة كيلومترات وعرضها كذلك وهي مبنية في الوقت الحاضر على الطراز الحديث، ولمدينة سامراء منزلة جلييلة في نفوس العرب والمسلمين حيث يوجد فيها رفات آل النبي الاطهار وهم الامام علي الهادي وولده حسن العسكري رضي الله عنهما في وسط صحن كبير وطلّى قبته بالذهب السلطان ناصر الدين شاه في عام (١٢٨٥ هـ) كما هو مدون على اربعة اركان القبة ، وكان الامام علي الهادي رضي الله عنه يسكن سامراء في أيام جعفر المتوكل فلما توفي سنة (٢٥٤ هـ) دفن في بيته ، ولما توفي الحسن العسكري رضي الله عنه سنة (٢٦٠ هـ) دفن الى جواره . وقد انشأ الحضرة في حدود عام (١٢٠٠)

للهجرة اخوة ثلاثة من أهل خوي وسلماس ورومية وكنف الانشاء والتعمير
برعاية الحاج مرزة محمد السلماس المتوفى في سنة (١٢١٩) والى جانب هذين
الضربين يشاهد سرداب الغيبة ، وهذا السرداب معروف بغيبة المهدي وفيه
باب خشبي جميل من عهد الخليفة العباسي أحمد الناصر لدين الله (٨٦٠٦ - ١٢٠٦ م)
وقد مضى على صنعه عدة قرون . وهناك آثار عباسية لا تزال ماثلة للعيان سوف
نتكلم عنها إن شاء الله في هذا الكتاب .



سامراء قبل الفتح العربي

لا يمكننا تحديد تاريخ مدينة سامراء بزمان معين إلا أن كثيراً من الأدلة الثابتة تؤكد على أن هذه المدينة كانت آهلة بالسكان قبل الفتح العربي بقرون عديدة. قال الحموي في المعجم أن إبراهيم الجنيدى قال سمعته يقولون إن سامرا بناها سام بن نوح عليها السلام ودعا أن لا يصيب أهلها سوء، ولقد اجريت أعمال التنقيب الأركيولوجي في سامراء من قبل الدكتور هرتسفلد في موسم (١٩٣٠ - ١٩٣١ م) ضمن نطاق المقبرة التي كانت قد ظهرت للعيان في بقعة شبه الحاوي المطلة على نهر دجلة والواقعة في القرب من شريعة باب الناصرية شمالي سامراء الحالية على مسافة ميل واحد من بيت الخليفة جنوباً وذلك نتيجة تنقيب سابق كان الدكتور هرتسفلد قد قام به في سنة (١٩١٢ - ١٩١٣) فثبت في نهاية تلك الأعمال أن كلا من القبور والفخار المصبوغ الذي وجد فيها يعود إلى أزمان الدور الحجري المتأخر أو العصر الحجري الحديث (العصر النيوليثي) وربما كان يمثل نوعاً من ذلك الفخار الذي يعود إلى الإيرانيين الذين عاشوا في عصور ما قبل التاريخ وقد عرف العصر الذي تعود إليه مقبرة سامراء هذه بـ (عصر حلف) (٥٠٠٠ - ٤٥٠٠ ق. م) وهو العصر الذي يلي العصر الحجري الحديث والذي يمتاز آثاره بزخرفة الأواني الفخورة وبرقي أشكالها وتعدد ألوانها. وعلاوة على هذا النوع الفخارية فقد ترك لنا أهل (حضارة حلف) دمي من الطين المشوي غربية (١) الصنع وكمية كبيرة من الحروز المنقوشة

(١) ري سامراء ٥٢، ٥٣، ٥٤: مطبعة المعارف - بغداد - ١٩٤٨

وأول نوع من الختموم المبسطة . ويستدل من القطع المعدنية الصغيرة القليلة أنهم كانوا في بدء معرفتهم المعدن . وقد جاءت تسمية عصر حلف من الموقع المسمى (تل حلف) « الاسم الشائع الآن (تل حلف) محرفاً » الواقع في سوريا عند أعالي نهر الخابور (خابور الفرات) على بعد حوالي ١٤٠ ميلاً من شمال غربي نينوى حيث اكتشف البارون فون اوبنهايم طائفة كبيرة من الأواني القديمة المزخرفة تحت انقاض قصر يرتقي تاريخه الى العصر الحثي وتدل ظواهر الحال على ان هذه الأواني تعاصر فخار سامراء الآنف الذكر .

وقد عثر الدكتور أحمد سوسة أثناء تدقيقه لآثار سامراء على فخار يعود الى عصر ما قبل التاريخ ايضاً ، وهو من نفس الفخار الذي في بقعة شبة الحاوي ، وذلك في التل المعروف باسم (تل الصوان) الواقع على نهر دجلة جنوبي سامراء في جوار منارة القائم ، وبعد أن اتصل الدكتور سوسة بالبروفسور هرتسفلد واعلمه (١) بوجود هذا الفخار كتب هرتسفلد مؤيداً ما توصل اليه الدكتور سوسة من وجود هذا الفخار في المكان المذكور ، وأضاف تأييده هذا قائلاً بأن هذه الآثار هي من بقايا مقابر قديمة ترجع الى عصر ما قبل التاريخ ، وحيث ان التنقيب الاخير اثبت وجود أبنية ومرافق مشيدة باللبن ومسورة .

يتضح مما تقدم أن المنطقة التي انشئت فيها مدينة (سر من رأى) العباسية كانت مأهولة منذ اقدم الازمنة وترجع حضارتها الى عصور سحيقة في التاريخ ، لذلك فان ماجاء في نشرة مديرية الآثار العامة عن حفريات سامراء (ج ١ ص ٤)

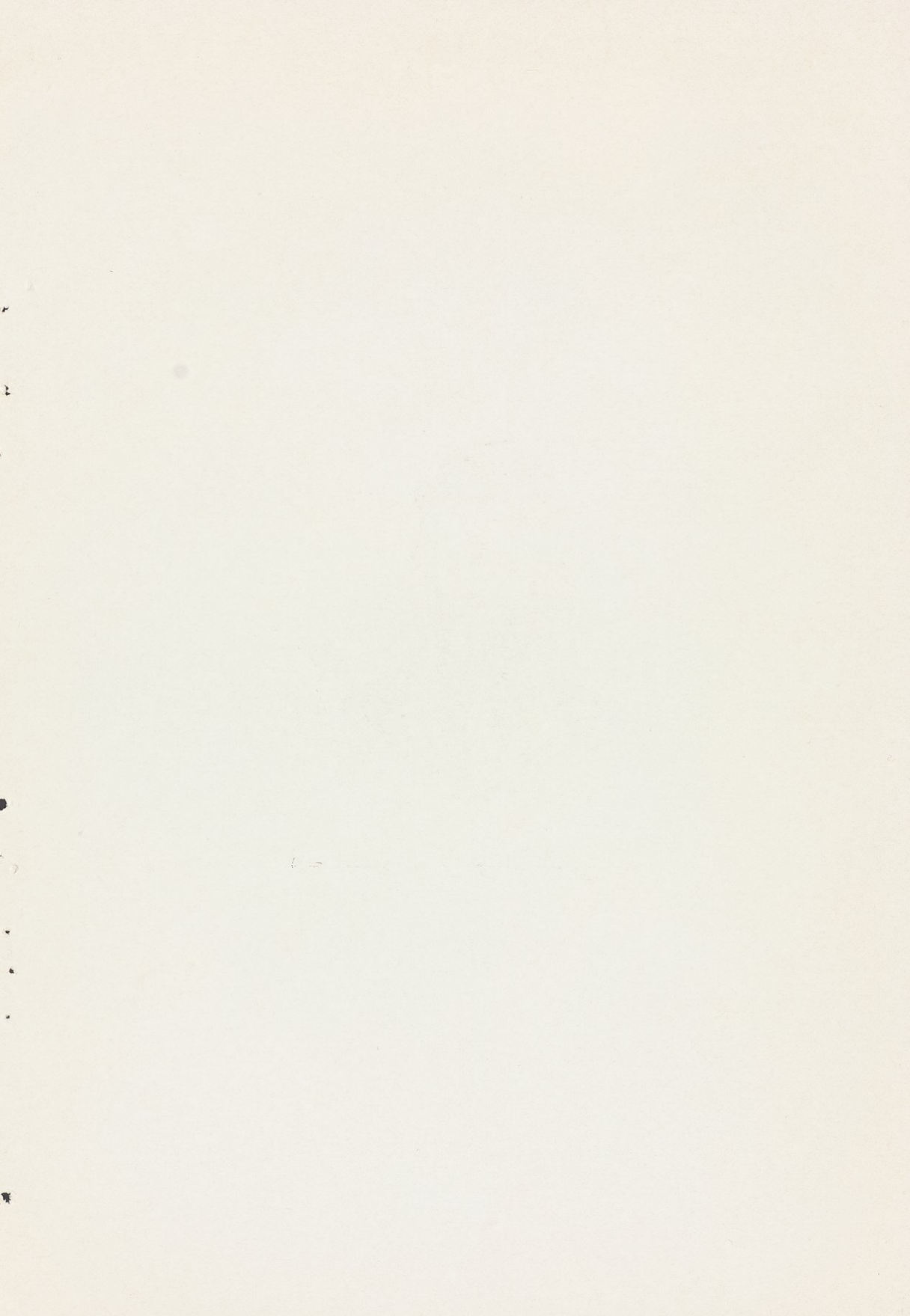
(١) في عام ١٩٦٤ م اجريت تنقيبات في تل الصوان عثر فيه على آثار تؤيد رأي

الدكتور سوسة ايضاً .

من أن «اطلال سامراء تعود الى دور معين محدود لم يسبقه دور بناء أقدم منه»
لا يصبح قوله بعد العثور على الآثار (القيتاريخية) التي مر ذكرها.
ومهما يكن من الأمر فقد كان هنا الموقع قبل انشاء سامراء فيه عدة قرى
واديرة معروفة ومن أهمها دير اشترام المعتصم من رهبانه واتخذ بيتاً للمال حيث
اسس عاصمته الجديدة. ولم يكن المعتصم ورجاله أول من تنبه الى منايا هذا
الموقع فقد عرفته الدولة الساسانية وشيدت فيه حصناً عرف باسم حصن (سومير)
كان له شأن كبير ولا سيما في حروبهم مع الرومان . واهل لاسم حصن سومير
الذي اشرنا اليه صلة باسم سامراء، والراجع ان الاسم الحديث مشتق منه .
وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب هذه المنطقة بقوله « انتهى المعتصم
الى الموضع المعروف بالقاطول فلستطاب الموضع وكان هناك قرية بسكنها خلق
من الجرامقة وناس من القبط على النهر بالقاطول آخذ من دجلة فبنى قصوراً ..».



١ - الخليفة المتوكل على الله العباسي



سامراء بعد الفتح العربي

شيدت هذه المدينة في عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله (وهو أصغر أبناء هارون الرشيد) وذلك سنة (٢٢١ هـ - ٨٣٦ م) أي بعد تشييد بغداد بنحو خمس وسبعين سنة . وكان السبب في بناء سامراء ان الخليفة المعتصم كان قد اكثر من اتخاذ الجند الترك في جيشه وألف منهم فرقا خاصة طغى نفوذها على سائر فرق الجيش من الفرس والعرب وضافت بغداد باولئك الجند الترك وكان من الصعب التوفيق بينهم وبين سكان هذه العاصمة اذ أن اولئك الترك كانوا (كما كتب بعض المؤرخين) عجماً جفاة يركبون الدواب فيتراكضون في طرق بغداد وشوارعها فيصدمون الرجال والنساء والاطفال وكان سكان بغداد يتذمرون من هذا الاستهتار فيثبون على الجند الترك فيقتلون بعضاً ويضربون بعضاً فتقل هذا كله على المعتصم وعزم على الخروج بجنده من عاصمة المنصور وعلى ان يتخذ لدولته عاصمة جديدة ولا سيما انه كان يخشى أن يثور عليه أهل بغداد وبعض العناصر العربية والفارسية في جيشه بسبب تقريبه الجند الترك فضلا عن قسوة المعتصم في الانتصار للمعتزلة واضطهاد خصومهم كانت قد ابدت قلوب كثير من رعاياه ولا سيما في بغداد .

فخرج يتقربى المواضع فانتهى الى موضع سامراء وكان هناك للنصارى دير عادي ، فسأل بعض أهل الدير عن اسم الموضع فقال : يعرف بسامرا ، قال له المعتصم : وما معنى سامرا ؟ قال نجدها في الكتب السالفة والامم الماضية انها

مدينة سام بن نوح ، قال المعتصم : ومن أي بلاد هي ؟ وإلام تضاف ؟ قال من بلاد الطيرهان ، واليه تضاف فنظر المعتصم الى فضاء واسع تسافر فيه الابصار ، وهواء طيب وأرض صحيحة تتوق الى الغذاء وتطلب الزيادة على العادة الجارية فعلم أن ذلك لتأثير الهواء والتربة والماء . فلما استطاب الموضع دعا بأهل الدير فاشتري منهم ارضهم بأربعة آلاف دينار وذلك حسب ما ذكره المسعودي في (مروج الذهب ج ٤ ص ٥٤) وهذا المبلغ يوافق ما ذكره اليعقوبي في البلدان ص ٢٥٨ ، اما ياقوت الحموي فقد ذكر في معجم البلدان ج ٣ ص ١٦ من ان المعتصم دفع خمسة آلاف دينار .

وقد فحص المعتصم ورجاله عدة مناطق قبل أن ينتهوا الى اختيار الموقع الذي شيّدوا فيه مدينة سامراء والذي تقوم عليه سامراء الحالية ، ويبدو أن تفضيلهم هذه المنطقة إنما يرجع الى موقعها الحصين لأن المياه تكاد تحيط بها من جميع أطرافها لتؤلف خطاً نهرياً في المدينة الجديدة وتسهل الاتصال بها ونقل التجارة بينها وبين مدن العراق فضلاً عن أن أراضيها كانت مرتفعة وفي مأمن نسبي من خطر الفيضان وكان هذا الموقع يمتاز بأن نهر دجلة يحاذيه من الغرب بينما يحيط به من الشمال والشرق مجرى النهروان (القاطول الكسروي) الذي يتفرع من نهر دجلة شمالي موقع سامراء ويسير محاذياً نهر دجلة متجهاً نحو نهر العظيم . أما في الجنوب فقد كان نهر القائم الأسفل يتفرع من نهر دجلة ويلتقي بمجرى النهروان قبل وصوله الى نهر العظيم ، وكان الماء في مجرى النهروان ومجرى القائم الأسفل دائم الجريان وكانت ضفافها عظيمة الارتفاع ، فضلاً عن هذا كله فقد كان مجال التوسع في البناء على هذا الموقع كبيراً جداً .

شيد المعتصم في هذا الموقع عاصمته الجديدة . ولم يلاحظ في بنائها العناية
بالاسوار والتحصين فقد كانت المنطقة حصينة بطبيعتها وكانت الخلافة العباسية
قد ثبتت اركانها ولم يكن هناك خطر خارجي ظاهر يهدد عاصمتها في قلب العالم
الاسلامي . وانما اتجه المعتصم في بناء هذه العاصمة الى الابداع في البناء والتوسع
في العمران وسائر الفنون الصناعية والزخرفية فاستقدم للمشاركة في عمارتها اعظم
الصناع وأصحاب المهن من أنحاء الامبراطورية الاسلامية ليجعلها اكبر منافس
لمدينة بغداد، واتسع في مدينة سامراء البهاء، اذ لا يعرف في الدنيا مدينة اتسع عمرانها
في بضع سنوات كما اتسع عمران مدينة سامراء حتى امتد الى مسافة (٣٥) كيلومتراً
على ضفتي نهر دجلة .

وذكر اليعقوبي في كتابه (البلدان) (١) وصفاً لمدينة سامراء بالعهد العباسي
الزاهر فقال (واتسع الناس في البناء بسر من رأى اكثر من انساغهم ببغداد
وبنوا المنازل الواسعة . الا ان شربهم جميعاً من دجلة مما يحمل في الروايا على
البغال وعلى الابل لان آبارهم بعيدة ثم هي مالحة غير سائغة فليس لها اتساع في الماء
ولكن دجلة قريبة والروايا كثيرة .

ولما فرغ المعتصم من التخطيط ووضع الاساس للبناء في الجانب الشرقي من
دجلة وهو جانب سر من رأى عقد جسراً الى الجانب الغربي من دجلة فأنشأ
هناك العمارات والبساتين والاجنة ، وحفر الانهار من دجلة وصير الى كل قائد
عمارة ناحية من النواحي . وحمل النخيل من بغداد والبصرة وسائر السواد
وحملت الغروس من الجزيرة والشام والجل والري وخراسان وسائر البلدان) (١ هـ

(١) طبعة النجف ، المطبعة الحيدرية سنة ١٣٣٧ هـ - ١٩١٨ م ص ٢٣ - ٢٤ - ٢٥

وعنى المعتصم بتخطيط سامراء . و امر بأن يراعى فصل الاجناس والطبقات
المختلفة من الجنود والموظفين وأصحاب المهن وسائر السكان فاسكن كلا منها جهة
أو قطعة خاصة و امر أن تكون قطائع الجنود بعيدة عن الاسواق وعن محلات
أصحاب المهن المختلفة و امر كذلك بتشديد الاسواق الضخمة في سامراء و بعمل
رصيف كبير على نهر دجلة ترسو فيه السفن القادمة من بغداد و واسط والبصرة
والموصل وسائر المراكز التجارية في العراق و بذلك اصبحت سامراء احدى
المدن الكبرى في ديار الاسلام بل مركز الخلافة الاسلامية في العمورة .



اسماء مدينتي سامراء

مدينة سامراء الخالدة من المدن القديمة الآهلة بالسكان قبل فجر التاريخ وقد ذكر البلدانون والمؤرخون في كتبهم اسماء مختلفة حسب تعاقب الاجيال على السكنى فيها وتسميتهم لها ونظراً لفائدة هذه الاسماء ندرجها هنا :

١ - سامراء : ممدوداً كما جاء في معجم البلدان للحموي وشاهده قول البحري

وأرى المطايا لا قصور بها عن ليل سامراء تذرعه

٢ - سامراً : مقصوراً وقد جاء هذا الاسم في الكتابات الآرامية وفي قول

ابن حماد بن الحسن بن علي بن عبيدالله البصري في قصيدته التائية :

وفي غربي بغداد وطوس وسامرا نجوم ظهرات

وقد ورد هذا الاسم في مرصد الاطلاع لابن عبدالحق (ج ٢ ص ٧٠٩)

٣ - سامره : بالهاء : ورد هذا الاسم في مرصد الاطلاع ايضاً في (ج ٢

ص ٧٠٩) وفي مجمل التواريخ والقصص (ص ٥١٧) .

وقال الحموي في معجمه (١) قال حمزة كانت سامراء مدينة عتيقة من مدن

الفرس تحمل اليها الأتاوة التي كانت موظفة لملك الفرس على ملك الروم ودليل

قائم في اسم المدينة لان سا ، اسم الاتاوة ، ومره اسم العدد والمعنى انه مكان

قبض عدد جزية الرؤوس .

٤ - سُرمَ من رأى : مهموز الآخر وقد ذكره الحموي في المعجم ايضاً

(١) معجم البلدان ج ٣ ص ٢٥ مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٦ م

وشاهده قول المنتصر :

الى الله اشكو عبرة تتحدر ولو قد حدا الحادي نظلت تحدر
فياحسرة ان كنت في سر من رأى مقيماً وبالشام الخليفة جعفر
وقال ابن خلكان (١) « وسر من رأى فيها ست لعات » وقال الجوهري
في الصحاح في فصل رأى « سر من رأى بضم السين المهملة وفتحها » .
٥ - سامري : ورد هذا الاسم في كتاب « مختصر المستفاد في تاريخ
بغداد ص ٢٠٦ » تأليف ميخائيل عواد .

٦ - ساميرا : جاء هذا الاسم في مرصد الاطلاع لابن عبدالحق ج ٢ ص ٧٠٩

٧ - سر من راء : ممدوداً كما ورد في قول البحتري :

لارحلن وآمالي مطرحة بسر من راء مستبطن لها القدر

٨ - سر من راء : مقصوراً غير مهموز كما ورد ذلك في قول الحسين

ابن الضحك :

سر من راء اسر من بغداد فانه عن بعض ذكرها المعتاد

٩ - سرء : بضم السين ممدوداً كما قال الجوهري في القاموس سرء

ممدودة مشدودة مضمومة وتارة تفتح اسم اسر من رأى . وسر من راء بضم
السين والراء أي سرور وفتحها كذلك وسامراء وساء من رأى والنسبة سر
من رى وسامري وسري . ومنه الحسن بن علي بن زياد .

١٠ - سرور من رأى : قال الحموي في معجمه ذكر محمد بن احمد البشاري

نكتة حسنة فيها قال لما عمرت سامراء وكملت واتسعت بركتها وخيرها واتسق

(١) وفيات الاعيان ج ١ ص ١٠ مطبعة السعادة بمصر ١٩٤٨

نظامها سميت سرور من رأى ثم اختصرت فقبل سر من رأى فلما خربت وتشوهت خلفتها سميت ساء من رأى ثم اختصرت فقبل سامراء .

١١ - ساء من رأى : ورد هذا الاسم في معجم البلدان كما ذكرناه آنفاً .

١٢ - سام راه : قال الجوهري في معجمه انها مدينة لسام بن نوح فنسبت اليها بالفارسية سام راه يعني طريق سام . وقيل في وجه التسمية انها كانت موضع اخذ الخراج قالوا بالفارسية ساء مره أي موضع اخذ الخراج .

١٣ - عسكر : ورد هذا الاسم في كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٢٠٥ كما أشار اليه الشيخ محمد السماوي في ارجوزته « وشايح السراء في شأن سامراء » حيث قال :

وسميت عسكر اذ معناها مجتمع الجنود في معناها

١٤ - زوراء : ورد هذا الاسم في كتاب البلدان لليعقوبي وقال اسمها في السكتب المتقدمة زوراء بني العباس ويصدق ذلك لأن قبل مساجدها كلها ضرورة (أي مائلة) فيها ازورار ليس فيها قبلة مستوية الا انها لم تخرب ولم يذهب اسمها .

١٥ - طبرهان : ورد هذا الاسم في كتاب البلدان لليعقوبي ص ٢٤ حيث قال : كانت سر من رأى في متقدم الأيام صحراء من الطبرهان لا عمارة بها .

١٦ - طبرهان : بالباء الموحدة ورد هذا الاسم في كتاب مروج الذهب ص ٥٤ ج ٤ للمسعودي حيث قال : سأل المعتصم عن سامراء وقال من أي البلاد والى م تضاف قيل له من بلاد طبرهان وهو مصحف والاصل هو طبرهان

١٧ - أسكي بغداد : أي بغداد العتيقة ورد هذا الاسم في مجلة سومر

ج ١ المجلد الثالث ص ٧٦ .

١٨ - شامريا : ومعناها الله يحرس : ورد هذا الاسم في كتاب (نبذة تاريخية في أصول اسماء الامكنة العراقية ص ٢٦٣ : تأليف بشير فرنسيس و كوركيس عواد .

١٩ - شاموره : ومعناها الحرس : أي منزل الحرس : ورد هذا الاسم في كتاب (نبذة تاريخية في اصول اسماء الامكنة العراقية ص ٢٦٩ .

٢٠ - سمرارتا : ورد هذا الاسم في مجلة سومر ج ٨ ص ٢٦٣ ونصه إن اسم هذه البلدة قد جاء في الكتابات الآشورية .

٢١ - سُومرا : ورد هذا الاسم في مجلة سومر ج ٨ ص ٢٣٣ .

٢٢ - سومير : ورد هذا الاسم في مجلة سومر ج ١٧ ص ١٦٧ نقلا عن المؤرخ الروماني اميانس مرشيلينس ونصه « سرنافي سرح سربح نحو حصن يدعى سومير ويهينها لين (١) بسامراء . ترجمة فؤاد جميل وسالم الآلوسي .

٢٣ - سيمورم : ورد هذا الاسم في احد محاضرات الدكتور زكي محمد حسن وقال ان هذا الاسم ورد في الكتابات البابلية (٢) .

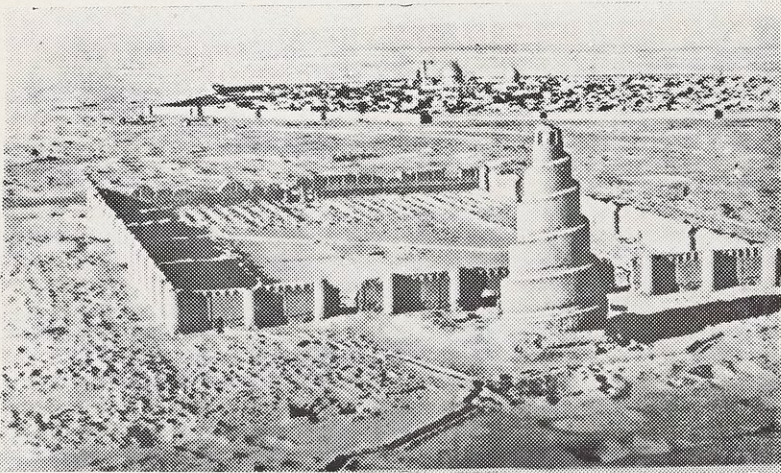
٢٤ - سوميره : ورد هذا الاسم في كتاب المرشد الى مواطن الآثار والحضارة تأليف فؤاد سفر وصادق الحسيني .

٢٥ - سومروم : ورد هذا الاسم في كتاب المرشد الآنف الذكر .

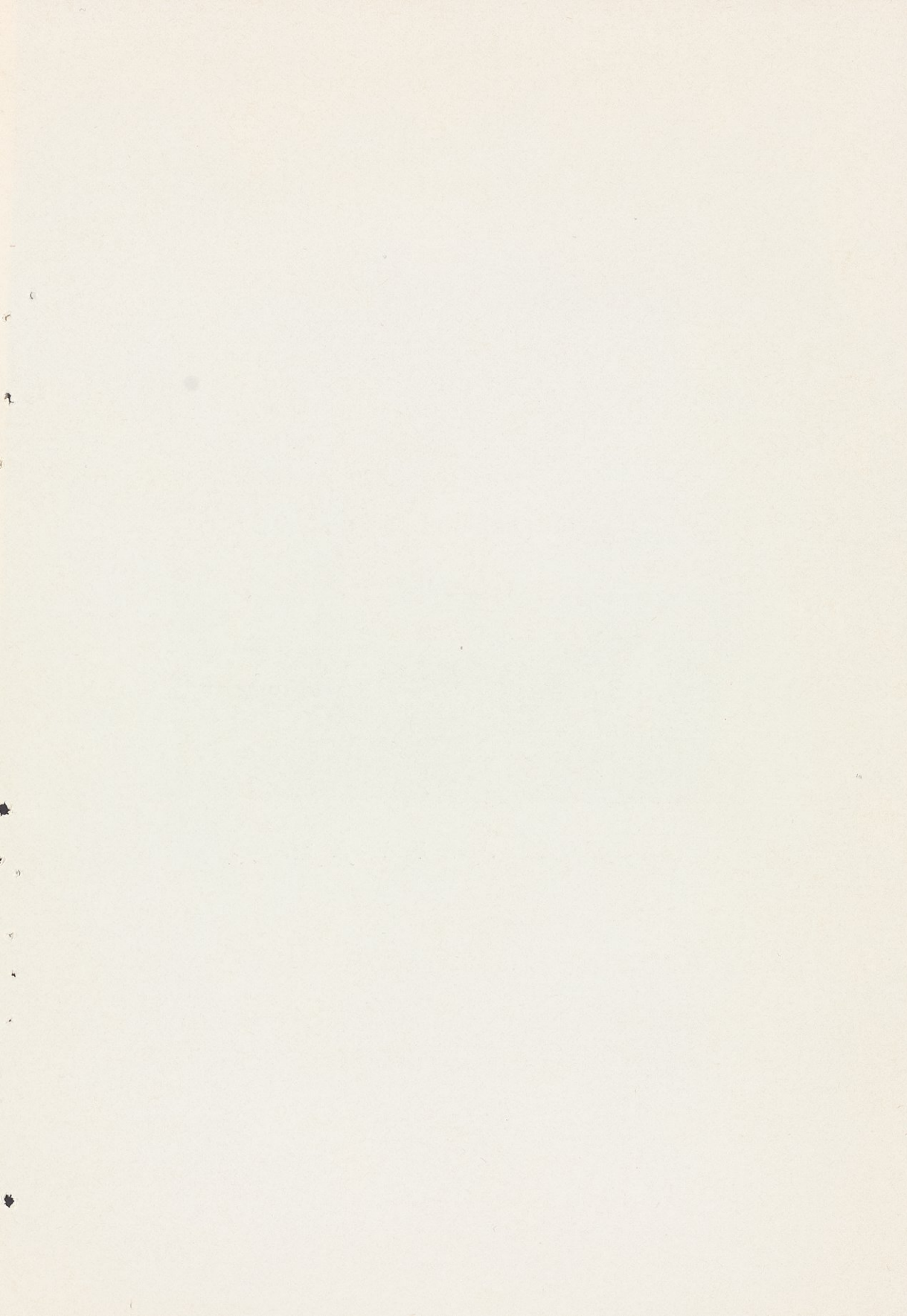
٢٦ - سورمارتا : ورد هذا الاسم في كتاب المرشد أيضاً .

(١) أحد علماء الآثار المعروفين .

(٢) التي ألقاها على طلبة فرع الآثار في كلية الآداب العراقية .



٢ - منظر جوي لمدينة سامراء وجامع الملوية



سامراء عاصمة العباسيين

اختار الخليفة العباسي المعتصم بن هارون الرشيد ، مدينة سامراء ليجعلها عاصمة جديدة للملكة العظيم ، ثم وسعها ابنه الواثق وأوصلها الى أوج عظمتها وأقصى اتساعها المتوكل ، إلا ان المدينة تركت بعد ذلك وأعاد المعتمد مقر الخلافة الى بغداد ، ولم يكن قد مر عليها أكثر من اربع وخمسين سنة ملك خلالها ثمانية من خلفاء بني العباس وهم :

- ١ - المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) — (٨٣٣ - ٨٤٢ م)
- ٢ - الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) — (٨٤٢ - ٨٤٧ م)
- ٣ - المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) — (٨٤٧ - ٨٦١ م)
- ٤ - المنتصر (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ) — (٨٦١ - ٨٦٢ م)
- ٥ - المستعين (٢٤٨ - ٢٥١ هـ) — (٨٦٢ - ٨٦٦ م)
- ٦ - المعتز (٢٥١ - ٢٥٥ هـ) — (٨٦٦ - ٨٦٩ م)
- ٧ - المهدي (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ) — (٨٦٩ - ٨٧٠ م)
- ٨ - المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) — (٨٧٠ - ٨٩٢ م) (١)

وقصة انشاء مدينة سامراء بالسرعة التي اقيمت فيها ثم هجرانها على حين غرة من الامور التاريخية التي تستوقف النظر فقد نشر الاستاذ ساطع الحصري في كتابه « آراء وأحاديث في التاريخ والاجتماع » (٢) بحثاً تحت عنوان « قصة

(١) ري سامراء ج ١ ص ٤٨ .

(٢) طبخته دار العلم للملايين سنة ١٩٦١ م

سامراء» ننقل منها النبذة التالية قال: « قصة مدينة سامراء، من أغرب وأمتع قصص المدن في التاريخ (١) « قطعة ارض فراء» على ضفة مرتفعة من نهر دجلة. لاعماره فيها ولا انيس بها، إلا ديراً للنصارى. تتحول في مثل لمح البصر الى مدينة كبيرة، لتسكون عاصمة لدولة من أعظم الدول التي عرفها التاريخ، في دور من ألمع أدوار سؤدها. تنمو هذه المدينة الجديدة وتزدهر بسرعة هائلة لم ير التاريخ مثلها في جميع القرون السابقة، ولم يذكر ما يماثلها بعض المماثلة إلا في القرن الاخير. في بعض المدن التي نشأت تحت ظروف خاصة - في بعض الاقسام من العالم الجديد.

غير أن هذا الازدهار العجيب لم يستمر مدة طويلة، لأن المدينة تفقد (صفة العاصمة) التي كانت علة وجودها وعامل كيانها، قبل أن يمضي نصف قرن على نشأتها. فتأخذ من الاقفرار والاندراس بسرعة هائلة، لا تضاهيها سرعة سوى تلك السرعة الشاذة التي كان تم بها تأسيسها.

وبعد أن كان الناس يسمونها باسم «سر من رأى» اضحوا يسمونها باسم «ساء من رأى» وبعد أن كان الشعراء يتسابقون في مدح قصورها اخذوا يسترسلون في رثاء أطلالها فبعد أن قال ابن الجهم في وصف احد قصورها:

بدائع لم ترها فارس	ولا الروم في طول اعمارها
صحون تسافر فيها العيون	إذا ما تجلت لأبصارها
وقبة ملك كأن النجوم	تضيء اليها بأسرارها

صار يرثيها ابن المعتز بقوله:

(١) نشر هذا البحث في كراسة بعنوان سامراء نشرتها مديرية الآثار عام ١٩٤٠.

قد افقرت سر من رأى وما لشيء دوام
فالنقض يحمل منها كأنها آجام
ماتت كما مات فيل تسل منه العظام

وفي الواقع ماتت سامراء مائة فجائية ، بعد عمر قصير لم يبلغ نصف القرن .
وامست رسوماً وأطلالا هائلة ، تمتد اليوم أمام انظار الزائر وتتوالى تحت اقدام
المسافر الى ابعاد شاسعة ، لا يقل امتدادها عن الخمسة والثلاثين من الكيلومترات .
عندما يتجول المرء بين هذه الاطلال المترامية الاطراف ، ويتامل في السرعة
العظيمة التي امتاز بها تأسيس مدينة سامراء وتوسعها من جهة ، واقفراها
واندراسها من جهة اخرى . لا يتمالك نفسه من التساؤل عن العوامل التي سيطرت
على مقدرات هذه المدينة العظيمة ، وصيرت قصة حياتها بهذا الشكل الغريب .
وذكر المستر « سيتون لويد » في كتابه « الرافدان » (١) سامراء فقال « وفي
التاريخ ثلاثة أمثلة بارزة لعواصم لم تدم إلا جيلا واحداً وكان سبب ظهورها
شدوذ فرد واحد أو عقيدته . ففي مصر نقل فرعون من فراعنة الأسرة الثامنة
عشرة هو أخناتون الشاذ ، دست الحكم ، من طيبة حيث عكر كهنة (رع)
المشاغبون سكينته وهدوء فكره ، الى عاصمة جديدة قصيرة الأجل هي مدينة
البساتين في العمرنة . وكذلك لم تعش عاصمة الملك الآشوري سرجون التي
ابتناها في خورسباد (٢) أمداً طويلا بعد وفاته . وهكذا كان الحال في (سامراء)

(١) الرافدان : الترجمة العربية للاستاذين طه باقر وبشير فرنسيس ص ٢٢١ - ٢٢٢

المطبوع ١٩٥٠ م .

(٢) اسمها القديم « دور - شاروكين » أي مدينة سرجون .

فقد شيدت وسكنها الناس واتسعت رقعتها عهداً بعد عهد ثم هجرت وحدث كل ذلك في مدى خمس وستين سنة ، ومع ذلك فقد دامت طوال حكم لا يقل عن ثمانية خلفاء وقد اختار المعتصم لبناء عاصمته موضع دير نصراني على ضفة دجلة اليسرى نحو سبعين ميلاً فوق بغداد ، وتدعى « سر من رأى » ولا ريب في أن الخليفة عد هذا الاسم فألا حسناً ، على أن ذلك كان لأهل بغداد سعداً لابتعاد الترك المتمردين مسافة مأمونة عنهم . ومها يكن الأمر فإن المعتصم سكن في سامراء وابتنى قصرأ كبيرأ في موضع الدير وانشأ حوله عاصمة ربما كانت أعظم منظراً وابهر خطة من أي مدينة في التاريخ القديم .

وبنى الخلفاء السبعة الذين اعقبوه قصوراً ومساجد لهم ووسعوا المدينة على ضفة النهر الى أن صار امتدادها على النهر يزيد على العشرين ميلاً . وعلى حين غرة هجر الخلفاء هذه العاصمة ونقلوا مراكزهم الى بغداد فتركوها خالية خاوية « ا . ه . ٥ .

* * *

تراجم خلفاء بني العباس في سامراء

١ - المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) - (١٣٣ - ١٤٢ م)

المعتصم بالله ابو اسحاق محمد بن الرشيد . ولد سنة ثمانين ومائة ، كذا قال الذهبي . وقال الصولي : في شعبان سنة ثمان وسبعين .

وهو ثامن الخلفاء من بني العباس ، وكان من اعظم الخلفاء وأهيبهم لولا ما شان سؤدده بامتحان العلماء بخلق القرآن . وكان له محاسن وكلمات فصيحة وشعر لا بأس به ، غير أنه إذا غضب لا يبالي من قتل . وقد عرف بالشجاعة والقوة . قال نبطويه عنه : « كان من أشد الناس بطشاً ، كان يجعل زناد الرجل بين أصبعيه فيكسره » .

وهو أول خليفة أدخل الاتراك الديوان ، وكان يتشبهه بملوك الأعاجم ويمشي مشيهم ، وبلغت علمانه الاتراك بضعة عشر الفاً .
بويع له بالخلافة بعد المأمون ، في شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين فسلك ما كان المأمون عليه وختم به . عمره من امتحان الناس بخلق القرآن وممن امتحن الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه (١) .

وفي سنة عشرين بعد المئتين تحول المعتصم من بغداد وبني مدينة سر من رأى ، وفي سنة ثلاث وعشرين غزا المعتصم الروم ، فأنكاهم نكاية عظيمة لم يسمع

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي . مطبعة السعادة ١٩٥٢ م .

بمثلها الخليفة ، وشدت جموعهم وخرب ديارهم ، وفتح عمورية بالسيف وقتل منها
ثلاثين ألفاً وسبى مثلهم فكان من نصره وظهره ما لم يخف ، فقال في ذلك
ابو تمام قصيدته المشهورة منها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حدته الحدُّ بين الجد والعب
والعلم في شهب الأرماع لامة بين الحسين لافي السبعة الشهب
أين الرواية ؟ أم أين النجوم ؟ وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصاً وأحاديثاً مُلفقة ليست بعجم إذا عدت ولا عرب
مات المعتصم بسر من رأى يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من
ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومئتين .

٢ - الواثق بالله هارون (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) - (٨٤٢ - ٨٤٧ م) .

هو الواثق بالله هارون بن المعتصم بن الرشيد . ولد لهشر بقين من شعبان
سنة ست وتسعين ومائة ، وولي الخلافة بعهد من ابيه ، بويح له في تاسع عشر
ربيع الاول سنة سبع وعشرين .

وفي سنة ثمان وعشرين استخلف على السلطنة أشناس التركي وألبسه وشاحين
مجوهرين وتاجاً مجوهرآ .

كان الواثق ابيض ، تعلوه صفرة ، حسن اللحية في عينيه نكتة . وافر
الأدب مليح الشعر .

قال الصولي : كان الواثق يسمى المأمون الأصغر ، لأدبه وفضله ، وكان
المأمون يعظمه ويقدمه على ولده . وكان الواثق اعلم الناس بكل شيء وكان شاعراً
وكان اعلم الخلفاء بالغناء ، وله اصوات وألحان عملها نحو مائة صوت ، وكان حاذقاً

يضرب العود ، راوية للشعار والأخبار .

وقال الفضل اليزيدي : لم يكن في خلفاء بني العباس أكثر رواية للشعر من
الواثق ف قيل له : كان أروى من المأمون ؟ فقال نعم ، كان المأمون قد مزج
بعلم العرب علم الأوائل من النجوم والطب والمنطق . وكان الواثق لا يخلط
بعلم العرب شيئاً .

قال يزيد المهلبى : كان الواثق كثير الأكل جداً . وقال حمدون بن اسماعيل
ما كان في الخلفاء أحد أحلم من الواثق ولا أصبر على أذى ولا خلاف منه ولما
احتضرته الوفاة جعل يردد هذين البيتين :

الموت فيه جميع الخلق مشترك لا سُوقَةَ منهم يبقى ولا ملك
ما ضر أهل قليل في تفارقهم وليس يغني عن الأملاك ما ملنكوا
فمات الواثق بسر من رأى يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة
مائتين واثنين وثلاثين من الهجرة .

٣ - المتوكل على الله جعفر (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) — (٨٤٧ - ٨٦١ م) .

هو جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد . ولد سنة خمس وقيل سبع
ومائتين - وبويع له في ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائتين بعد الواثق فظهر
الميل الى السنة ، ونصر أهلها ورفع المحنة وكتب بذلك الى الآفاق وذلك في
سنة أربع وثلاثين واستقدم المحدثين الى سامراء وأجزل عطايهم واكرمهم
وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية .

وفي سنة خمس وثلاثين أزم المتوكل النصارى بلبس الغل .

وفي سنة ست وثلاثين أمر بهدم قبر الحسين ، وهدم ما حوله من الدور

وأن يعمل مزارع ، ومنع الناس من زيارته وخرّب وبقي صحراء وكان المتوكل معروفاً بالنعصب .

ومن الغرائب ان المتوكل قال للبحثري : قل في شعراً وفي الفتح بن خاقان فاني أحب أن يحيا معي ، ولا افقده فيذهب عيشي ، ولا يتقديني ، فقل في هذا المعنى فقال :

سيدي أنت كيف أخلفت وعدي وثاقلت عن وفاء بعدي ؟
لا أرتني الأيام فقدك يا فتح ولا عرفتك ما عشت فقدي
أعظم الرزء أن تقدم قبلي ومن الرزء أن تؤخر بعدي
حذراً ان تكون إلفاً لعيري إذ تفردت بالهوى فيك وحدي

كان المتوكل بايع بولاية العهد لابنه المنتصر ثم المعز ثم المؤيد ثم إنه اراد تقديم المعز لمحبهته لأنه ، فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد فأبى ، فكان يحضره مجلس العامة ، ويحط منزلته ويتهدده ويشتمه ويتوعده واتفق ان الترك انحرفوا عن المتوكل لأموار ، فانفق الأتراك مع المنتصر على قتل ابيه فدخل عليه خمسة وهو في جوف الليل في مجلس لهوه فقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان وذلك في خامس شوال سنة سبع واربعين ومائتين .

٤ - المنتصر (٢٤٧ - ٢٤٨) — (٨٦١ - ٨٦٢ م) .

هو المنتصر بالله : محمد ابو جعفر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد .
كان مليح الوجه ، اسمر ، أعين ، أقي ، ربة ، جسيماً ، بطيئاً ، مليحاً ، مهيباً ، وافر العقل ، راغباً في الخير قليل الظلم محسناً الى العلويين وصولاً لهم ، ازال عن آل ابي طالب ما كانوا فيه من الخوف والحنة بمنعهم زيارة قبر الحسين

ورد على آل الحسين فدك فقال يزيد المهلبي في ذلك :

ولقد بررت الطالبية بعدما ذموا زماناً بعدها وزمانا
ورددت ألفة هاشم فرأيتهم بعد العداوة بينهم لإخوانا

بويح له بعد قتل ابيه في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين فخلع أخويه
المعز والمؤيد من ولاية العهد الذي عقده لها المتوكل بعده وأظهر العدل والانصاف
في الرعية ، فمالت اليه القلوب مع شدة هيبتهم له ، وكان كريماً حليماً .

ومن كلامه : لذة العفو أعذب من لذة التشفي ، وأقبح أفعال المقتدر الانتقام
ولما ولي صار يسب الأتراك ويقول : هؤلاء قتلة الخلفاء ، فعملوا عليه
وهموا به ، فعجزوا عنه لأنه كان مهيباً ، شجاعاً ، فطناً ، متحرزاً ، فتحيلوا الى
أن دسوا الى طبيبه ابن طيفور ثلاثين الف دينار في مرضه ، فاشار بفسده ثم
فسده بريشة مسمومة فمات . ولما احتضر قال : يا أماء ذهبت مني الدنيا والآخرة
عاجلت ابي فعوجلت .

وكان المنتصر أول من عدا على أبيه من بني العباس .

مات في خامس ربيع الآخر سنة ثمان واربعين ، عن ست وعشرين سنة
او دونها فلم يتمتع بالخلافة إلا اشهر آدون ستة اشهر . وكانت وفاته بسر من رأى

٥ - المستعين (٢٤٨ - ٢٥١ هـ) - (٨٦٢ - ٨٦٦ م)

هو المستعين بالله ابو العباس احمد بن المعتصم بن الرشيد وهو أخو المتوكل
وله سنة احدى وعشرين ومائتين .

كان مليحاً ابيض بوجه اثر جذري ألثغ . ولما مات المنتصر اجتمع القواد
وتشاوروا وقالوا : متى وليتم احداً من اولاد المتوكل لا يبقى منا باقية فقالوا :

مالها إلا احمد بن المعتصم ولد استاذنا ، فبايعوه وله ثمان وعشرون سنة واستمر الى اول سنة احدى وخمسين فتنكر له الأتراك لما قتل وصيفاً وبعاً ، ونفى باغر التركي الذي فتك بالمتوكل ولم يكن المستمعين مع وصيف وبعاً أمر حتى قيل في ذلك .

خليفة في قفص بين وصيف وبعاً
يقول ما قال له كما تقول البعاً

ولما تنكر له الأتراك خاف ، وانحدر من سامراء الى بغداد ، فارسلوا اليه يعتدرون ويخضعون له ويسألونه الرجوع ، فامتنع فقصدوا الحبس واخرجوا المعتز بالله وبايعوه ، وخلعوا المستعين ، ثم جهز المعتز جيشاً كشيفاً لمحاربة المستعين واستعد أهل بغداد للقتال مع المستعين فوقعت بينهما وقعات ، ودام القتال اشهرآ وكثر القتل وغلت الأسعار وعظم البلاء وانحل امر المستعين ، فسعوا في الصلح على خلع المستعين وقام في ذلك اسماعيل القاضي وغيره بشروط مؤكدة فخلع المستعين نفسه في أول سنة اثنين وخمسين وأشهد عليه القضاة وغيرهم فاحدر الى واسط فاقام بها تسعة اشهر محبوساً موكلًا به أمين ثم رد الى سامراء وارسل المعتز الى احمد بن طولون أن يذهب الى المستعين فيقتله فقال والله لا أقتل اولاد الخلفاء ، فندب له سعيد الحاجب فدبحه في ثالث شوال من السنة وله إحدى وثلاثون سنة وكان خيراً فاضلاً بليغاً أدبياً .

٦ - المعتز بالله (٢٥١ - ٢٥٥ هـ) — (٨٦٦ - ٨٦٩ م)

هو المعتز بالله : ابو عبدالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد . ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين .

ببيع له عند خلع المستعين في سنة اثنتين وخمسين وله تسع عشرة سنة ولم
يل الخلافة قبل احد اصغر منه . وكان بديع الحسن . قال علي بن حرب أحد
شيوخ ابن المعتز في الحديث : ما رأيت خليفة أحسن منه .

وأول سنة تولى مات أشناس الذي كان الواثق استخلفه على السلطنة وخلف
خمسة الف دينار ، فاخذها المعتز .

وفي رجب من هذه السنة خلع المعتز أخاه المؤيد من العهد ، وضربه وقيده
فمات بعد ايام ، فحشى المعتز أن يتحدث عنه انه قتله او احتال عليه ، فاحضر
القضاة حتى شاهدوه وليس به أثر ، وكان المعتز مستضعفاً مع الاتراك فاتفق
أن جماعة من كبارهم أتوه وقالوا : يا امير المؤمنين أعطنا ارزاقنا لنقتل صالح بن
وصيف ، وكان المعتز يخاف منه ، فطلب من أمه مالا لينفقه فيهم ، فأبت عليه
وشحت نفساً ، ولم يكن بقي في بيوت المال شيء ، فاجتمع الاتراك على خلعه ،
ووافقهم صالح بن وصيف ومحمد بن بغا فلبسوا السلاح وجاءوا الى دار الخلافة
فبعثوا الى المعتز ان اخرج الينا فبعث يقول قد شربت دواء وانا ضعيف فهجم
عليه جماعة ، وجروا برجله وضربوه بالدبابيس وأقاموه في الشمس في يوم صائف
وهم يلطمون وجهه ويقولون اخلع نفسك ثم احضروا القاضي ابن ابي الشوارب
والشهود وخلعوه ، ثم احضروا من بغداد الى دار الخلافة وهي يومئذ سامرا
محمد بن الواثق . وكان المعتز قد ابعده الى بغداد فسلم المعتز اليه الخلافة وبايعه
ثم ان الملاء اخذوا المعتز بعد خمس ليال من خلعه فادخلوه الحمام فلما اغتسل
عطش فمعه الماء فسقوه ماء بثلج ، فشر به وسقط ميتاً وهو اول ميت مات
عطشاً وذلك في شهر شعبان المعظم سنة خمس وخمسين ومائتين .

٧ - المهتدي (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ) - (١٦٩ - ١٧٠ م)

هو المهتدي بالله الخليفة الصالح : محمد بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد .
ولد في خلافة جده سنة بضع عشرة ومائتين ، وبويع بالخلافة ليلة بقيت من
رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وما قبل بيعته أحد حتى أتى بالمعتز ، فقام
المهتدي له وسلم عليه بالخلافة وجلس بين يديه ، فخيء بالشهود فشهدوا على المعتز
انه عاجز عن الخلافة ، فاعترف بذلك ومد يده فبايع المهتدي فارتفع حينئذ
المهتدي الى صدر المجلس .

وكان المهتدي اسمر ، رقيقاً ، مليح الوجه ، ورعاً ، متعبداً ، عادلاً ، قوياً
في امر الله بطلاً ، شجاعاً لكننه لم يجد ناصرأ ولا معيناً .

قال الخطيب لم يزل صائماً منذ ولي الى أن قتل . قال نفطويه : حدثني
بعض الهاشميين انه وجد للمهتدي سفظ فيه جبة صوف وكساء كان يلبسه بالليل
ويصلي فيه ، وكان قد اطرح الملاهي ، وحرّم الغناء وحسم السلطان عن الظلم
وكان شديد الاشراف على امر الدواوين يجلس بنفسه ويجلس الكتاب بين
يديه فيعملون الحساب .

وقدم موسى بن بغا من الري يريد سامراء لقتل صالح بن وصيف بدم
المعتز وأخذ أموال امه ومعها جيشه ، فصاحت العامة على ابن وصيف : يا فرعون
قد جاءك موسى فطلب موسى بن بغا الاذن على المهتدي ، فلم يأذن له فهجم بمن
معه عليه - وهو جالس في دار العدل - فاقاموه وحملوه على فرس ضعيفة وانتهبوا
القصر وأدخلوا المهتدي الى دار ناجود وهو يقول يا موسى اتق الله ويحك
ما تريد ؟ قال والله ما تريد إلا خيراً فاحلف لنا أن لا تماليء صالح بن وصيف

فخلف لهم فبايعوه حينئذ ثم طلبوا صالحاً لينظروه على افعاله ، فاخفى ، وندبهم المهتدي الى الصلح فاتهموه انه يدري مكانه ، فجرى في ذلك كلام ثم تسكلموا في خلعه فخرج اليهم المهتدي من الغد متقلداً بسيفه فقال قد بلغني شأنكم ، ولست ممن تقدمني مثل المستعين والمعتز ، والله ما خرجت اليكم إلا وأنا متحنط ، وقد اوصيت وهذا سيفي والله لأضربن به ما استمسكت قائمته بيدي ، اما دين ، اما حياء ، اما دعة ؟ لم يكن الخلاف على الخلفاء والجرأة على الله ؟ ثم قال ما اعلم علم صالح فرضوا وانفضوا ونادى موسى بن بعا . من جاء بصالح فله عشرة آلاف دينار فلم يظفر به احد واتفق ان بعض الغلمان دخل زقاقا وقت الحر ، فرأى باباً مفتوحاً فدخل فشى في دهليز مظلم ، فرأى صالحاً نائماً فعرفه - وليس عنده احد - فجاء الى موسى فاخبره ، فبعث جماعة فاخذوه وقطعت رأسه وطيف به . وتأم المهتدي لذلك في الباطن ثم رحل موسى ومعه بكيال الى السن في طلب مساور فكتب المهتدي الى بكيال ان يقتل موسى ومفلاًحاً أحد امراء الاتراك ايضاً او يسكهما ويكون هو الامير على الاتراك كلهم ، فوقف بكيال موسى على كتابه وقال اني لست افرح بهذا ، وانما هذا يعمل علينا كلنا فاجمعوا على قتل المهتدي وساروا اليه فقاتل عن المهتدي المغاربة والفراعنة والاسروسنية وقتل من الاتراك في يوم اربعة آلاف ، ودام القتال الى ان هزم جيش الخليفة وامسك هو فعصر على خصيته فمات وذلك في رجب سنة ست وخمسين فكانت خلافته سنة إلا خمسة عشر يوماً .

٨ - المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) - (٨٧٠ - ٨٩٢ م)

هو المعتمد على الله ابو العباس احمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد .

ولد سنة تسع وعشرين ومائتين. ولما قتل المهتدي كان المعتمد محبوباً بالجوسق
فاخرجوه وبايعوه ، ثم انه استعمل اخاه الموفق طلحة على المشرق وصير ابنه
جعفرأ ولي عهده وولاه مصر والمغرب ولقبه المفوض الى الله وانهمك المعتمد
في اللهو واللذات واشتغل عن الرعية فسكره الناس واحبوا اخاه طلحة .

وفي سنة تسع وستين اشتد تخيل المعتمد من اخيه الموفق فانه كان خرج
عليه في سنة اربع وستين ثم اصطالحا ، فلما اشتد تخيله منه هذا العام كاتب
المعتمد ابن طولون نائبه بمصر ، وانفقا على امر فخرج ابن طولون حتى قدم
دمشق وخرج المعتمد من سامراء على وجه التنزه وقصده دمشق فلما بلغ ذلك
الموفق كتب الى اسحاق بن كنداج ليرده ، فركب ابن كنداج من نصيبين
الى المعتمد فلقية بين الموصل والحديثة فقال يا امير المؤمنين اخوك في وجه العدو
وانت تخرج عن مستقرك ودار ملكك ومتى صح هذا عنده رجع عن مقاومة
الخارجي فيغلب عدوك على ديار آبائك في كلمات آخر ثم وكل بالمعتمد جماعة
ورسم على طائفة من خواصه ثم بعث الى المعتمد يقول ما هذا بمقام فارجع فقال
المعتمد فاحلف لي انك تنحدر معي ولا تسلمني فحلف له وانحدر الى سامراء
فتلقاه صاعد بن مخلد كاتب الموفق فسلمه اسحاق اليه فانزله في دار احمد بن
الخصيب ومنعه من نزول دار الخلافة ، ووكل به خمسمائة رجل يمنعون من الدخول
اليه ولما بلغ الموفق ذلك بعث الى اسحاق بخلع وأموال ، وأقطع ضياع القواد
الذين كانوا مع المعتمد ولقبه ذا السنين ولقب صاعداً ذا الوزارتين وأقام صاعد
في خدمة المعتمد ولكن ليس للمعتمد حل ولا ربط وقال المعتمد في ذلك :
أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل ممتعاً عليه؟

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذلك شيء في يديه
اليه تحمل الاموال طراً ويمنع بعض ما يجبي اليه
ثم في شعبان من سنة سبعين اعيد المعتمد الى سامراء ودخل بغداد ومحمد
ابن طاهر بين يديه بالحربة والجيش في خدمته كما أنه لم يحجر عليه . وكان هو
آخر خلفاء بني العباس في سامراء وهو الذي نقل الخلافة من سامراء الى بغداد:
وفي سنة تسع وسبعين ضعف امر المعتمد جداً لتمكن ابي العباس بن الموفق من
الامور وطاعة الجيش له فجلس المعتمد مجلساً عاماً واستشهد فيه علي نفسه انه خلع
ولده المفوض من ولاية العهد بايع لأبي العباس ولقبه المعتضد .
ومات المعتمد بعد اٍشهر من هذه السنة فجأة وذلك ليلة الاثنين لاجدى عشر
بقيت من رجب ، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة (١) .

شجرة الخلفاء العباسيين

في سامراء

العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم

|

عبد الله رضي الله عنه

|

علي

|

محمد

|

المنصور

|

المهدي

|

هارون الرشيد

|

المعتصم

|

المستعين

الواثق

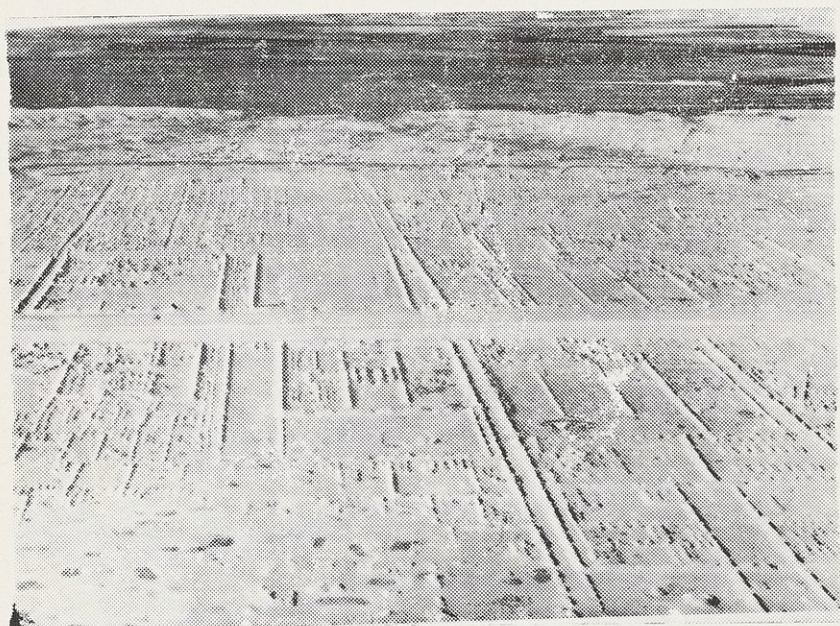
جعفر المتوكل

المهتدي

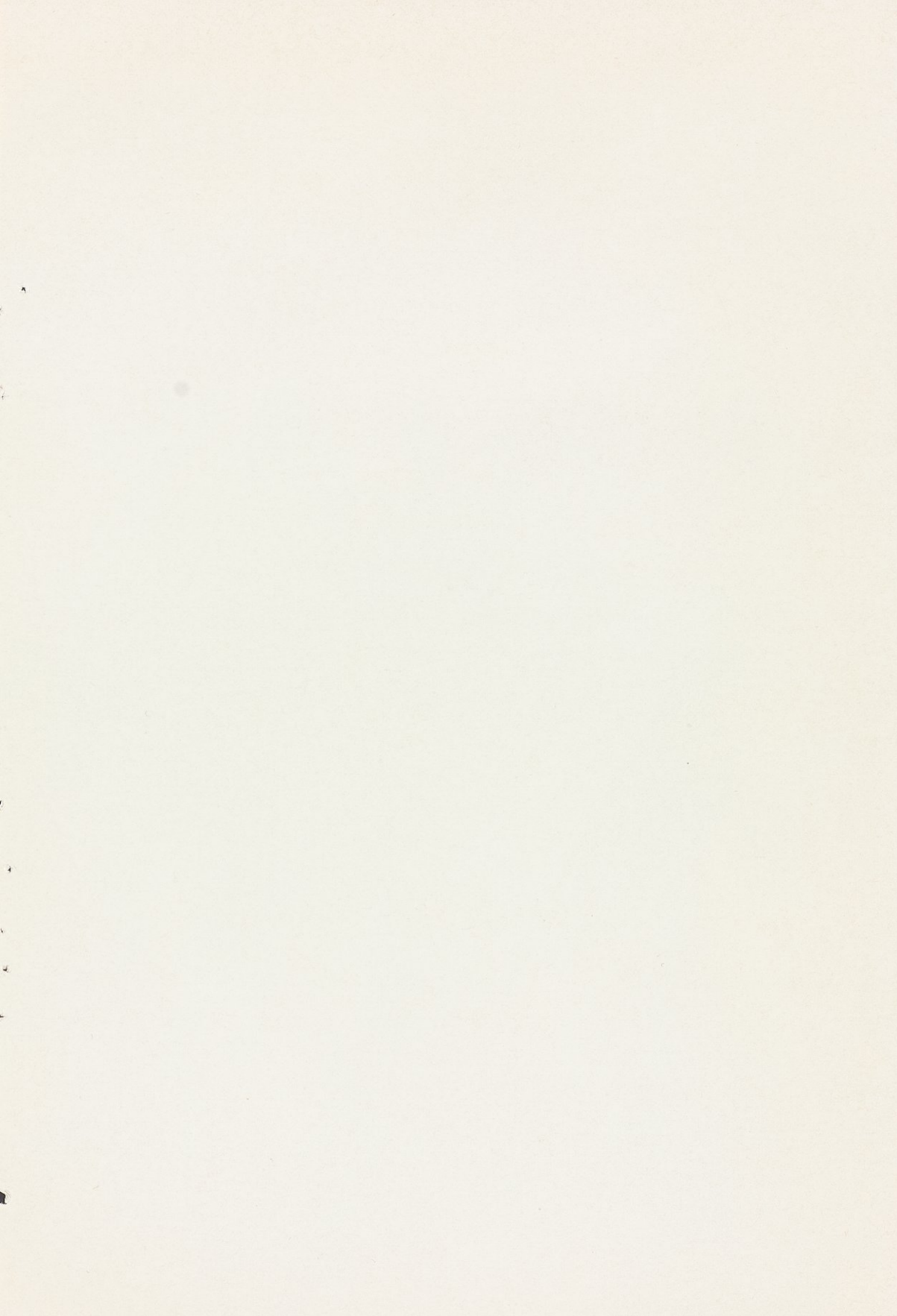
المعتز بالله

المنتصر

المعتد



٣ - الشارع الاعظم



الشوارع العباسية

كان في مدينة (سر من رأى) العباسية عدة شوارع مهمة بني على جوانبها القصور الفخمة والمساجد والحدائق والمنتزهات الجميلة وقطائع القواد ودوائر الدولة العديدة ومن هذه الشوارع .

أ — شارعاً الخليج والسريجة (١)

من أهم الشوارع العامة التي امتدت على طول مدينة سامراء غرباً الشارع الذي على دجلة وكان يعرف بـ (شارع الخليج) ، وهناك الفرض والسفن والتجارات التي ترد من بغداد وواسط وكسكر وسائر السواد من البصرة والابلة والاهواز وما اتصل بذلك ومن الموصل وديار بكر وديار ربيعة وما اتصل بذلك .

وفي هذا الشارع قطائع المغاربة كلهم او اكثرهم والموضوع المعروف بالازلاخ الذي عمر بالرجالة المغاربة في أول ما اختطت سر من رأى (٢) والشارع الثاني الذي يلي شارع الخليج شرقاً هو الشارع الرئيسي للمدينة فكان يعرف في أول الامر بأسم شارع السريجة ثم سمي (الشارع الاعظم) وكان يمتد هذا الشارع في عهد المعتصم مسافة « ١٩ » كيلومتراً تقريباً من آخر البناء في المطيرة جنوباً الى آخر البناء في قطيعة اشناس ودور عربايا شمالاً ، وعلى طرف هذا الشارع انشئت العارات من قطائع وأسواق ودواوين وقصور ومساجد ، كما انه فتحت عدة دروب من جهتيه بعضها ينفذ الى شارع الخليج أو الى دجلة من جهة الغرب

(١) ري سامراء ج ١ ص ٦١ و ٦٢

(٢) البلدان لليعتوبي ص ٣٠ طبعة النجف .

والبعض الآخر ينفذ الى الشارع الموازي اليه من جهة الشرق وهو الشارع المسمى « شارع ابي احمد » وهكذا كانت العارات والقطائع تمتد في الطول بين شارع السريجة الاعظم وبين شارع الخليج من جهة الغرب وبين شارع السريجة وشارع ابي أحمد من جهة الشرق .

وكان يخترق شوارع المدينة التي كانت تمتد على طول ضفة دجلة اليسرى واديان احدهما في الشمال ويسمى « وادي ابراهيم بن الرياح » والآخر في الجنوب ويسمى « وادي اسحق بن ابراهيم » وكان هذان الواديان يبدآن في الاراضي المتموجة التي في شرق المدينة فيسيران غرباً حتى ينتهيا في دجلة ، وبذلك كانا يأخذان بالمياه التي تتجمع في الاراضي المذكورة فيصبانها في دجلة .

أما موقعا هذين الوادين بالنسبة الى مدينة سامراء الحالية فقد دلت التنقيبات على أن الوادي الشمالي « وادي ابراهيم بن الرياح » يقع على بعد زهاء ستمائة متر من سور اشناس جنوباً ، فيبدأ من شمال تل العليق بالقرب من القاطول الأعلى ثم يسير باتجاه الشمال الغربي حتى يصب في دجلة جنوب النهر القديم المعروف بـ « نهر مرير » في نقطة تقع على مسافة حوالي تسعة كيلومترات من مدينة سامراء الحالية شمالاً .

واما الوادي الجنوبي « وادي اسحق بن ابراهيم » فيبدأ في الأراضي المتموجة التي في شرقي سامراء الحالية ثم يسير غرباً حتى ينتهي في دجلة في نقطة تقع على مسافة ١٥٥ كيلومتراً من مدينة سامراء الحالية جنوباً .

ولا يزال هذان الواديان يكونان مجعاً لمياه السيول في المنطقة التي تمتد بين سور اشناس شمالاً والمطيرة جنوباً ، ويعرف الوادي الجنوبي في الوقت الحاضر

باسم « وادي الموح » في حين ان الوادي الشمالي لا يعرف باسم خاص به .
ويلاحظ ان هرتسفلد رسم هذين الوادين في خارطته التقريبية التي رسمها
عن سامراء استناداً الى وصف اليعقوبي للمدينة في غير المكانين المذكورين ،
فرسم وادي ابراهيم بن رباح في شمال سور اشناس في حين انه رسم وادي
اسحق بن ابراهيم في شمال سامراء الحالية وهذا بعيد عن الواقع حيث
لا ينطبق لا على وصف اليعقوبي ولا على الوضع الطبيعي الحالي الذي يرجح انه
احتفظ بشكله الأصلي الى حد بعيد .

وقد وصف اليعقوبي في كتابه « البلدان » شارع السريجة كما وصف الابنية
والقطائع التي انشئت عليه ، فقال ان شارع السريجة كان يمتد من المطيرة جنوباً
الى وادي اسحاق بن ابراهيم شمالاً ، وبعد أن يعبر الوادي يستمر في سيره نحو
الشمال وينتهي بالقرب من الوادي الشمالي « وادي ابراهيم بن رباح » أما تسمية
« وادي اسحاق بن ابراهيم » فسببها أن اسحاق بن ابراهيم انتقل في عهد
المتوكل الى شارع السريجة في مكان هذا الوادي « فبنى على رأسه واتسع في
البناء » فسمي الوادي باسمه .

وكانت قطعة اسحاق بن يحيى بن معاذ على هذا الشارع مما يلي بناء اسحاق
ابن ابراهيم شمالاً ثم تتصل قطائع الناس يمنة ويسرة في هذا الشارع الأعظم
حتى تمر الى ديوان الخراج الأعظم الذي يمتد شرقاً الى منتصف « شارع
ابي أحمد » الذي في جهة الشرق .

وكان في شارع السريجة (الشارع الاعظم) « قطائع قواد خراسان ، منها

قطيعة هاشم بن باينجور ، وقطيعة عجيف بن عنيسة ، وقطيعة الحسن بن علي المأموني ، وقطيعة هارون بن نعيم ، وقطيعة حزام بن غالب ، وظهر قطيعة حزام الاصطبلات لدواب الخليفة الخاصة والعامية يتولاها حزام ويعقوب أخوه ثم مواضع الرطابين وسوق الرقيق في مربعة فيها طرق متشعبة فيها الحجر والغرف والخوانيت للرقيق ثم مجلس الشرطة والحبس الكبير ومنازل الناس والاسواق في هذا الشارع يمنة ويسرة مثل سائر البياعات والصناعات ويتصل ذلك الى « خشبة بابك (١) » ثم السوق العظمى لا تختلط بها المنازل ، ثم الجامع المعروف الذي لم يزل يجمع فيه الى أيام المتوكل فضاك على الناس فهدمه وبنى مسجداً جامعاً واسعاً في طرق الخير ، المسجد الجامع والاسواق من احد الجانبين ومن الجانب الآخر القطايح والمنازل وأسواق اصحاب البياعات الدنية مثل أصحاب الفقاع والهرايس والشراب وقطيعة مبارك المغربي وسويقة مبارك وجبل جعفر الخياط وفيه كانت قطيعة جعفر ثم قطيعة أبي الوزير (٢) ثم قطيعة العباس بن علي بن مهدي ثم قطيعة عبدالوهاب بن علي بن المهدي ، ويمتد الشارع وفيه قطايح عامة الى دار هارون بن المعتصم وهو الواثق عند دار العامة وهي الدار التي نزلها يحيى بن اكرم في أيام المتوكل لما ولاء قضاء القضاة ثم باب العامة ودار الخليفة وهي دار العامة التي يجلس فيها يومي الاثنين والخميس ثم الخزائن ، خزائن الخاصة وخزائن العامة ثم قطيعة مسرور ممانانة الخادم ثم قطيعة قرقاس الخادم وهو خراساني ثم قطيعة ثابت الخادم ثم قطيعة أبي الجعفراء

(١) خشبة بابك . هو المكان الذي صلبت فيه جثة بابك الحري .

(٢) يجهل أن يكون القصر المعروف بالوزير .

وسائر الخدم « (١) .

ب - شوارع أبي احمد والخير الأول وبرغامش التركي (٢)

وكان على الشارع الثالث وهو شارع ابي احمد بن الرشيد الذي تقدم ذكره قطائع قواد خراسان والعرب وأهل قم وأصبهان وقزوين وآذربيجان . فكان في (أول هذا الشارع من المشرق دار بختيشوع المتطبب التي بناها في أيام المتوكل ثم قطائع قواد خراسان واسبابهم من العرب ومن أهل قم وأصبهان وقزوين والجبل وآذربيجان يمنة في الجنوب مما يلي القبلة فهو نافذ الى السريجة الاعظم وما كان مما يلي ظهر القبلة فهو نافذ الى شارع ابي احمد ، ديوان الخراج الاعظم وقطبعة عمر (٣) وقطبعة الكتاب وسائر الناس وقطبعة أبي احمد بن الرشيد في وسط الشارع ، وفي آخره مما يلي الوادي الغربي الذي يقال له وادي ابراهيم بن رباح قطبعة ابن ابي دواد وقطبعة الفضل بن مروان وقطبعة محمد بن عبد الملك الزيات وقطبعة ابراهيم بن رباح في الشارع الاعظم ثم تتصل هذه الاقطاعات في هذا الشارع وفي الدروب الى يمنته ويسرته الى قطبعة بغا الصغير ثم قطبعة بغا الكبير ثم قطبعة سيما الدمشقي ثم قطبعة برغامش ثم قطبعة وصيف القديمة ثم قطبعة ايتاخ ويتصل ذلك الى باب البستان وقصور الخليفة) .

وكان عدا الشوارع الثلاثة التي مر ذكرها ، وهي شوارع الخليج والسريجة وأبي احمد ، شارعان آخران يمتدان بموازة شارع أبي احمد من جهة الشرق

(١) ري سامراء ج ١ ص ٦٣ و ٦٤

(٢) ري سامراء ج ١ ص ٦٥

(٣) يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْقَصْرَ الْعُمَرِيَّ .

اولهما ، أي الشارع الرابع يسمى (شارع الخير الأول) وكان يمتد من الجنوب الى الوادي المتصل بوادي اسحاق بن ابراهيم ومن ثم الى وادي ابراهيم بن رياح ، وفيه قطائع الجند والشاكرية وأخلط الناس وقد صارت فيه دار أحمد ابن الخصيب في أيام المتوكل .

أما الشارع الذي يلي شرقا ، أي الشارع الخامس ، فيسمى (شارع برغامش التركي) . وكان يبدأ من الجنوب في المطيرة عند قطائع الافشين التي صارت لوصيف وأصحاب وصيف ثم يمتد بموازاة (شارع الخير الأول) حتى ينتهي بالقرب من الوادي الذي يتصل بوادي ابراهيم بن رياح شمالا . وكانت في هذا الشارع (قطائع الاتراك والفراغنة) فدروب الاتراك منفردة ودروب الفراغنة منفردة والاتراك في الدروب التي في القبلة والفراغنة بازائهم بالدروب التي في ظهر القبلة كل درب بازاء درب لا يخالطهم أحد من الناس وآخر منازل الاتراك وقطائعهم قطائع الخزر مما يلي المشرق) (١) .

ج — شارع الاسكر (العسكر ؟) والخير الجديد (٢)

ولما تولى المتوكل الخلافة وسع مدينة سر من رأى من الشرق والجنوب والشمال ففتح من الشرق شارعين خلف (شارع برغامش التركي) الشارع الاول ، وهو المجاور لشارع برغامش يسمى (شارع صالح العباسي) وهو شارع الاسكر (العسكر ؟) وفيه قطائع الاتراك والفراغنة والاتراك أيضا في دروب منفردة والفراغنة في دروب منفردة ممتد من المطيرة الى دار صالح العباسي التي

(١) ري سامراء ج ١ ص ٦٦

(٢) ري سامراء ج ١ ص ١٠٥

على رأس الوادى ويتصل ذلك بقطائع القواد والكتاب والوجوه والناس كافة (١)) وعلى الأرجح أن المقصود بـ (رأس الوادى) رأس (وادى اسحاق ابن ابراهيم) الذى تقدم البحث عنه .

أما الشارع الثانى الذى خلف (شارع الاسكر) فيقال له (شارع الحير الجديد) فيه اخلاط من الناس من قواد الفراغنة والاسروشنية والاشتاخنجية وغيرهم من سائر كور خراسان (٢).

وبذلك بلغ عدد الشوارع الموازية لنهر دجلة على طول مدينة سامراء سبعة شوارع أولها من جهة الغرب (شارع الخليج) وآخرها من جهة الشرق (شارع الحير الجديد) وكانت الشوارع الاربعة الاخيرة وهى « شارع الحير الاول » و « شارع برغامش التركي » و « شارع الاسكر » و « شارع الحير الجديد » تسمى « طرق الحير » (٣).

ب — الشارع الأعظم

وأهم ما يلفت النظر فى أمر هذا الشارع سعة عرضه واستقامة تخطيطه مما يدل على عظمة مشروع مدينة المتوكل الجديدة والابداع فى تنسيقها وتخطيطها . وقد كتب اليعقوبي فى هذا الصدد قال (ومد المتوكل الشارع الاعظم من دار أشناس التى بالسرخس والتي هي صارت للفتح ابن خاقان مقدار ثلاثة فراسخ الى قصوره ، وجعل دون قصوره ثلاثة أبواب عظام جلييلة يدخل منها الفارس برمحه

(١) انظر كتاب البلدان لليعقوبي ص ٢٩ طبع النجف .

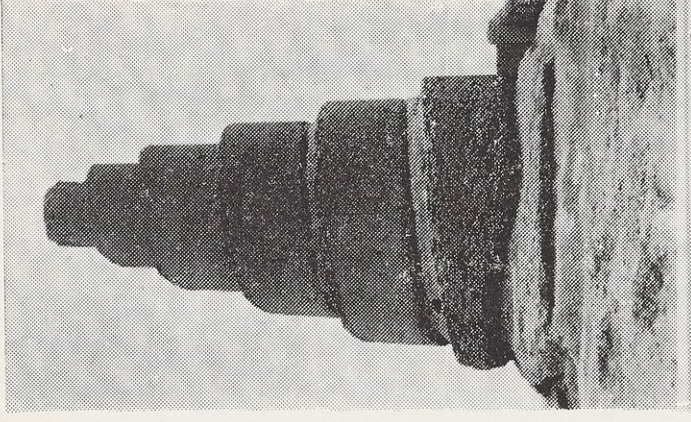
(٢) البلدان ص ٢٩ لليعقوبي مطبعة الحيدرية النجف ١٩١٨

(٣) ري سامراء ج ١ ص ١٠٦

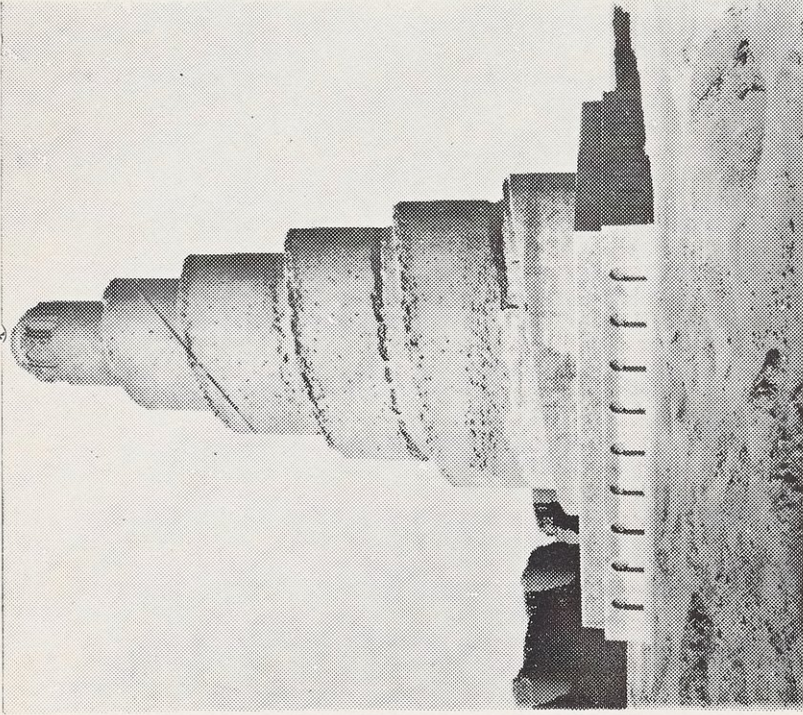
وأقطع الناس يمئة الشارع الأعظم ويسرته وجعل عرض الشارع الأعظم مائتي ذراع وقد أن يحفر في جنبي الشارع نهرين يجرى فيهما الماء من النهر الكبير الذي يحفره « (١) .

ويمكن تتبع آثار هذا الشارع بين سور أشناس والمتوكلية إذ تحده أطلال الأبنية القديمة من الجانبين ، أما السواقي الجانبية التي كانت تستمد مياهاً من (النهر الجعفرى) والتي أشار إليها اليعقوبي فتشاهد آثارها على جانبي الشارع أيضاً في معظم أقسامه وبتبدأ الشارع من سور أشناس بعرض حوالي خمسين متراً فيسير مسافة زهاء كيلومترين شمالاً ثم ينعطف نحو الغرب قليلاً فيسير من هنا في اتجاه مستقيم بين نهر دجلة ، ونهر القاطول السكسروى نحو المتوكلية ، وبعد أن يسير حوالي الكيلومتر في هذا الاتجاه يتضاعف عرضه حتى يصبح مائة متر ويستمر في نفس الاتجاه حتى إذا ما قطع زهاء ستة كيلومترات ونصف الكيلومتر اعترضه السور الخارجي لمدينة المتوكلية وهو السور الذي يمتد عرضاً بين نهر القاطول السكسروى ونهر دجلة .

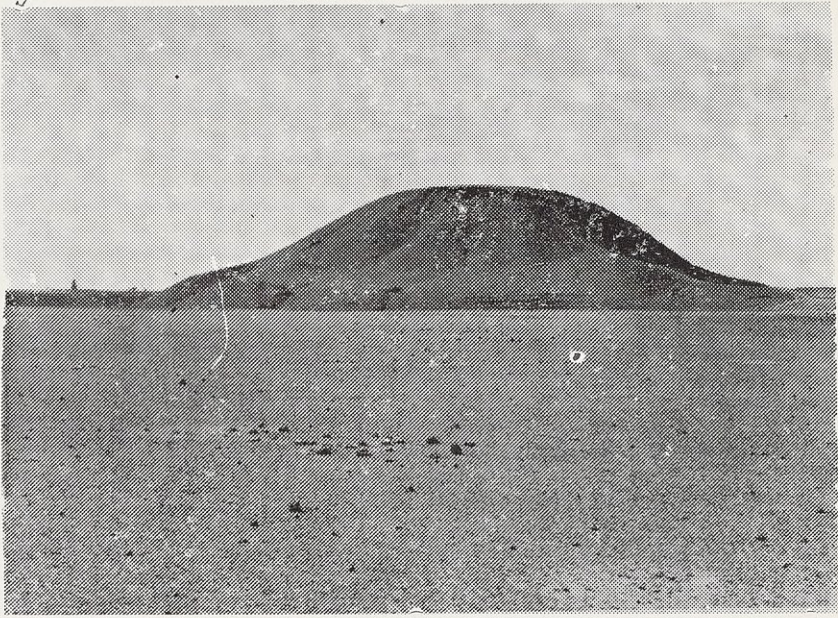
(١) ري سامراء ج ٢ ص ٣٣٨ و ٣٠٩



٥ - جامع اللوية قبل التعمير



٤ - جامع اللوية بعد التعمير



٦ - تل الملق

المسجد الجامع الكبير أو جامع الملوية

شيد المعتصم بالله سنة ٢٢١ هـ في سامراء جامعاً انفق عليه خمسمائة الف دينار
وبنى المنارة أي (الملوية) ثم ضاق المسجد بالمصلين فهدمه المتوكل وشيد عوضاً
عنه المسجد الجامع المنسوب اليه بين عامي (٢٣٤ - ٢٣٧ هـ - ٨٤٩ - ٨٥٢ م)
وقد ذكر ياقوت الحموي في معجمه ان المتوكل « اقطع الناس في ظهر سر من
رأى في الخير الذي كان احتجزه المعتصم واتسع الناس بذلك وبني مسجداً جامعاً
فاعظم النفقة عليه وأمر برفع منارة لتعلو أصوات المؤذنين فيها وحتى ينظر اليها
من فراسخ فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول » .

وقريب من هذا ما رواه البلاذري ونصه « لما استخلف المتوكل هارون
الواثق بالله في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين فاقام بالهاروني وبني بناء
كثيراً وأقطع الناس في ظهر سر من رأى بالخائر الذي كان المعتصم بالله احتجزه
بها قطائع فأتسعوا بها وبني مسجداً جامعاً كبيراً واعظم النفقة عليه وأمر برفع
منارته لتعلو أصوات المؤذنين فيها حتى نظر اليها من فراسخ ، فجمع الناس فيه
وتركوا المسجد الأول » (١) .

وذكر المستوفي منارة الجامع فقال « ان المنارة القائمة في المسجد الجامع يومذاك

(١) ري سامراء ج ١ ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ :

مطبعة المعارف ١٩٤٨ .

يبلغ طولها مئة وسبعين ذراعاً ولها مراقبة من خارجها لا يرى مثلها في مكان آخر
وزاد على ذلك ان قد بناها الخليفة المعتصم .

وقال المسعودي في مروج الذهب « ان المتوكل بنى مسجداً جامعاً فاعظم
النفقة عليه وأمر برفع منارة لتعلو أصوات المؤذنين فيها وحتى ينظر اليها من
فراسخ فجمع الناس فيه فتركوا المسجد الأول واشتق من دجلة قناتين شتوية
وصيفية تدخلان الجامع وتتخللان شوارع سامراء ، واشتق نهر آخر وقدر
للدخول الى الخير فمات قبل أن يتم وحاول المنتصر تميمه فلقصر أيامه لم يتم
ثم اختلف الامر بعده فبطل النهر وكان المتوكل انفق عليه سبعمائة الف دينار .

وأشار ابو منصور الثعالبي (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) منارة الملوية في سر من
رأى في كتابه ثمار القلوب في المضاف والمنسوب فقال « ان المتوكل كان يصعد
منارة سر من رأى على حمار مريسي ، ودرج تلك المنارة من خارجها وأساسها
على جريب من الأرض وطولها تسع وتسعون ذراعاً . ومريس قرية بمصر » ا . هـ
وذكر الدكتور مصطفى جواد في احد تحقيقاته نقلا عن خلاصة الذهب
المسبوك أن المسجد هذا من أبنية المعتصم فقال « سامراء : مدينة عظيمة كانت
على طرف شرقي دجلة بين بغداد وتكريت بناها المعتصم بالله سنة احدى
وعشرين ومائتين وانفق على جامعها خمسمائة الف دينار وجعل وجوه حيطانه
كلها رمسينا وبنى المنارة التي كانت من احدى العجائب وحفر الاسحاقى (١) .

ويشاهد المرء آثار المسجد الجامع هذا مع مثذنته المعروفة باسم (الملوية)

(١) أصول التاريخ والأدب ج ٧ ص ٩ . نقلا عن خلاصة الذهب المسبوك

شمالى شرقى مدينة سامراء الحديثة مباشرة ، وهى تعد من أهم الآثار الماثلة للعيان من مدينة سامراء القديمة ، ويمتاز هذا الجامع مع مثذنته عن بقية الجوامع بفسحته وضخامته وبمثذنته الغربية . أما بناء الجامع فلم يبق منه غير جدرانه الخارجية التى تحيط بساحة مستطيلة طولها نحو ٢٤٠ متراً وعرضها ١٥٨ متراً . ويبلغ ارتفاع الجدران زهاء عشرة أمتار وتُحْمِنها حوالى المترين وهى مبنية بالآجر . وقد دعت هذه الجدران من خارجها بأبراج نصف دائرية وعددها أربعون برجاً (١) .

وكان فى جدران المسجد واحداً وعشرين باباً تختلف سعة كل منها باختلاف الموقع من الحيطان ، فتبلغ سعة أكبرها ٤٧٥ متراً وسعة أصغرها ١٥٠ متراً . ومن هذه الأبواب خمسة فى الضلع الشمالية لحائط المسجد (بابان صغيران فى جانبي الضلع وثلاثة أبواب كبيرة فى الوسط) وثمانية فى كل من الضلعين المستطيلتين اللتين فى الشرق والغرب (ثلاثة أبواب صغيرة وخمسة أبواب كبيرة) وتتفق مواقع الأبواب فى الحائط الشرقى مع مواقع أبواب الجانب الغربى ، أما الضلع الجنوبية فلا يوجد فيها غير المحراب الذى يواجه القبلة وغير باب صغير فى كل من جانبي المحراب ، وقد اختيرت مواقع الأبواب بحيث تتفق ونظام الأروقة فى داخل المسجد . ولدى تدقيق اتجاه جدار القبلة تبين أنه يقع على ١٩٨ درجة و ٣٠ دقيقة على حين أن (القبلة) تقع على ١٩٦ درجة و ٤٦ دقيقة أى أن اتجاه الجدار يرجع درجة واحدة و ٤٤ دقيقة الى الشرق .

(١) فى سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م قامت مديرية الآثار العامة بترميم المسجد هذا وعمل سياج أمام المئوية كما قامت برفع الاتقاض والأتربة التى فى داخل فناء المسجد واستمر العمل حتى ١٩٦٤ .

ويستدل من استكشافات هرتسفلد على انه كان في حرم المسجد ٢٥ رواقاً مؤلفة من ٢٤ صفاً من الاعمدة في كل صف منها تسعة أعمدة ، وفي القسم الشمالي المقابل لحرم المسجد ٢٥ رواقاً ايضاً مؤلفة من ٢٤ صفاً من الاعمدة في كل صف منها ثلاثة اعمدة وتمتد هذه الصفوف من الاعمدة على شكل خطوط ذات زوايا قائمة الى داخل المسجد بالنسبة الى الجدارين ، الشمالي والجنوبي للمسجد ويلاحظ أن الرواق الاوسط من ال ٢٥ رواقاً المذكورة في كلا الجانبين اكثر اتساعاً من البقية . أما الجانبان الغربي والشرقي من المسجد ففي كل منهما ٢٣ رواقاً مؤلفة من ٢٢ صفاً من الأعمدة في كل صف منها اربعة أعمدة . وبذلك تكون جملة عدد الاعمدة ٤٦٤ عموداً . وكانت السقوف ترتكز على العمود مباشرة دون طيقان من البناء .

أما المحراب فهو مستطيل اذ يبلغ عرضه ٢ر٥٩ متراً وعمقه ١ر٧٥ متراً ، وكان يحف به من الجانبين زوجان من اعمدة الرخام وردية اللون ذات قواعد وتيجان على شكل الساعة كانت قد جلبت من عينتاب . وكان يرتكز على هذه الاعمدة عقدان رأسيان يضمهما اطار مستطيل يرتفع بارتفاع المسجد .

وكان في وسط صحن المسجد فوارة عظيمة وهي التي ذكرها اليعقوبي بقوله وجعل فيه (اي المسجد) فوارة ماء لا ينقطع مأوها ووصفها المستوفي بانها كانت من قطعة واحدة من الحجر محيطها ٢٣ ذراعاً وارتفاعها سبعة اذرع وثمنها نصف ذراع وكانت تعرف بـ (كأس فرعون) .

وذكر الدكتور مصطفى جواد في أحد تحقيقاته نقلاً عن بعض كتب التاريخ في وصف الفوارة فقال « وفي حوادث سنة ٦٥٣ نقلت الى بغداد في

الحوادث « وفيها حملت القصعة الحجر المعروفة بقصعة فرعون من سر من
الى بغداد في كلك وكانت عظيمة جداً فلم تنزل الى سنة سبع وخمسين وسمائنة
ثم كسرت ..

وقد عزا المستوفي بنساء المنارة والفوارة الى المعتصم كما عزا صاحب
خلاصة الذهب المسبوك بناء الفوارة والمنذنة الى المعتصم ، على ان المصادر
التاريخية تشير الى انها تعود الى عهد المتوكل .

وقد اثبتت تنقيبات هر تسفلد ان الاساس الاسطواني لقاعدة الفوارة كان
مبنياً بالآجر ومونة الجير والرماد . أما كأسها فكانت مرتكزة على قاعدة
مكسوة بالرخام وقد عثر بجوار الفوارة خارج الاسطواني على قطع من
اعمدة الرخام (١) والتيجان وعلى زخارف جصية منقوشة ومذهبة ومحلاة بالفسيفساء
الزجاجية . ولذلك يظن أن قد كانت هناك سقيفة من الخشب محمولة على دائرة
من الاعمدة مرفوعة فوق هذه النافورة المسماة (كأس فرعون) .

وقد ثبت لدى الدكتور أحمد سوسة خلال تدقيقه حول الموضوع هذا فقال
إن الفوارة هذه كانت تستمد مياهها من القناة التي أنشأها المتوكل لايصال المياه
الى مدينة سر من رأى ، وهي القناة التي كانت تبدأ من شمالي الدور فتسير الى
مسافة حوالي أربعين كيلو متراً حتى تصل الى قلب العاصمة .
ويستدل من حفريات هر تسفلد في منطقة المسجد على انه كان يحيط بالمسجد

(١) عثرت مديرية الآثار العامة خلال عام ١٩٦٤ على أربعة اعمدة من الرخام عندما

رقت الاتربة من ساحة الجامع .

سور عظيم من الآجر من جوانبه الشرقية والغربية والجنوبية ، وكان يحيط بهذا المستطيل العظيم من جوانبه الأربعة سور آخر يفصله عن السور الاول فضاء مكشوف عظيم الاتساع في الشرق والجنوب والغرب وأكثر ضيقاً في الشمال . ويتضح من حفريات هرتسفلد في سنة ١٩١٢ - ١٩١٣ ان أضلاع السور الخارجي كانت تبلغ ٣٧٦×٤٤٤ متراً اي ان مساحة المسجد والزيادات التي في خارجه كانت تربي على ١٧ هكتاراً او اكثر من ٦٨ دونماً عراقياً (مشارة) .

وتوجد داخل هذا السور بين جدران المسجد وبين السور آثار أبنية قديمة تدل على أنه كانت حوالي المسجد مدارس دينية يدرس فيها الطلاب الذين كانوا يسكنون هناك على نمط هيئة المدارس الدينية الحالية في الجوامع والأماكن المقدسة .

أما منارة الملوية فتقع على بعد ٢٥ متراً من حائط المسجد الشمالي وعلى محوره الاوسط تماماً ، وهي مخروطية الشكل وتقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها (٣٢ متراً) وتعلو هذه القاعدة منارة حلزونية ذات مرقى سعته ٢٥٠ متراً يبدأ من وسط الجانب الجنوبي للقاعدة ويدور في اتجاه عكس عقارب الساعة حتى تم دورات خمس وتنتهي بغرفة صغيرة اسطوانية الشكل قطرها ستة أمتار وارتفاعها ستة أمتار ايضاً ويزينها ثماني حنيات عليها عقود مدببة كل حنية منها في اطار قليل العمق يستند على عمودين صغيرين من الآجر ، والحنية الجنوبية تؤلف باباً تنتهي عنده الرقاة وتؤدي الى درج حلزوني ينتهي عند قمة المنارة : ويعتقد هرتسفلد أن هذا المرقى كان به قديماً ستائر خشبية لأن الدرجات

ثقباً يظن أنها عملت لتثبيت قوائم هذه الستائر الخشبية ، و يبلغ ارتفاع المنارة عن سطح الأرض اثنين وخمسين متراً وارتفاعها عن سطح القاعدة خمسين متراً . وفي القمة ثمانية ثقب استنتج هرتسفلد من وجودها أنه ربما كانت تغطي هذا الموضع سقيفة مرفوعة على ثمانية اعمدة خشبية مثبتة في هذه الثقوب ، ويبدو أن المنارة الملوية وشبهتها منارة ابي دلف مشتقتان من بعض الزقورات البابلية وإن كان من الصعب أن نذهب الى أنها منحدرتان او منقولتان عنها مباشرة وقيل إن هاتين المنارتين تذكران بالبروج المعروفة باسم (آتشكدها) والتي كانت تقام بايران لعبادة النار .

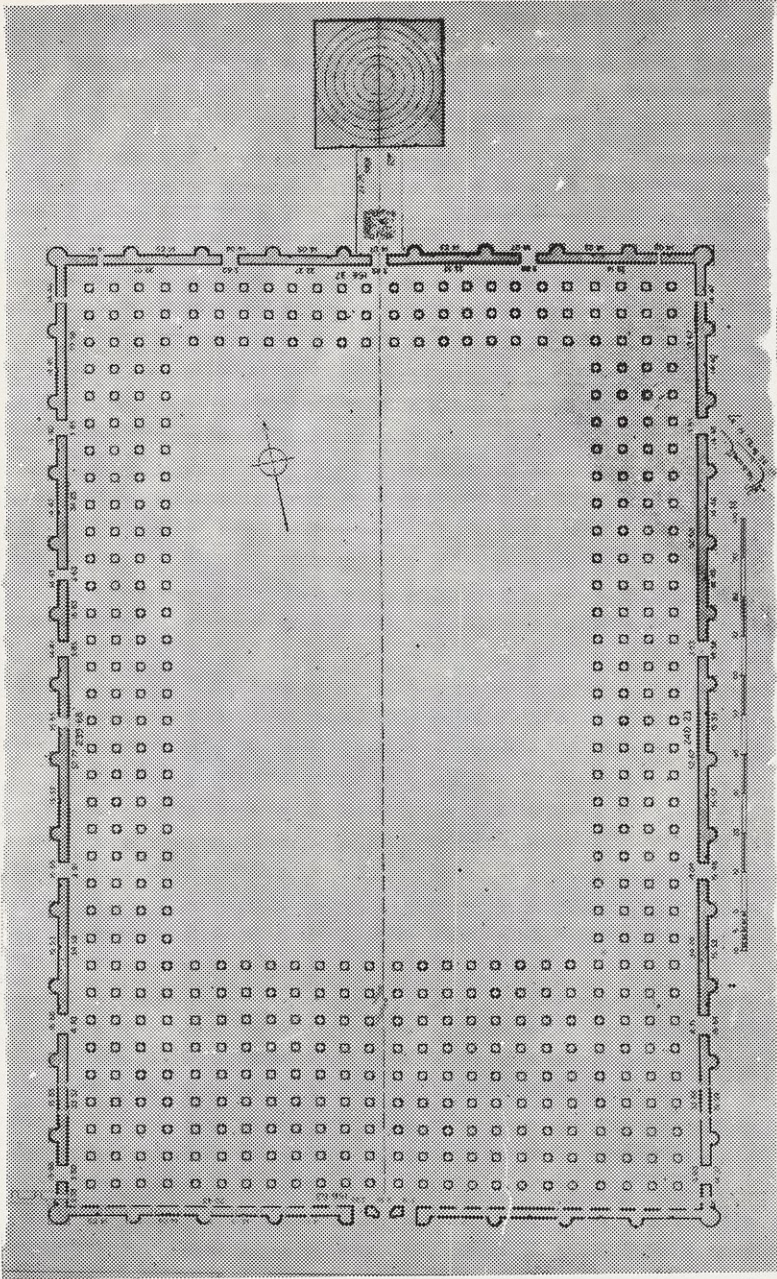
ويقول الدكتور أحمد سوسة عند وصفه هذه المنارة بقوله (ويتفق علماء الآثار بأن فكرة بناء مئذنة ذات مرقى حلزوني كالمئذنة التي تقدم وصفها مشتقة من الزيجورات البابلية القديمة لأنها على طراز الزقورة التي كان يتخذها الصابئة من السكلدانيين والحرثانيين والبابليين في بيوت عبادتهم وكان يسميها العرب الهيكل . وأشار اليعقوبي الى أن المتوكل (جعل الطرق الى المسجد من ثلاثة صفوف واسعة عظيمة من الشارع الذي يأخذ من وادي ابراهيم بن رياح في كل صف حوانيت فيها أصناف التجارات والصناعات والبياعات ، عرض كل صف مائة ذراع بالذراع السوداء تساوي الذراع السوداء حسب التقدير المتفق عليه من قبل العلماء المحققين حوالي ٤٩ سنتماً . لثلا يضيق عليه الدخول الى المسجد اذا حضر المسجد في الجمع في جيوشه وجموعه ونخيله ورجله ، ومن كل صف الى الذي يليه دروب وسكك فيها قطائع جماعة من عامة الناس فاتسعت على الناس المنازل والدروب واتسع أهل الاسواق والمهن والصناعات في تلك الحوانيت

والاسواق التي في صفوف المسجد الجامع، واقطع نجاح بن سلمة الكاتب في آخر الصفوف مما يلي قبلة المسجد واقطع احمد بن اسرايل الكاتب أيضاً بالقرب من ذاك، واقطع محمد بن موسى المنجم واخوته وجماعة من الكتاب والقواد والهاشميين وغيرهم (١).

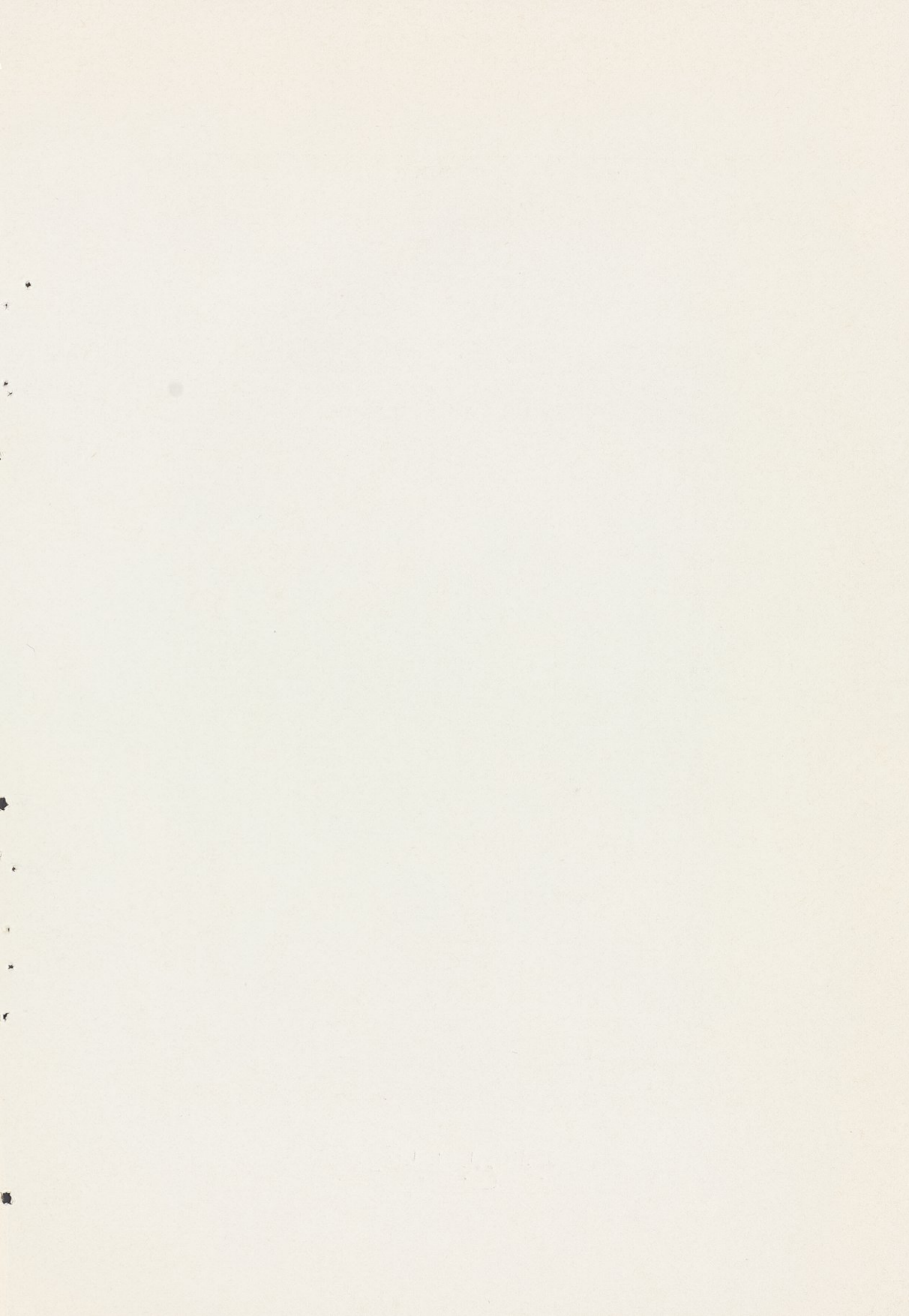
يتضح مما تقدم أن الشوارع الثلاثة التي كانت تؤدي الى المسجد كانت تتفرع من الشارع الأعظم الذي ينزل من وادي ابراهيم بن رباح، وهو الشارع الرئيسي الذي كان يسير محاذياً الضفة الشرقية لنهر دجلة ومخترباً حدائق (دار الخليفة) (دار العامة) الواقعة أمام الدار من جهه الغرب، فتترك الشارع الاعظم جنوبي (دار الخليفة) و (قصر الهاروني) و (قصر الجوسق) وتتجه شرقاً حتى تفضي الى المسجد في جانب الحائط الغربي الذي كانت فيه ثمانية أبواب وذلك بعد أن تحترق السور الخارجي للمسجد.

ويقول الدكتور احمد سوسه : (ومما بلغت النظر أن هرتسفلد رسم هذه الشوارع الثلاثة في الخارطة التي وضعها عن سامراء القديمة بحسب وصف اليعقوبي وهي صاعدة من الجنوب الى الشمال نحو الحائط الجنوبي للمسجد وهو الحائط الذي يقع فيه المحراب وكان بدون أبواب ولا شك أن ذلك بعيد كل البعد عن الواقع وهو لا يتفق ووصف اليعقوبي الذي يشير بصورة واضحة الى أن الشوارع الثلاثة كانت تنزل من جهة وادي ابراهيم بن رباح وهو الوادي الواقع في الشمال وفضلاً عن ذلك لا يمكن تصور هذه الشوارع في جنوب المسجد في حين أن الخلفاء كانوا يسكنون في القصور الواقعة في الجهة الشمالية

(١) كتاب البلدان لليعقوبي ص ٣١ طبعة النجف.



٧ - تخطيط جامع الملوية



الغربية من المسجد كقصر الجوسق وقصر الهاروني ثم ليس من المعقول أن تتجه الشوارع في اتجاه حائط القبلة الذي يقع فيه المحراب وهو بدون اي مدخل .

وفيا ذكره الطبري عن حادث مقتل موسى بن بغا في سنة ٢٥٦ هـ دليل واضح على أن الطريق المؤدي الى المسجد بين الجوسق والمسجد كان من جهة المئذنة الملوية اي من الشمال ، فقال الطبري ما نصه :

« وفي سنة ٢٥٦ اخرج العامة موسى بن بغا من داره ثم اخرجوه من باب الخير الذي يلي قبلة المسجد الجامع ليذهبوا به الى الجوسق فلما صاروا به الى حد المنارة ضربه رجل من اصحاب مفلح ضربة من ورائه على عاتقه الخ . . . » (١)

ويشاهد بجانب المسجد وعن شماله من الغرب سور من اللبن يسمى « سور عيسى » او « سور ام عيسى » يضم داخله بقايا بناء ولا يعلم على التحقيق من هو هذا عيسى هل هو عيسى بن موسى العباسي ، لأن اليعقوبي لم يذكره في كتاب البلدان عند ايراده الاقطاعات التي اقطعها الخليفة اصحابه وبناء هذا السور من اللبن طوله ٣٦٠ متراً وعرضه ٢٠٠ متراً ويشاهد المرء وراء السور على مسافة ٢٠٠ متر عنه تلو لا كثيرة كشف الدكتور هرتسفلد عن قسم يعرف باسم « دار بهلول » فظهرت فيه البنية هي عبارة عن غرف متصلة بعضها ببعض وبنائها باللبن وطلّي خارجها بالجص وعلى الجص غشاء من البورق كما يشاهد على بعد كيلو مترين من السور شمالاً آكام وتلول على جانبي الطريق الذي في الحدود الشرقية للاطلاع تعرف الآن بـ « مدق الطبل » وقد دلت التقييمات فيها أنها كانت دوراً

(١) الطبري (٣ : ١٨١٠)

واسعة تشتمل على كثير من الحجرات كلها قرينة بالزخارف والتخاريم الحصية .
ويقول الدكتور كرزول في وصفه جامع الجمعة ما نصه : مسجد سامراء
مستطيلاً طوله ٢٤٠ متراً وعرضه ١٥٨ متراً (اي بنسبة ٣ : ٢) تطيف به جدران
ذات أبراج مبنية جميعها بالآجر . فمساحته على التقريب ٣٨ الف متر مربع ومحرا به
ليس على سمت القبلة فهو منحرف عنها بمقدار ١٣٠ درجة لأنه يقع على درجة ١٢
جنوباً بغرب بينما القبلة الحقيقية للمكان تقع على درجة ٣٠ ر ١٣ . ولم يبق من هذا
المسجد غير جدرانه الخارجية أما الدعائم والأعمدة والسقف فلا وجود لها .
وتبلغ نخانة هذه الجدران مترين وهي مبنية بالآجر الاحمر الغامق الضارب لاسواد
الذي تبلغ الواحدة منه ٢٤ سنتماً مربعاً . وقد تأكل وجه البناء الى ما فوق
قائمة الرجل بفعل الرطوبة والاملاح وما تنتجه من التأثير الكيماي في مواد البناء
لا بسبب تعرضه لرمال الصحراء وهبوب الرياح كما كانت تعتقد العالمة الاثرية
جرترود بل Gertrud bell وهو يشبه من هذه الوجهة قصر الحير . والابرار نصف
دائرية تقريباً وقطرها في المتوسط ٤٥٠ المتر وهي تبرز عن الحائط بمقدار مترين .
وبين كل برج والذي يليه ١٥ متراً تقريباً . وهناك من هذه الأبرار أربعة
في الاركان وعشرة في كل من الجدران الشرقى والغربى وثمانية في كل من
الجدارين الشمالى والجنوبى ، فهي جميعاً أربعون برجاً . وتبرز الابرار الواقعة
في الاركان الجانبية مترين الى الخارج ومترين في الداخل ، ولذلك فأقطارها
اعظم من أقطار الابرار الاخرى التي لا تبرز سوى مترين الى الخارج فقط .
(الابواب) لهذا المسجد واحد وعشرون باباً كبيراً وبابان صغيران سعة
كل منهما ١٢٥ المتر ومن هذه الابواب خمسة من الجانب الشمالى للمسجد بين

كل منها والذي يليه برجان يحصران بينهما جزءاً من الحائط لا باب فيه . على الترتيب الآتي :

برج الركن الشمالي الشرقي . . . يتلوه الباب الاول .

وبرجان يحصران بينهما جزءاً من الحائط لا باب فيه .

ثم الباب الثاني ، ويتلوه برجان بينهما جزء من الحائط المسدود .

ثم الباب الثالث ، ويتلوه برجان بينهما جزء من الحائط المسدود .

ثم الباب الرابع ، ويتلوه برجان بينهما جزء من الحائط المسدود .

ثم الباب الخامس ، ويتلوه برج الركن الشمالي الغربي .

اي إن البرجين الجانبيين الركنيين الشماليين والابراج الشمالية الاخرى تحصر بينهما خمسة ابواب مفتوحة في الجدار الشمالي والرسم الآتي يوضح ذلك :

برج الركن ، برج ١ ، برج ٢ ، برج ٣ ، برج ٤ ، برج ٥ ، برج ٦ ، برج ٧ ، برج ٨ ، برج ٩ الشمالي الشرقي

— : — : — : — : — : — : — : — : — : —

باب باب باب باب باب

١ ٢ ٣ ٤ ٥

ويبلغ متوسط سعة البابين القريبين من الركنين ١٠٥٠ المتر ومتوسط سعة الابواب الثلاثة الاخرى ٤ أمتار . وبالحائط الغربي ثمانية ابواب تقع من الشمال الى الجنوب على النظام الآتي :

١ - باب سعته ٤٠٥٥ المتر وحائط ٢٠ - باب سعته ٤٧٥ المتر وحائط

٣ - باب سعته ٣٨٥٥ المتر وحائط ٤٠ - باب سعته ٢٦٢٢ المتر ٥٠ - باب

سعته ٤٠٠ ر٤ أمتار ٦٠ - باب سعته ٢٦٢ المتر وحائط ٧٠ - باب سعته ٤٠٥ المتر وحائط ٨٠ - باب سعته ١٥٠ المتر .

يضاف اليها باب صغير سعته ١٢٥ المتر مما يلي البرج الركني الجنوبي .
وتتفق مواقع الابواب في الحائط الشرقي المقابل مع مواقع ابواب الجانب الغربي
بحسب النظام السابق عدا البابين الرابع والسادس فلا وجود لهما ولذلك نجد
مواقع الابواب في هذا الجدار كما يلي :

باب حائط باب حائط باب حائط باب حائط باب حائط باب حائط باب
٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

فهناك ستة ابواب فقط يضاف اليها الباب الصغير الخلفي في الطرف الجنوبي
ومن ذلك يتضح خطأ التخطيط الذي وضعه دي بيليه De Beylie في ثلاثة جوانب
من المسجد والذي رسمه فيوليه Viollet في الجانب الشمالي وخطأ التخطيطين اللذين
نشرهما هرتسفلد أيضاً عن هذا المسجد والرسم الوحيد الصحيح الذي نشر هو الذي
عملته جرترودبل وقلما نجد مواقع الابواب في منتصف الحائط المفتوحة فيه تماماً . وإذا
فحصنا نظام أروقة المسجد فإنا نجد أن هذه الابواب قد اختيرت مواقعها بحيث
تتفق ونظام الاروقة في حرم المسجد ورواقيه الجانبيين وتقع على محاورها .

أما في الجانب الجنوبي للمسجد فلا يوجد سوى ثلاث فتحات في الجزء
الأوسط من الجدار وقد أثبتت استكشافات هرتسفلد وحفائره أن الفتحة
الوسطى لم تكن باباً بل محراباً .

ويمتاز البرجان الجانبيان النصف الدائريين اللذان يحفان به عن غيرها بأنها
مستطيلان من وجهها الداخلي حتى مستوى قمة الابواب وبذلك تكون جملة

الابواب واحداً وعشرين باباً يضاف اليهما بابان صغيران سعة كل منهما ١٢٥ متر كما قدمنا . وقد سقطت جميع أجزاء البناء التي كانت تعلو الابواب الكبيرة ، ولكننا إذا فحصنا الاكتاف الجانبية للابواب الباقية في حالة جيدة إتضح لنا أنه كانت هناك عقود عاتقة واطئة تقويها كتل خشبية ، ففي الباب الجنوبي الكبير في الجانب الغربي مثلاً نجد الى اليمين أن البناء (من الطوب) يميل بانحناء الى الخلف ، ويستنتج من ذلك أن عقداً واطئاً كان يبدأ من هذا المكان كما ترى في الحائط مواضع الاعتاب او الكتل الخشبية في نفس المستوى وأعلى منه قليلاً . أما جزءه من الحائط الذي يعلو هذه الآثار فهي مبنية بالطوب وليس فيه ما يستحق الملاحظة سوى أنه يبرز قليلاً عن جانب الباب الذي يقع أسفله . فماذا يعني ذلك ؟

إن الجواب عن ذلك يمكن معرفته اذا فحصنا فحصاً دقيقاً . ففي أحد الابواب نرى بدء عقد صغير جداً ممتداً الى الخلف على هيئة قبة متجه الى داخل الحائط مما يدل على أنه كانت هناك عدة نوافذ صغيرة معقودة تعلو قمة كل باب من الابواب الكبيرة أسفل الافريز ذي الحشوات الغاطسة مباشرة . وهذا يفسر السبب في عدم وجود نوافذ في الجزء الجنوبي النهائي في كل جانب . إذ لم تكن هناك حاجة اليها لوجود الفتحات التي تعلو هذه الابواب ولكنها كانت ضرورية في أجزاء الحائط التي تليها حيث لا توجد ابواب بها .

(الافريز) والابراج خالية تماماً من الزخرفة ولكن الحائط محلي بطراز من الزخارف قوامه ست دخلات مربعة في كل منها زخرفة على هيئة صحن الفنجان وهي غير عميقة إذ يبلغ قطرها متراً وعمقها ٢٥ سنتمراً ولا يزال بعضها

تغطيه كسوة من الزخارف الجصية وجزؤها العلوي على شكل عقد نصف دائري
لاعلى هيئة دائرة كاملة كما كان ينتظر في مثل هذه الحالة . وفي كل جزء من
الحائط شق رأسي عمودي (وفي واحد منها شقان) ولا شك أن هذه الشقوق
كانت بها أنابيب (او مواسير) لتصرف مياه المطر من سطح المسجد المستوي
وجملة ارتفاع الحائط في الوقت الحاضر حوالي ١٠ر٥٠ المتر ويظهر أن ارتفاعه
الاصلي لم يكن يربي على ذلك كثيرا .

(الشبابيك) وبالجزء العلوي من الحائط الجنوبي أسفل مستوى الافريز
٢٤ نافذة اثنتان منها فوق البابين اللذين يحفان بالمحراب . وتقع هذه النوافذ على
أبعاد متساوية الا في منتصف الحائط فان ارتفاع الاطار المستطيل الذي يحيط
بالمحراب جعل من المتعذر فتح نافذة في هذا الموضع . وسرى ان مواقع هذه
النوافذ تتفق تماما مع نظام اروقة حرم المسجد الخمسة والعشرين وانها تقع على
محاورها . وقد كانت هناك ايضا نافذتان اخريان في كل جانب من جوانب
الجزء الثاني من الحائط من الجنوب وبذلك يصبح جملة عدد النوافذ ٢٨ نافذة
على انه لم تكن هناك نوافذ أخرى لعدم الحاجة اليها لأن الاروقة الجانبية كانت
أقل عمقا من اروقة حرم المسجد . وهذه النوافذ من الخارج عبارة عن فتحات
ضيقة مستطيلة . أما من الداخل فتعلوها عقود ذات خمس حنيات تحملها أعمدة
جانبية متصلة بالحائط . ومحيط بذلك جميعه اطار مستطيل غاطس .

وقد سبق أن اوضحنا أن هذه النوافذ تقع بالضبط على محاور الاروقة
ولسكنها ليست على نسق واحد في أجزاء الحائط التسع فتارة تكون مفتوحة في
الحائط واخرى في جوانب الابراج وهناك نافذة مفتوحة في وسط احد الابراج

تماماً . وقد عثر هرتسفلد في حفائر سنة ١٩١١ على قطع من الزجاج تُخنها ٢٥
سنتمتر هي بلاشك من النوع الذي كانت تملأ وتُحلى به هذه النوافذ .

(المسجد من الداخل) :

نظرا لعدم وجود الدعائم التي كان يقوم عليها سقف المسجد لأخذها من
مواضعها بغية الاستفادة من مادتها واستخدامها في أغراض أخرى لم يكن من
المستطاع معرفة تخطيط المسجد بالضبط حتى قام هرتسفلد باستكشافاته سنة ١٩١٠
للهم الا فيما يتعلق بعدد أروقة حرم المسجد فان الاعمدة حين نُزعت حتى أسسها
تخلفت عن ذلك حفر يستدل بها الآن على أنه كان يوجد اربعة وعشرون صفاً
من الاعمدة تكون خمسة وعشرين رواقاً تتفق مجاورها مع مواقع الرواق
الأوسط منها اكثر اتساعاً من بقيتها وقد كان السقف يرتكز على هذه العمدة
مباشرة فلم تكن هناك حاجة الى القناطر ولو كانت هناك قناطر لشاهدنا آثار
اتصالها بالحائط ، ولكن هذه الآثار لا وجود لها مطلقاً في جميع الجدران .

وقد أثبتت استكشافات هرتسفلد وأعمال الحفر التي قام بها انه كان يوجد
حقيقة بحرم هذا المسجد ٢٥ رواقاً الأوسط منها اكثر اتساعاً من البقية و ٢٤
صفاً من الأعمدة في كل منها عشرة عمد وبالرواق الشمالي (ويمكن تسميته بالبلاط
او الأيوان او الليوان الشمالي) ٢٥ رواقاً الاوسط منها اكثر اتساعاً من
البقية و ٢٤ صفاً من الأعمدة في كل صف منها ثلاثة عمد تسير عمودية
على الحائط الشمالي .

أما الرواقان الجانبيان فكان بكل منها ٢٢ صفاً من الأعمدة مكونة ٢٣
رواقاً في كل صف منها أربعة عمد تسير موازية لحائط القبلة وبذلك تكون

جمله عدد الاعمدة ٤٨٨ عموداً .

(الاسس) كانت أسس الجدران مرتكزة على الصخر وكذلك كانت صفوف الاعمدة تقوم على أسس مستمرة قليلة الارتفاع مبنية على الصخر . وقد ملئت المساحات الواقعة بين جدران هذه الاسس الواطئة بالدقشوم والحصى وسوى سطحها ثم غطى بطبقة من الطوب كانت بمنزلة قاعدة لارضية القاعات الرخامية ، وهذا يؤيد ما رواه المقدسي من أن أرض هذا المسجد كانت مفروشة بالرخام . ويظهر أن صحن المسجد كان مبلطاً بالطوب فقط . وقد وجد هرتسفلد أن الجزء الأكبر من طوب ارضية الصحن لا يزال بحالته الاصلية لم تمتد اليه يد بينما طوب جدران الاسس قد اخذ جميعه ونقل من موضعه ولم يبق منه شيء أصلاً .

(الدعائم) :

يمكن معرفة شكل الدعائم اذا درسنا بعناية آثار مواضعها الباقية في الردم حيث لا تزال بقية باقية من الجص الذي كان يكسو قواعدها . وقد كانت هذه القواعد مربعة وطول كل ضلع ٢٠٧ متر وترتكز عليها ارجل مشننة مبنية بالطوب في كل ركن من اركانها الاربعة عمود من الرخام ذو تاج مركب . وقد امكن قياس أوجه الارجل الثماني حيث لا تزال بقاياها في الردم . وقد كانت بعض الاعمدة الرخامية مستديرا وبعضاً مثنماً قطرهما حوالي ٣٠ سنتمرا اما بدن العمود فكان يربي على المترين . وترتكز هذه الاعمدة على صفائح من الرصاص وتدور حولها أطواق من المعدن في مواضع هذا الاتصال . وقد لحظ على احدى الارجل (او الاساطين) بعض الرموز اليونانية التي كان يتركها

البناءون اليونانيون على صدق الرواية القائلة بجلب البنائين والأعمدة من اللاذقية وانطاكية . وهذه الأعمدة الجانبية ذات تيجان وقواعد على شكل الساعة . وارتفاع داخل المسجد من البلاط حتى مواضع كتل السقف ٩٣٥ المتر وهذا يسمح بوجود تاج وقاعدة ارتفاع كل منهما ذراعان وعمود ركني بدنه مكون من ثلاث قطع يضاف إليها تاج وقاعدة ارتفاعها ٥٠ سنتمراً ، وكانت الأعمدة مختلفة الالوان والمواد وقد وجد منها تسعة ألوان . أما من حيث المواد فكان أكثرها من الرخام (١) وقليل جداً من الجرانيت وكانت الارجل مبنية بالآجر ومطلية بالجص بلون يتفق مع لون بدن العمود المتصل بها .

ونحن لا علم على وجه الدقة كيف عولجت واجهة الصحن ولا الحالة التي كانت عليها إلا أن هرتسفلد عثر على أربعة عمد من أعمدة إحدى الارجل في موضع أساس الركن الجنوبي الشرقي للصحن بالضبط واستنتج منها أن واجهة الصحن لم تكن تختلف مطلقاً عن صفوف الأعمدة التي خلفها . إلا أنه لاحظ أن أسس واجهة الصحن اعرض من أسس بقية صفوف الأعمدة .

(المحراب) :

وقد أثبتت حفائر هرتسفلد أن ما كان يظن من قبل أنه باب في منتصف الحائط القبلي لم يكن في الحقيقة سوى محراب المسجد ولم يكن تجويف هذا المحراب مستديراً بل مستطيلاً عرضه ٢ر٥٩ المتر وعمقه ١ر٧٥ المتر وكان يحف به من الجانبين زوجان من اعمدة الرخام وردية اللون ذات قواعد وتيجان على

(١) في عام ١٩٦٤ م رفع التراب من داخل المسجد فتمت على أربعة اعمدة من الرخام

شكل ساعة جلبت من عينتاب وكان يرتكر على هذه الاعمدة عقدان مدبان متحدا المركز يضمها إطار مستطيل يرتفع بارتفاع المسجد ويتكون من حز وخاصة منشورية وحز عريض وقطاعها جميعاً على شكل ثلاثة ارباع دائرة ولا يبرز هذا الاطار على وجهه الخائط . وقد كان خصراً هذين العقدين محليين بنسيفساء مذهبة . وقد اثر على عدة قطع من الزخارف الجصية ولكن لم يكن من المستطاع معرفة مواضعها بالضبط .

ووجد هرتسفلد ايضاً أن البابين الواسعين اللذين يحفان بالمحراب ويعلوها عتبان أفتيان لم يكونا مدخلين رئيسيين مفتوحين من الخارج بل كانا يوصلان الى غرف متصلة بالمسجد وبوجه الخائط حول المحراب والبابين الجانبين كثير من الحروز الأفقية يعتقد هرتسفلد أنها آثار مواضع تركيب بعض الحشوات الخشبية .

(الزخارف) :

يقول المقدسي : إن هذا المسجد كان يضارع مسجد دمشق في رونقه وبهائه وإن جدرانه كانت مكسوة بالميناء وقد اختلف رانكنج ولسترينج في ترجمة هذه العبارة فترجمها الاول على أنها كانت مطلية بالميناء وترجمها الثاني على أنها تعني ألواح الخزف او مربعات القاشاني الموهة بالميناء أما هرتسفلد فشك في صحة استنتاج هذين العالمين وذكر أن كلمة الميناء الواردة بهذه العبارة تعني الفسيفساء الزجاجية . وعزز رأيه هذا بالاشارة الى ما رواه اليعقوبي من أن المعتصم (حمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف) . ولكنه عاد فيما بعد وغير رأيه هذا وأبدى أنها تعني الخزف ذا البريق المعدني لأنه كان بلاشك

شائعاً ومعروفاً في ذلك الوقت . ودليل ذلك إطباق القاشاني التي ارسلت من بغداد الى مسجد القيروان الكبير سنة ٢٤٨ هـ (٨٦٢ - ٨٦٣ م) وما زالت تحلي محراب هذا المسجد الى الآن .

إلا أن الاستكشافات التي قام بها في هذا الموضع في سنة ١٩١٠ على رأس البعثة الألمانية أثبتت صدق رأيه حيث عثر على كثير من بقايا الفسيفساء الزجاجية التي يمكن الآن معرفة الطريقة الفنية في صنعها وإن كان من المستحيل معرفة أشكال الموضوعات الزخرفية والرسوم التي كانت تتكون منها .

(الفوارة)

ولا تزال في وسط الصحن بقايا الفوارة العظيمة التي كانت بهذا المسجد وذكرها اليعقوبي بقوله : (وجعل فيه فوارة ماء لا ينقطع ماءها) .

ووصفها المستوفي بأنها كانت من قطعة واحدة من الحجر . دورها ٢٣ ذراعاً وارتفاعها سبعة أذرع ثمانتها نصف ذراع وكانت تعرف بكأس فرعون . ولم تكن توجد قطعة واحدة من الحجر بهذه الضخامة في جوار سامراء ولا في المناطل المحيطة بها أكثر من ثلاثين فرسخاً .

وروى المستوفي أيضاً أنه (اي المعتصم) بنى مئذنة للمسجد ارتفاعها ١٧٠ ذراعاً يرقى إليها من الخارج وهي منفردة في طرازها ولم يبن نظيرها من قبل ، ولا شك أنه بقوله هذا يشير الى فوارة ومأذنة مسجد سامراء . وإن كان قد عزا بناءه خطأ الى المعتصم وقد أثبتت حفائر هرتسفلد أن الأسطواني للقاعدة كان مبنياً بالطوب ومونة الجير والرماد . وهو الجزء الباقي من هذه الفوارة . أما كأسها فكانت من تركة على قاعدة مكسوة بالرخام لا تزال بقايا جزء منها موجودة

الى الآن . وعثر بجوار الفوارة خارج الاسطوانى على قطع من أعمدة
الرخام والثيرجان وعلى زخارف جصية منقوشة ومذهبة ومحلاة بفسيفساء زجاجية ،
ولذلك يظن انه كانت هناك سقيفة من الخشب محمولة على دائرة من الاعمدة
مرفوعة فوق هذه النافورة المسماة (كأس فرعون) .
(الزيادات) :

يتضح من دراسة الطرف الجنوبي للجزء الجنوبي من حائطي السورين الشرقي
والغربي أنه كان هناك حائط يتصل بهذين الطرفين . ودليل ذلك أنه لا يزال
يوجد بقايا بدء عقد منخفض بالحائط الغربي . مما يدل على أن هذا الحائط كان محلى
ببوائك معقودة صماء مماثلة للبوائك المسدودة (برحبة الشرف) بقصر الاخضر .
وتدل الصورة الجوية التي صورت لهذا المسجد على أن هذه الحيطان لا يكاد
يرى السائر آثارها إلا بصعوبة كانت جزءاً من سور عظيم كان يطيف بالمسجد
من جوانبه الشرقية والغربية والجنوبية وكان يحيط بهذا المستطيل العظيم من
جوانبه الاربعة سور آخر يفصله عن السور الاول فضاء مكشوف عظيم الاتساع
في الشرق والجنوب والغرب وأكثر ضيقاً في الشمال . ويعرف هذا الفضاء المتروك
بين السورين بالزيادة . وكانت جدران الزيادات جميعاً مبنية بالطوب ولكنه
- مع الاسف الشديد - حمل أكثره الى جهات أخرى (١) .

ويتضح من حفائر هرتسفلد سنة ١٩١٢ - ١٩١٣ أن اضلاع السور
الخارجي كانت تبلغ ٣٧٦×٤٤٤ متراً أي ان مساحة المسجد والزيادات تربى

(١) أثبتت التنقيبات التي أجريت في المسجد المذكور عام ١٩٦٧ من قبل مديرية الآثار
العامة بوجود زيادة بالجانب الغربي من المسجد حيث ظهر مكان الاعمدة الرخامية .

على ١٧ هكتاراً او اكثر من ٤١ فدانا . ولا شك أن الابنية التي كانت بها
المراحيض وأماكن الوضوء او المطهرة كانت جميعاً بهذه الزيادات كما يشاهد ذلك
في مسجد ابن طولون الذي بني على مثال هذا المسجد .

وقد ذكر اليعقوبي أن المتوكل (جعل الطرق المؤدية الى المسجد من ثلاثة
صفوف واسعة عظيمة من الشارع الذي يأخذ من وادي ابراهيم بن رياح في كل
صف حوائت فيها اصناف التجارات، والصناعات والبياعات عرض كل صف
مائة ذراع بالذراع السوداء لثلا يضيق عليه بالدخول الى المسجد في الجمع في جيوشه
وجموعه ورجاله ومن كل صف الى الصف الذي يليه دروب وسلك فيها قطائع
جماعة من عامة الناس فانتسعت على المنازل والدور واتسع أهل الاسواق والمهن
والصناعات في تلك الحوائت والاسواق في صفوف الجامع . . . الخ .

وقد عالج شفارتش Sehwarz موضوع هذه الصفوف وعارض في أن وجودها
بهذه العظمة والاتساع يستلزم أن تكون للمسجد واجهة تساوي تقريباً طول أحد
جوانبه تؤدي اليها هذه الصفوف . ولأجل أن يتغلب على هذه الصعوبة ظن أن
هذه الصفوف لم تكن سوى الزيادات في الحقيقة وهمية لأنه لم يتنبه الى أن هذا
السور الخارجي كانت اطوال اضلاعه 376×444 متراً وهي كافية تماماً لأن
تنتهي اليها هذه الشوارع او الصفوف الثلاثة .

(المئذنة) :

وتعرف بالملوية وتقع بالزيادة على بعد ٢٥ متراً من الحائط بالمسجد وعلى
محوره الاوسط تماماً وطول ضلع قاعدتها المربعة ٣٢ متراً وهي تتصل بالمسجد
بأساس طوله ٢٥ متراً وعرضه ١٣ متراً وفي وسطه صغير يوصل الى القاعدة حيث

يبدأ المرقى بطريقة تشبه تماماً زيجورات بابل . والقاعدة محلاة الى جانبي الجسر بصفة (محراب صغير) مستطيلة قليلة الغور . وتعلو هذه القاعدة مئذنة حلزونية ذات مرقى سعته ٢٥٠ المتر يبدأ من مركز او وسط الجانب الجنوبي ويدور في اتجاه عكس عقارب الساعة حتى تم دورات خمس وكلما صعد الانسان الى أعلى زاد الانحدار المرقى شدة . ويعتقد هر تسفلد إن هذا المرقى كان به قديماً درابزين من الخشب لأن الدرجات فيها ثقبواً يظن أنها عملت لتثبيت قوائم هذا الدرابزين الخشبي ، وفي قمة هذا الجزء الحلزوني طابق آخر اسطواني قطره ستة أمتار وارتفاعه ستة أمتار كذلك محلى بثمانية صفوف عقودها مدببة كل منها في اطار قليل الغور مدبب العقد بعمودان صغيران من الطوب ، وينتهي المرقى عند الضفة الجنوبية وهي مفتوحة وبها باب يوصل الى سلم شديد الانحدار يبدأ مستقيماً ثم يصير حلزونياً بعد ذلك . وفي نهايته تجد قمة المئذنة وهي ترتفع عن القاعدة بمقدار ٥٠ متراً تماماً . وفي هذه القمة ثمانية ثقبو استستج هر تسفلد من وجودها أنه ربما كانت تعطي هذا الموضع سقيفة مرفوعة على ثمانية اعمدة خشبية مثبتة في هذه الثقبو . هذه هي صفة المئذنة الملوية إلا أن ريفورا Rivoiro العالم الأثري الايطالي يشير اليها بقوله (إن المئذنة المربعة التي يتوجها في أكثر الاحيان طابق اسطواني علوي كانت الطراز السائد في عصور الاسلام الاولى كمئذنة مسجد ابن طولون والحاكم بالقاهرة) .

(نفقة المسجد) وقد بلغت النفقة على المسجد خمسة عشر الف الف درهم كما روى ياقوت الحموي او ما يساوي اربعمائة الف جنيهه استرليني بالعمل الانكليزية .

(التاريخ) والمؤرخ الوحيد الذي ذكر التاريخ الحقيقي لبناء هذا المسجد هو
- على ما وصل اليه علمنا - سبط ابن الجوزي وهو يقول انه بديء في بنائه في
سنة ٢٣٤ هـ - ٨٤٩ م وانتهى العمل فيه في سنة ٢٣٧ هـ - ٨٥٢ م .

(المئذنة) من الآراء المسلم بها الشائعة أن فكرة بناء مئذنة ذات مرقى
حلزوني كمئذنة مسجد سامراء وابي دلف مشتقة من الزيجورات البابلية القديمة
ولكن هاتان المئذنتان ليستا صورة صادقة للزيجورات إذ أن الأخيرة كانت
كلها رباعية التخطيط بمعنى أنها كانت مربعة او مستطيلة بنسبة ٣ : ٢ أضف الى
ذلك ان الزيجورات لم تكن جميعها من طراز واحد وقد اثبتت الدراسات الحديثة
لهذا الموضوع أن الطراز الذي كان أكثر شيوعاً من غيره في بناء هذه الزيجورات
كان شكل برج مدرج ذي طبقات تتناقض سعتها كلما ارتفع البناء وواجهتها
عمودية . ويرقى الى قمة الطابق الاسفل منها بسلم خارجي شديد الانحدار ويمكن
الوصول الى الطبقات العليا بأجزاء تعتبر امتداداً لهذا السلم .

فاذا فرضنا أن هذا السلم كان يرتفع على ٤٥ فن البديهي ان يرتد كل
طابق من البناء الى الداخل مسافة تساوي مقدار ارتفاعه . وليس هذا الطراز هو
الاصل الذي بنيت على مثاله المأذنة الملووية ولكنها مشتقة من طراز آخر مسقطه
الافقي مربع ذو سلم او مطلع قليل انحدار يدور حول البناء في دورات
كاملة حتى القمة .

ومن الغريب انه لم يبق من هذا الطراز الامثال واحد هو زيجورات خرساباد
الذي استكشفه بليس Place منذ سبعين عاماً وهو مكون من ثلاث طباق سليمة
وبقايا طابق رابع وقد انتقد بعضهم ملاحظات بليس في هذا الصدد وعارضوا

في دقتها وصحتها ورفضها كولدويوي Koldewey كلية ولكن من الصعب أن نعتقد أن هذه الملاحظات لم تكن في جوهرها صحيحة وهو يقول انه بدلاً من أن يجد البناء مستديراً كما كان ينتظر وجده مربعاً تام التربيع طول ضلعه ٤٣١٠ متر وركنه الجنوبي مبدأ سلم قليل الانحدار سعة درجته متران وعرضها ٨٠ سنتمترأ وارتفاعها سنتمتران ويمتد هذا السلم على طول الضلع ويدور عند الاركان ثم يستمر صاعداً ماراً بجميع اركان البرج على التعاقب حتى وجد المستكشفون انفسهم ثانية عند نقطة لا يزيد ارتفاعها عن النقطة التي بدءوا منها سوى ١٠٦٠ متر .

* * *

كانت واجهات البرج محلاة بمجموعة من البدنات والدخلات وبالخافة الخارجية للسلم آثار دروه وجد بعض اجزائها في نقطتين في حالة سليمة تمكننا من معرفة شكل الشرفات التي كانت عليها . وكان السلم يدور حول البرج على طراز سلم سامراء اي عكس عقارب الساعة كما وجدت ثلاثة أدوار او طباق قائمة ارتفاع كل منها ٦١٠ المتر وبقايا طباق رابع وينقص طول ضلع كل طباق عن الذي في اسفل بمقدار اربعة امتار لارتداد كل طباق الى الداخل مترين بسبب السلم وقد وجد بليس أن الطابق الاسفل كال محلى بزخارف جصية بيض والثاني ملطخ بالسواد والثالث مائل الى الحمرة والرابع مائل الى الزرقة .

واستناداً الى الوصف الذي ذكره هيردوتس Herodotus عن الزيجورات التي بمعبد بعل ببابل اعتقد بليس ان هـ... ذا البرج كان مكوناً من سبع طبقات ارتفاع كل منها ٦١٠ المتر اي ان الارتفاع الكلي للبرج كان يبلغ ٤٢٦٠ المتر وهو يساوي بالضبط طول ضلع القاعدة .

ومع انه لم تستكشف أمثلة اخرى من طراز هذه الزيجورات فليس من المعقول ان نعتقد كما فعل كولدوي Koldewey ان بليس Place قد انساق وراء خياله بعيداً ولا سيما انه لم يعثر من قبل على بناء مماثل مما يمكن أن يوحى اليه بهذا الرأي إذ أن بليس نفسه يقول بصريح العبارة انه انما كان ينتظر أن يجد بناء مستديراً لا مربعاً .

ومهما يكن من شيء فان الوصف الذي تركه هيرودوتس عن زيجورات معبد بل بابل يعتبر القول الفصل في موضوع وجود ابراج ذات سلم حلزوني وفيما يلي ترجمة ما رواه هيرودوتس Herodotus منقولاً عن ترجمة رولنسن Rawlinson الانجليزية .

قال هيرودوتس : . . . وفي وسط هذه المنطقه برج من البناء المصمت طوله $\frac{1}{8}$ الميل (اي $\frac{1760}{8} = 330$ ياردة) وعرضه كذلك يعالوه برج آخر . وفوق هذا ثالث ورابع وهكذا حتى يبلغ عدد الابراج ثمانية . ويرقى الى القمة من خارج البرج في مشى يدور حول جميع الابراج وعندما يصل الصاعد الى منتصف المسافة يجد مجلساً ومقاعد يستريح عليها الصاعدون الى القمة وفي البرج العلوي معبد فسيح بداخله مقعد كبيرة الحجم محلى بكثير من الزخارف والى جانبه خزان من الذهب .

ويلاحظ أن هيرودوتس يقول ان الطابق كانت ثمانية بينما بليس Place في اعادة انشائه لزيجورات خرساباد سبعة فقط .

ولحسن الحظ عثر ج . سميث G. Smith في رحلته الاخيرة على لوحة تعرف بلوحة ايزاجيلا Esagila وقد نقل نصها على عجل قبيل وفاته ، وبهذه اللوحة كتابة

ترجع الى ٢٢٩ ق م . وهي وصف حرم معبد وزيجورات بعل بابل وابعاد طبقاته . وقد عاد كولدوي Koldewey هنا وأبدى كثيراً من الشك قائلاً انه ليس هناك اي دليل او اساس يمكن الاستناد اليه في اثبات وجود الابراج المدرجة . وان هيرودوتس نفسه لم يقل ان كل طبقة كانت اقل حجماً من التي أسفلها (. . .) . يراجع مارواه هيرودوتس ونقلناه فيما سبق وهو القول للفصل في هذه النقطة) وإن كان هذا هو المعقول بل المحتم الذي دعت اليه ضرورة مادة البناء نفسه وهي اللبن ، لأن استخدام هذه المادة اقتضى أن ترتد كل طبقة الى الداخل أكثر من التي أسفلها لمنع تداعي الطبقات السفلى وانبعاجها ولهذا السبب نفسه كان من المستحيل من الناحية العملية وجود سلم في جوف البناء ولذلك كان السلم حلزونياً خارجياً .

ولم يكن احد قد اطلع على لوحة المستر سميث Smith او يعرف ابن هي حتى استكشف شايل Scheil مقرها عند احد الافراد ونشرها بنصها الكامل . ومن هذا النص يتضح ان طبقات البناء كانت سبعة تتناقص تدريجياً كلما زاد الارتفاع وبالاخير منها حرم او منار الاله .

ومع أن هر تسفلد يسلم بأن المأذنة الملوية بسامراء مشتقة من الزيجورات فانه ينكر او كان ينكر اشتقاقها منها مباشرة معتقداً أنه لم تكن هناك زيجورات مطلقاً بالقرن التاسع معروفة معرفة تامة او قائمة في حالة جيدة من الحفظ بحيث يصح أن تتخذ نموذجاً تبني على مثالة مأذنة سامراء ولذلك اعتقد أن هذه المأذنة مشتقة مباشرة من برج جور (فيروزاباد) الذي وصفه فلاندين Flandin و كوست Cost وديولافوي Dieulafoy . وهذا البرج عبارة عن كومة مستطيلة

الشكل مبنية بالحجارة غير المنحوتة ارتفاعها ٣٨ متراً بها آثار سلم يدور حول جوانبها الاربعة . وقد اخبرني هرتسفلد بعد زيارته لها سنة ١٩٣٤ بزمين وجيز انه مقتنع بأن سلم هذا البرج كان يغطيه قبو اسطواني صاعد لوجود آثار عقد هذا القبو ظاهرة في كثير من المواضع . وبناءً على ذلك يكون سلم هذا البرج مغطى كمنظائره في الابراج الاخرى . ولا يمكن مقابلته بالزيجورات . فاذا كانت ملاحظات ومشاهدات هرتسفلد صحيحة - وأنا اسلم بصحتها - فلا تكون هناك اية صلة قطعاً بين برج جور والمأذنة الملوية بسامراء .

على انه لا يمكن القول إنه لم يكن في العراق بالقرن التاسع الميلادي اي مثال ونموذج تبني على مثاله المئذنة الملوية لأن زيجورات بابل المذكورة آنفاً كانت ولا تزال قائمة في حالة جيدة في سنة ٣٥٥ ق م . وقد وصفها هاربوكراتيون Harpocraton الاسكندري في كتابه Cyranides بل إنها كانت لا تزال قائمة في حالة جيدة ايضاً في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي وقد رآها بنيامين التوديلي Benyaminof Tudela ووصف سلمها الذي كان يدور صاعداً حولها .

* * *

اذا ما تقرر ذلك كان من الواضح ان الابتكار الوحيد الذي استحدثه المعمار في مئذنة سامراء في عهد الخليفة المتوكل هو انه نقل فكرة بناء الزيجورات وطبقها بنظام جديد فجعل المئذنة مستديرة بعد ان كانت الزيجورات مربعة . على أنه ليس من المؤكد ايضاً ان هذا كان الابتكار لأنه من الممكن الاعتقاد الآن بأنه كانت هناك زيجورات مستديرة ايضاً . وقد تكون بقايا

احدها قائمة في البناء « النبي » الكبير المصمت الذي كشف في Al Hibba .
والذي عارض هلمبرشت Helpreent من اجله نظرية KoIdewey « الذي
يميل الى اعتبار هذا البناء المرتفع أساساً لقبر هام . وهذا البناء عبارة عن برج
مدرج ذي طابقين يرتكز على الارض مباشرة وهو بحالته المهذمة التي هو عليها
الآن لا يزال يبلغ ارتفاعه ٣٤ قدماً ، وقطر الطابق الاسفل - الذي يرتفع ١٣
قدماً عن السهل - يبلغ ٤١٠ أقدام بينما قطر الطابق الثاني ٣١٥ قدماً فقط . والبناء
مبني كله من اللبن . والطابق الثاني مكسو علاوة على ذلك بطبقة من الآجر
والقار والسطح العلوي للطابقين مبلط بهذه المادة نفسها منعاً لتسرب ماء
المطر الى البناء .

وإذا ما استثنينا الشكل الدائري الذي لا يمكن مع ذلك أن يعد اعتراضاً
جديداً على نظرتي فان بناء Al Hibba به جميع خصائص الزيجورات المميزة
لها . وهو في الحقيقة واحد منها » .

ومذ كتب هلمبرشت ذلك كشفت بقايا مطلع طوله عشرة امتار في الجانب
الجنوبي يرتفع بمقدار متر في كل ١٠٠ متر .

ويجب أن نذكر في هذا الصدد أيضاً معبد Paneion بالاسكندرية الذي
نبه تيرش Thiersch الى ماله من شأن وقد وصفه سترابون Strabon بقوله :
« وهنا أيضاً معبد البانيون Paneion وهو أكمة صناعية على شكل كوز الشربين
شبيهة بكومة من الصخر يصعد الى قمتها بمرفق حلزوني » .

ويظهر أن طراز المئذنة الملوية كان شائعاً في العصر العباسي الاول لأنه
علاوة على وجود بقايا مئذنة مشابهة لمئذنة سامراء بجوار مسجد ابي دلف قاننا

نسمع عن برج مشابه له بناه الخليفة المصنف في ٣٨٩ - ٣٩٥ هـ = ٩٠٣ - ٩٠٨ م لأغراض دينوية . وتقول الرواية إن هذا البرج كان يرقى اليه بسلم حلزوني قليل الانحدار حتى كان الخليفة يصعد الى قمة البرج راكباً حماره . وبذلك كان يستطيع دون اي عناء ان يشاهد الارياض والقرى المحيطة ببغداد . ويقال إن هذه القبة كانت عظيمة الارتفاع مستديرة الشكل وتعرف بقبة الحمار مما يدل على أنها كانت تعلوها في قمته سقيفة مقبية .

ويظهر أن هذا الطراز انتشر حتى وصل الى الصين حيث كانت تعرف امثال هذه الابراج بالتاي Tu او الهو Hu وقد ذكر باليولوتسوي Paleolezue ان هذه الابراج كانت من خصائص ومميزات المساكن المملوكية بالصين من القرن الحادي عشر الى الثالث عشر .

وفي باريس مجموعة من الصور الصينية ترجع احداها الى القرن الثامن عشر وبها صورة بناء شبيهة بهذه الابراج . على أننا نعتقد انها لا يمكن ان تمثل بناءاً كان موجوداً فعلاً او أنها نقلت من نموذج حقيقي لأن دورات السلم في الجانب الايسر من البرج تقع نفس مستوى دورات الجانب الآخر من البرج بعد نصف دورة وفي ذلك مغالطة ظاهرة . وبناءاً على ذلك لا يمكن الاعتماد على هذا الرسم لأنه كما قلنا لا يمكن أن يمثل اي بناء كان قائماً فعلاً .

دار الخليفة او دار العامة

من أهم العمارات التي كانت على شارع السريجة والتي لا تزال ماثلة للعيان دار الخليفة او دار العامة التي كان يجلس الخليفة فيها أيام الاثنين والخميس . وتقع هذه الدار شمال مدينة سامراء الحالية بقليل ، وتمتد في الاراضي المرتفعة على طول الضفة نهر دجلة اليسرى الى مسافة سبعمائة متر تقريباً . أما المسافة التي بين واجهة الدار ومنتهى بناياتها الخلفية في جهة الشرق فلا تقل عن ثمانمائة متر . وأما الدار في جهة نهر دجلة سهل واسع يمتد غرباً مسافة حوالي ستمائة متر حتى يتصل بحافة النهر . والمعتقد أن السهل المذكور كان مقسماً الى بساتين وحدائق منسقة تمتد بين واجهة الدار ونهر دجلة .

وتقع بناية الدار على ارتفاع (١٧ مترآ) تقريباً من مستوى السهل ويلاحظ المتفرج هناك معالم الدرج العريض الذي كان يصل أرضية الدار بالسهل المذكور . وبناءً على ما تقدم يمكن تقدير مساحة بنايات الدار ومشمولاتها بما لا يقل عن نصف مليون متر مربع (نحو مائتي مشاركة) وذلك عدا مساحة الساحة الأمامية التي تمتد في السهل الى شاطئ دجلة وهو حوالي اربعمائة الف متر مربع (زهاء ١٦٠ مشاركة) (١) .

وقد قدر هرتسفلد مجموع المساحة التي كان يشغلها القصر ، بما في ذلك

(١) ري سامراء ج ١ ص ٦٦ .

الممرات والقاعات والحمامات والشكنات الكائنة في الطرف الشمالي الغربي للقصر
وكذا الخنازل التي تشرف على وجلة بـ ١٧٥ هكتاراً ، أي حوالي سبعمائة
مشاركة عراقية . . .

ويستفاد مما كتبه اليعقوبي في هذا الصدد ان الدار المذكورة كانت أول
بناية عامة أنشئت في العاصمة الجديدة وانها أقيمت في موضع الدير الذي ابتاعه
المعتصم قبل شروعه في انشاء سامراء .

قال اليعقوبي: (قال أحمد بن يعقوب كانت سر من رأى في متقدم الأيام
صحراء من أرض الطيرهان لا عمارة بها وكان بها دير للنصارى بالموضع
الذي صارت فيه دار السلطان المعروفة بدار العامة وصار الدير بيت المال) اهـ (١)
وقد لاحظ أطلال هذه الدار المهندس الفرنسي فيوليه (Viollet) سنة
١٩٠٧ م فرسم صورة خيالية للدار حسبما تصور حالتها الاصلية (٢) ثم اشتغل
العالم الآثاري هرتسفلد الألماني الجنسية قبل الحرب العالمية الاولى في إظهار بقايا
الدار فقام بتنقيبات وحفريات منتظمة كشف خلالها معظم أقسامها واكتشف
قاعة العرش وغرف التشريفات والحمام ودوائر الحرم . . . كما عثر على آثار
كبيرة وصور بديعة ومواد خزفية ثمينة . وقد وضع هرتسفلد تخطيطاً للدار حسب
ما تصوره على ضوء نتائج حفرياتة .

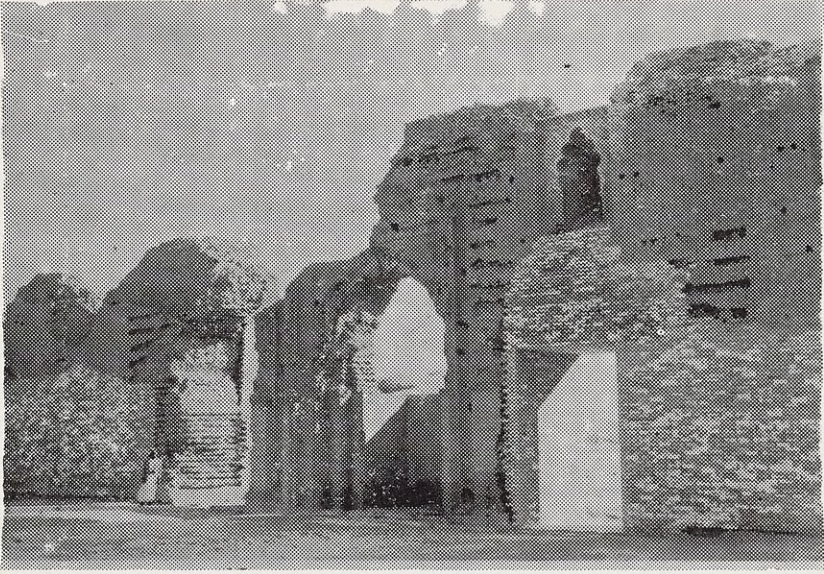
وأهم ما بلغت النظر في بقايا هذه الدار الاواوين القائمة في المدخل المطل
على السهل الغربي الذي يتصل بشاطئ دجلة . أما بقية الاقسام فقد

(١) راجع كتاب البلدان لليعقوبي .

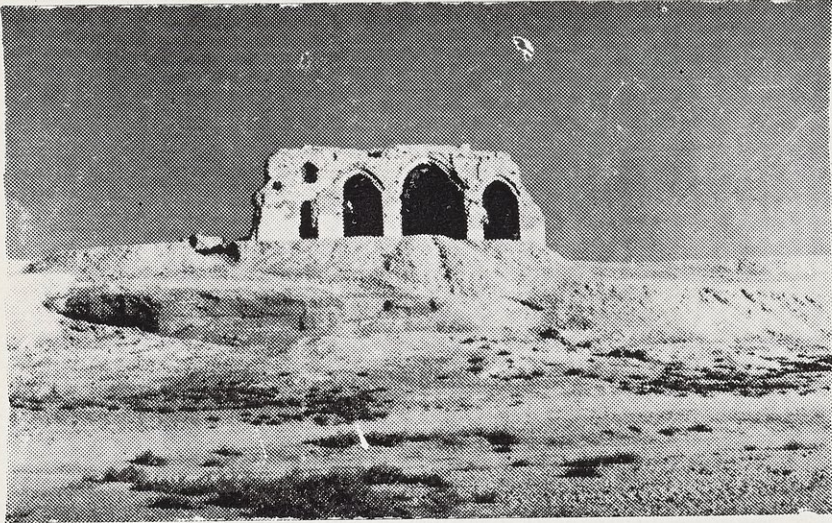
(٢) توجد هذه الصورة في متحف سامراء .

أصبحت آكاماً حيث أن ما اكتشفه هرتسفلد من مشتملات الدار اقتلع أجره من قبل الاهلين لاستعماله في عماراتهم المختلفة ولذلك لم يبق من الغرف والقاعات التي اكتشفها هرتسفلد غير الانقاض الكاسية . وكانت هذه الاواوين بمثابة مدخل الدار فكانت تسمى (باب العامة) وتتألف باب العامة هذه من ثلاثة أواوين رأسية العقد اكبرها الايوان الوسطي وهو مستطيل الشكل طوله ١٧ر٥ متر وعرضه ٨ أمتار ، جداراه الجانبيان يحملان عقادة رأسية ترفع قمتها عن الارض ١٢ متراً ، واجهته الأمامية التي تطل على السهل مفتوحة بكاملها ، وأما ضلعه الخلفية فمسدود بجدار شاقولي فيه باب كبير يبلغ عرضه ٣ر٨ أمتار وارتفاعه سبعة أمتار . وقد دلت التحريات على أن هذا الباب كان يفضي في الأصل الى سلسلة قاعات كبيرة توصل الى غرف الخليفة وقاعة العرش . على أن جدران هذه الغرف والقاعات قد اندرست تماماً . وأما الايوانان الجانبيان فهما اقل عرضاً وطولاً من الايوان الوسطي ، فان عرض الواجهة في كل منهما عبارة عن اربعة أمتار ونصف ، وأما الطول فلا يتجاوز أربعة امتار .

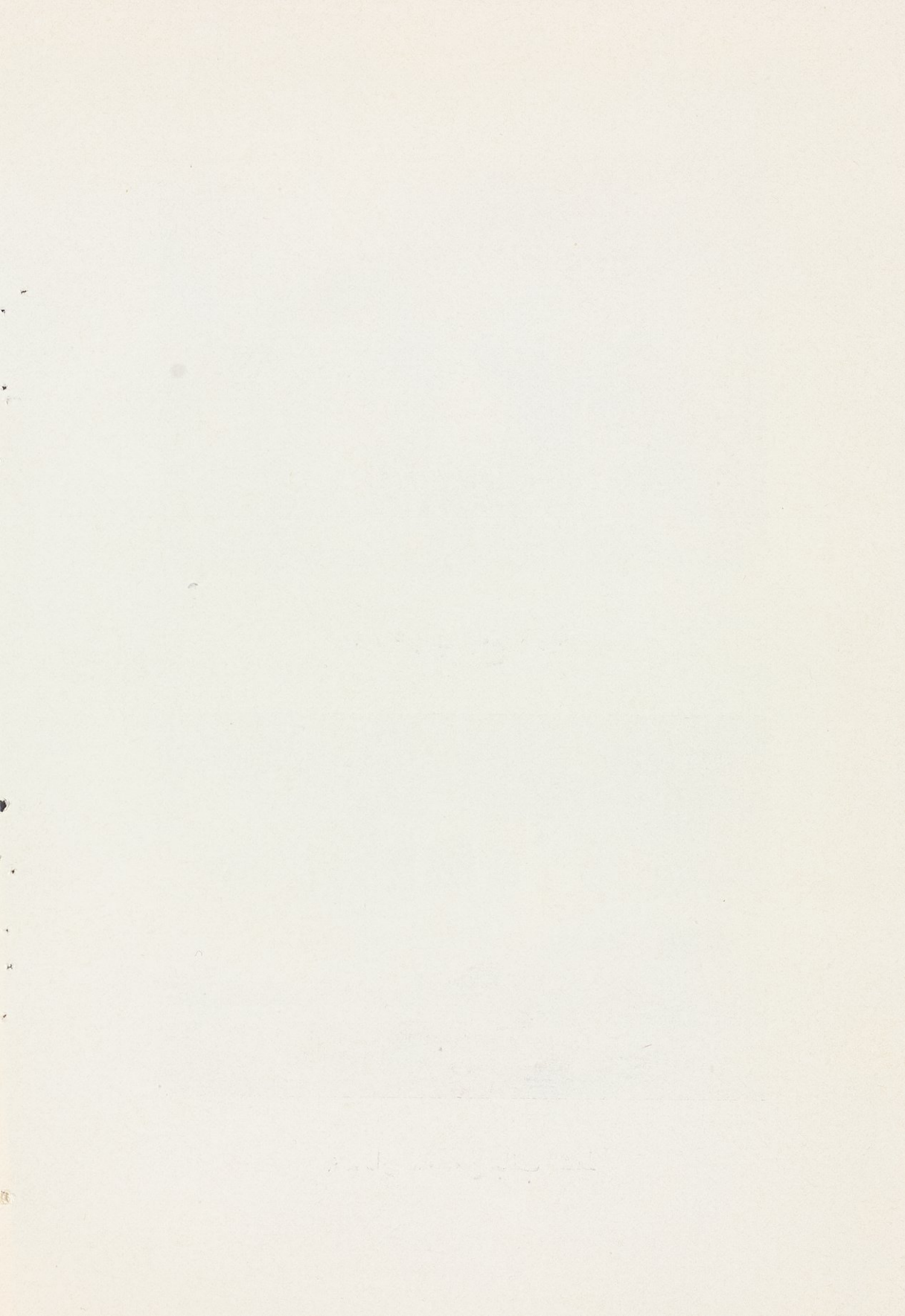
وفي الجدار الخلفي باب مرتفع تعلوه نافذة ويفضي هذا الباب الى قاعة خلفية كبيرة رأسية العقد مثل عقد الايوان الوسطي . وفي جانب الايوان الشمالي باب آخر يفضي الى غرفة مربعة متصلة بغرف اخرى ظهرت جدرانها الباقية عند رفع الانقاض سنة ١٩٣٧ م كما يوجد بجانب الايوان الجنوبي سلسلة غرف ظهرت جدرانها كذلك عند رفع الانقاض في السنة المذكورة . وكانت الاواوين المذكورة مزودة بزخارف جصية شاهد قسماً منها (فيوله) في محلها ، وعثر هرتسفلد على قسم منها بين الانقاض خلال تنقيباته



٨ - محراب جامع الملوية



٩ - دار العامة من جانب الشط



كما عثرت مديرية الآثار العامة على البعض منها عندما رفعت الأتقاض (١) .
وقد شهد باب العامة هذا أحداثاً تاريخية خطيرة خلال النصف قرن من حكم
الخلفاء العباسيين في سامراء ، فكان مظهراً من مظاهر الحكم والسلطان .
فمن جملة الحوادث التي وقعت عنده صلب الافشين أمامه في سنة ٢٢٦ هـ
حيث بقي معلقاً هناك ليراه الناس ثم طرح مع خشبته فأحرق (٢) كذلك
نصب رأس أبي الحسين يحيى بن عمر أمامه بعد أن لقي حتفه في سنة ٢٥٠ هـ (٣)
وأما الباب نفسه كان ضرب كاتب لنجور بالسيوط فمات (٤) .
ويوجد في الجهة الشرقية الخلفية من القصر في اتجاه محور الايوان الكبير
سرداب يسميه الناس (هاوية السباع) ، ويتألف هذا السرداب من حفرة مربعة
منقورة في الصخر وتتوسط بركة كبيرة مستديرة وقد نقرت في كل ضلع من
اضلاع الحفرة الاربع ثلاثة أو اربع نقشت على جدرانها نقوش جصية جميلة .
ومن المرجح ان سبب تسمية هذه البركة بـ (هاوية السباع) هو أنه كان عند
من السباع بالقرب من الهاوية فسميت (هاوية السباع) هذا اذا صح اعتبار
كون هذه التسمية ترجع الى العهد الذي انشئت فيه الهاوية . ومما يدل على انه
كان بعض السباع في دار العامة ما ذكره الطبري في حوادث سنة ٢٥٥ هـ من
أن المهتدي أمر بقتل السباع التي كان في دار السلطان : فكتب في هذا الصدد

(١) فصرة دائرة الآثار العراقية عن سامراء ص ٥٠ و ٥٥ .

(٢) الطبري (٣ : ١٣١٧)

(٣) الطبري (٣ : ١٥٢٢)

(٤) الطبري (٣ : ١٨٧٤)

قائلاً ما نصه (وفي سنة ٢٥٥ هـ أمر المهدي باخراج القيان والمغنين والمغنيات من سامراء ونفيهم الى بغداد . . . وأمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان وطرده الكلاب وأبطال الملاهي الخ . . .).

ويشاهد في القسم الشمالي من القصر في الجهة الشمالية الغربية للسرداب والجهة الشمالية الشرقية للاواوين حفرة اكبر واعمق عن الحفرة الاولى محاطة بنهاية مربعة الشكل كثيرة التقسيمات ، لا يقل طول ضلعها عن ١٨٠ متراً ، وفي وسط هذه الحفرة بركة يبلغ قطرها نحو ٨٠ متراً . وعلى الارجح أن الحفرة الاولى كانت مسقفة والثانية مكشوفة ، وذلك لتستغل الاولى في النهار والثانية في الليل . وهناك ما يدل على أن هاتين البركتين أنشئتا على عهد المتوكل نظراً لما لدينا من دلائل على أن القناة التي تمون البركتين المذكورتين بالماء ، وهي القناة التي كانت تبدأ من نهر دجلة من فوق الدور وتنتهي في سامراء أنشئت في عهد المتوكل . (١)

ويستدل من المدونات التاريخية على أن الخزائن الخاصة والعامية كانت في دار العامة فذكر اليعقوبي أن الخزائن المذكورة كانت في شارع السريجة مما يلي دار العامة شمالاً . وقد أيد الطبري وجود الخزائن في دار العامة وقد سماها (بيت المال) فيما ذكره عن سطو اللصوص عليها فقال في حوادث سنة ٢٣١ هـ ما نصه (وفي هذه السنة نقب قوم من اللصوص بيت المال الذي في دار العامة في جوف القصر وأخذوا اثنين واربعين ألفاً من الدراهم وشيئاً من الدنانير

(١) ري سامراء ج ١ ص ٧٠ و ٧١ .

يسير فأخذوا بعد وتتبع أخذهم يزيد الحلواني صاحب الشرطة خليفة ايتاخ (١)
وقد عين هرتسفلد مكان الخزانة العامة في الزاوية الشمالية الشرقية من الحفرة
الكبيرة حيث تقع هناك آثار بناية كثيرة التقسيمات .

ويقول كرزول في وصف دار العامة بقوله (يكاد يكون باب العامة
افضل الاجزاء الباقية القائمة من هذا البناء الهائل الذي عدت عليه الايام وهو
يتكون من واجهة ذات ثلاث عقود ارتفاعها ٢١ متراً وتشرف على نهر دجلة
ويقع خلفها ثلاث حجرات ذات سقوف نصف اسطوانية معقودة والحجرة
الوسطى هي الايوان الكبير وعرضها ٧٨٦ متر وطولها ١٧٥٠ متر ارتفاعها
١١١٠ متر وهي مفتوحة بكامل عرضها ومطلّة على نهر دجلة يحف بها كتفان
من البناء عرض كل منهما ١٥٨ متر يحملان قنطرة الواجهة ذات العقد المدب
او هي شبيهة في بنائها بقناطر مسجد ابي دلف وباب بغداد من ابواب
مدينة الرقة .

وخلف هذا الايوان الكبير باب سعته ٤ أمتار وارتفاعه ٧١٠ متر تعلوه
قنطرة مدببة شبيهة بقنطرة الواجهة الكبرى تعلوها نافذة ذات قنطرة مدببة ايضاً .
والايوانان الجانبيان طولها ١١٤ متر والجزء الواقع خلف قنطرة الواجهة
مغطى بسقف على شكل نصف قبة مرتكزة على اربعة صفوف او محاريب ، وبين
كل صفين شبك مستطيل . وهذان الايوانان الجانبيان هما في الحقيقة بمنزلة
مدخلين عظيمين لحجرتين خلفيتين سقفهما معقودان نصف اسطوانيين وسعة كل
منهما اربعة امتار وبكل منهما باب سعته ١٧٥ متر وارتفاعه ٥٥٥ متر .

(١) تاريخ الطبري (٣ : ١٣٥٠) .

ومع أن ارتفاع هذين الايوانين يقل بمقدار متر ونصف عن الايوان
الاطول إلا أن الغرفتين الخلفيتين لا تتصلان بالايوان الكبير ولا بأي جزء
من اجزاء القصر مدخلهما من الواجهة فقط ، ولذلك يرى هر تسفلد انها كانتا
مخصصتين للحرس والاتباع ايام الحفلات والاستقبالات العامة والاجتماعات التي
تعقد في الايوان الكبير وتبلغ ثخانة الجدران التي تحمل العقادة الوسطى حوالي
١٧٥ متر ، أما الجدران الخارجية للايوانين الجانبيين والجدار الخلفي فثخانتها
١٣٠ متر فقط . والى يسار الايوان الغربي حائط بها نافذتان احدهما طويلة
ضيقة . وتعلوها اخرى أكثر منها عرضاً وكلاهما مستطيلة الشكل . وتدل
ثقوب الحائط من الخلف على أنه كان هناك طابقان ببعضهما سقف من الخشب .
وقد تهدمت الحافة الشرقية للواجهة ولم يبق منها إلا جزء صغير يكسو
بعضه الجص وهذا الجص المكسو لا يصل الى الارض مما يدل على انه كانت هنا
نافذة اخرى مستطيلة ولكنها أقل طولاً من النافذة الكائنة بالطرف الآخر المقابل .
ولا بد انه كان هناك طابق آخر ويستدل على ذلك من وجود جزء من
حائط ارتفاعه خمسة امتار يرتفع عمودياً على الجانب الشمالي من الايوان الشمالي .
(الزخارف)

تقتصر زخارف الواجهة على صفتين غير عميقتين مدبتي العقد كانتا تحفان
بالمدخل الرئيسي . أما في الداخل فكان محلي بزخارف جصية شاهد بعضها العالم
فيوايه في موضعها كما عثر هر تسفلد فيما بعد على البعض الآخر في الردم .
وكان بطن عقد الايوان الكبير بالواجهة محلي بزخارف جصية مقسمة الى
ثلاثة اقسام احدها اكثر عرضاً في الوسط تحصره حافتان اقل منه عرضاً سعة

كل منها ٣٢ سم وبهما زخارف من ازواج من اغصان الكرم الصاعدة التي تكون صفاً مزدوجاً من الدوائر الصغيرة بكل منها ورقة من اوراق الكرم ، تفصل كل ثنية من ثنياتها ثقب تشبه العيون تحيط بها حوز دائرية محفورة متحدة المركز يتميز بها الطراز المعروف بطراز سامرا الثالث والجزء الاوسط سمعته ٦٥ سم وكان محلي بزخارف مكونة من وردات ذات ثمانية جوانب بين كل منها والتي تليها عقدة وفي كل ثنية من ثنياتها ورقة كرم طويلة اللسان . ولا يمكننا مع الاسف أن نعرف الآن كيف كانت مراكز هذه الوردات والسطوح التي تفصلها بعضها عن بعض محلاة لأن الاجزاء التي عثر عليها ليست كافية لايضاح ذلك .

أما داخل الابوان الكبير فتجد في قمة الحائط مما يلي عقد القبو مباشرة عصابة من الزخارف البارزة الجميلة مكونة من حلقتين متعاقبتين احدهما صغيرة والاخرى كبيرة تشبه احدهما زهرة اللوتس ذات الثلاثة الاوراق . والورقتان الخارجيتان تكونان حلزونين . أما الورقة الوسطى فرقيقة وتصل حافتها العليا الى الطرف العلوي للعصابة وهي تشبه في مجموعها زهرة الزنبق . أما الثانية فتشبه الاولى ولكنها اقل منها حجماً وليس بها الزخارف الحلزونية التي بالأولى . وبرى هرتسفلد أن هذه العصابة تشبه تمام الشبه عصابة اخرى من الزخارف الجصية بكنيسة (بازيليك) القديس سرجيوس بالرصافة .

ويقول هرتسفلد : والجزء الاوسط من الباب الكبير هو المدخل الرئيسي للقصر وتقع خلفه ست قاعات يرجح أنها كانت قاعات انتظار وكان كبار الضيوف والزوار ذوو المكانة يدخلون من الرواق الشمالي (اي الفتحة الشمالية) للباب الكبير ثم يمرون في ممشى طويل الى هذه القاعات أما الجزء الخاص بالحريم

بالقصر فيدخل اليه من الفتحة الجنوبية للباب الكبير التي تصل به رواقان طويلان .
وتكون هذه الماشي والقاعات والاروقة ما يسمى بالمدخل او باب القصر
يتلوه ذلك مربعة بها نافورة يحيط بها من كل جانب ثلاث حجرات يجلس فيها
الزوار وفقاً لمقاماتهم ودرجاتهم والى الشمال نجد حجرات الخليفة وهي تقع حول
ثلاث رحبات ويقع الحريم في الجنوب وقد اضيف اليه بناء آخر كثير الحجرات .
ويطل الحمام الكبير على الرحبة مباشرة واذا سار الانسان قدماً فانه يمر في قاعة
امامية الى رحبة مضلعة جدرانها الشمالية والجنوبية خالية من الزخرفة . أما في
الشرق فترى واجهة قاعة العرش بأبوابها الثلاثة وتوصل الدهاليز والممرات
السفلية - ويوجد منها كثير بالقصر - بين حجرات الخليفة وقسم الحريم .

(قاعة العرش) وتتكون قاعة العرش من قاعة وسطى يحيط بها اربعة
قاعات على شكل T وقد وجد بهذه القاعة طرازان من الزخارف الرخامية
شبهان بالطراز السابق الاشارة اليه ويرجح انها كانت مغطاة بقبة . وقد كانت
امثال هذه القاعات على شكل حرف T من الخصائص المميزة لقاعات الاستقبال
في جميع المنازل الخاصة ولكنها تختلف عن جميع الامثلة المعروفة في أن الاجزاء
التي تكون الصليب قد بنيت على مثال البازيليكا ذات الثلاثة ولكنها هنا مكررة
اربع مرات في الحجرات الاربع المكونة لاضلاع الصليب . والسبب في ذلك
هو الحاجة الى ضوء كاف لضاءة القاعات جميعها والقاعة الوسطى ايضاً .

وقد وجد هر تسفند قطعاً من الزخارف الجصية في هذه الحجرات وحاول
ان يجمعها وأن يكون منها اشكالاً او موضوعات زخرفية تامة باعادتها الى حالتها
الاولى من التركيب والتكوين ، وقد عثر بقاعة العرش هذه على عتب خشبي

لأحد الابواب يشبه شهماً تماماً بعض الاعتاب الخشبية بأبواب مسجد ابن طولون
بالقاهرة . وتوجد بين اذرع الصليب قاعات صغيرة محلاة بوزرات من الواح
ومربعات الرخام . وكذلك مسجد صغير لصلاة الخليفة ذو محراب جميل .
(الحرم)

وإذا رسمنا محوراً من الشمال الى الجنوب ماراً بمركز القاعة الوسطى وقاطعاً
القاعتين الشمالية والجنوبية اللتين على شكل T فإنه يقسم هذه السكتة من
البناء الى قسمين متماثلين تقريباً . وقد كشف منه القسم الجنوبي فقط
وهو يشمل الحرم .

وتقع أمام القاعة الجنوبية ذات الشكل حرف T قاعة كبيرة العرض تمتد
على طول رحبة الحرم . وفي الجانبين الغربي والشرقي لرحبة الحرم تقع حجرات
كثيرة أعيد بناؤها عدة مرات معدة للحياة المزلية داخل القصر ومجهزة بالمياه
الجارية التي يأتي إليها في مواسير كبيرة من الرصاص او من الخزف المطلي بمادة
زجاجية او من الفخار العادي . كما ان بها حجرات للاستحمام والغسيل
والمراحيض . وتقع في مواجهة قاعة العرش في الجانب الجنوبي للرحبة حجرة
مربعة تمتد على طول الرحبة ، وهناك رواق مربع طول ضلعه ٢١ متراً يطيف
بحجرة مربعة ذات اربعة ابواب واسعة وبها حوض تحف به اعمدة الرخام في
اركانه الاربعة .

وقد كانت هذه الحجرة محلات برسوم وصور أمية ، واذا رسمنا محوراً
يقطعها من الشرق الى الغرب فاننا نجد الى غربيها قاعة على شكل البازيليكا ذات
ثلاثة اروقة في كل رواق منها اربعة اعمدة من الرخام وتقع أمام القاعة الشرقية

ذات الشكل I من المجموعة المسماة بقاعة العرش قاعة كبيرة اخرى عرضها ٣٨ متراً وطولها ١٠٤٠ مترأ بها خمسة ابواب تطل على رحبة كبيرة مكشوفة طولها

٣٥٠ متراً وعرضها ١٨٠ متراً تقسمها قناة الى قسمين احدهما الغربي وهو مرصوف

ومحلى بناפורتين والشرقي وهو غير مرصوف وبه بعض قنوات ومجري

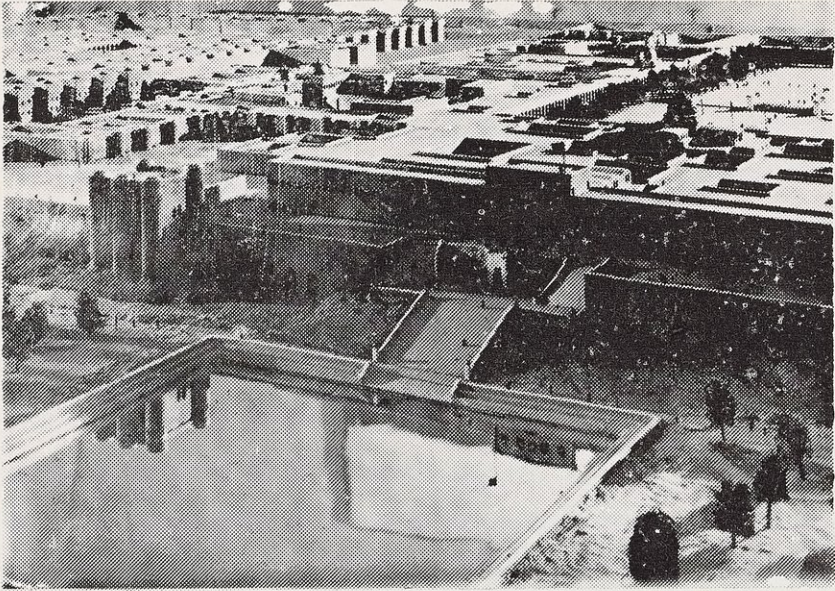
مياه صغيرة .

(السرداب الصغير) (١) : واذا سار الانسان من هذه الرحبة الكبيرة الى الشرق فانه يصل الى سرداب صغير يقع على المحور الرئيسي للقصر . ومدخله عبارة عن حجرة مربعة قد نقش على جدرانها طراز من الزخارف الجصية الملونة قوامها قافلة من الجمال ذات السنامين ، ويقع مدخل السرداب في الجانب الغربي من البناء العلوي والسرداب نفسه عبارة عن فجوة منقورة في الصخر كل ضلع من اضلاعها ٢١ متراً وعمقها ٨١ متراً ، وفي كل جدار من جدرانها ثلاث مغارات تصلها ببعض مماش او ورقة وكانت في ارضيتها فسقية او حوض للماء . وكان يحيط بالسرداب صفوف متوازية من الغرف يظن أنها كانت اسطبلات .

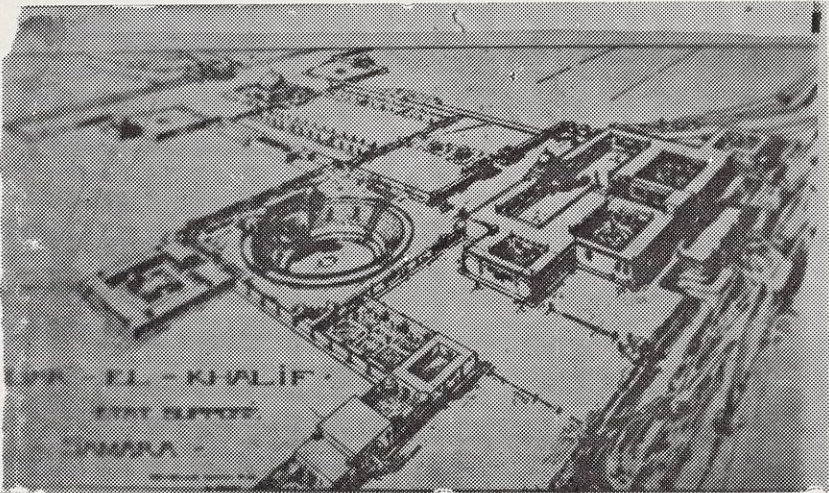
(ملعب الصوالة)

وفي وسط الرحبة الشرقية بناء يشرف على ملعب كبير بسور طوله ٥٣٠ متراً وعرضه ٦٥ متراً وهو لا يقع على استقامة محسور القصر بل يتحرف عنه فيميل بانحناء بسيط . ويرجح أن هذا كان ملعب الصوالة وكانت الاسطبلات

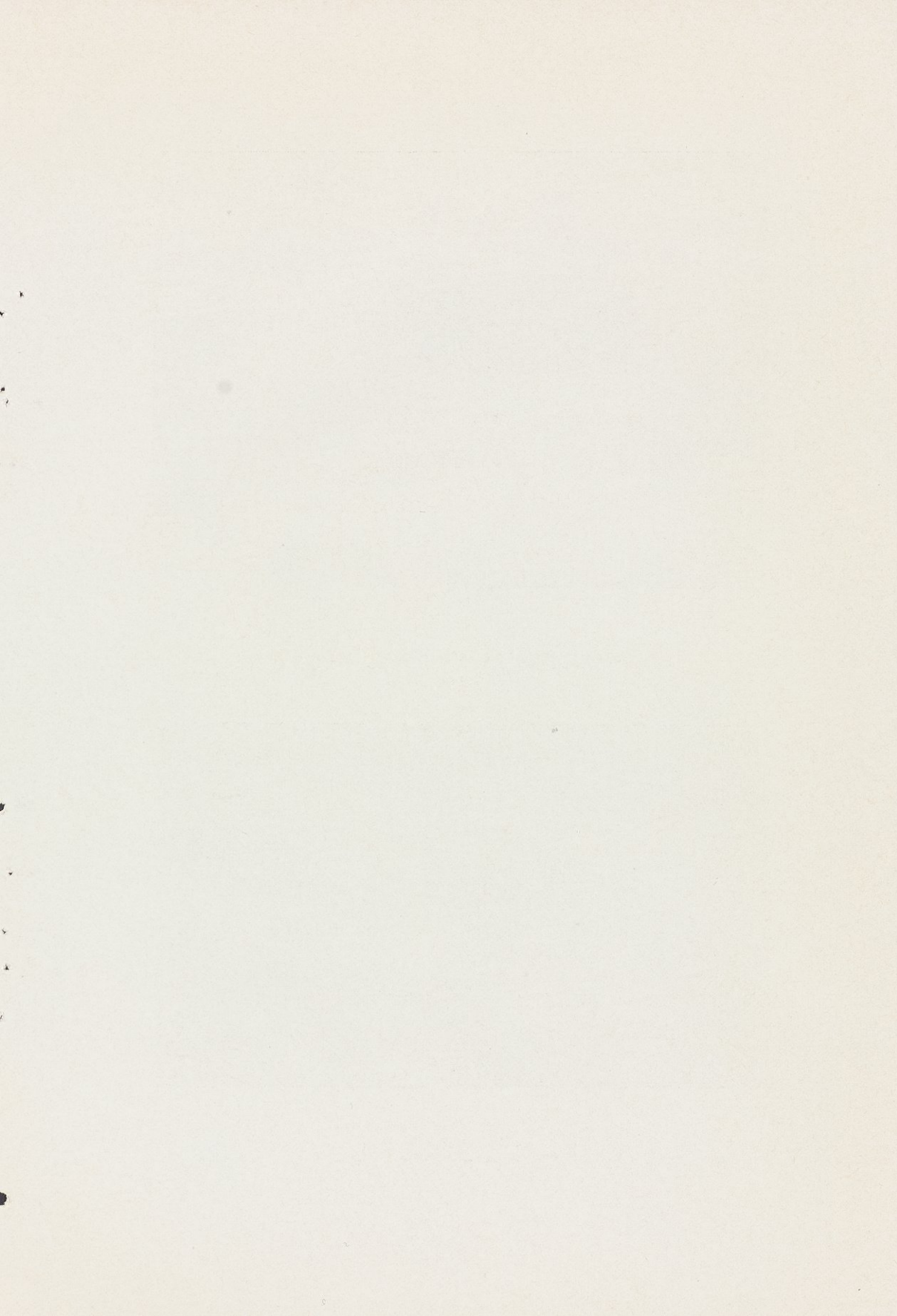
(١) هاربة السباع .



١٠ - دار العامة حسب رأى هر تسفلد



١١ - دار العامة حسب تخطيط فيوليه



معدة لخيل اللعب .

وكان النظارة يشرفون على اللعب من هذا البناء . والى هنا نصل الى الطرف الشرقي للقصر ويتلوه سور حديقة الحيوان او الخير . وتقع في مواجهة البناء الذي يشرف منه النظارة على اللعب على امتداد المحور الرئيسي للقصر سقيفة عظيمة مرتفعة تشرف على ملعب الصوالمجة وحلبة السباق في حديقة الحيوان او الخير التي تمتد الى اكثر من خمسة كيلومترات .

ويبلغ طول محور القصر الممتد من مهر دجلة مخترقاً السلم الكبير وباب العامة وقاعة العرش والرحبة الكبرى والسرداب الصغير الى حديقة الخير وشقيقتها رحبة السباق ١٤٠٠ متر .

﴿ السرداب الكبير ﴾ ويقع في الركن الشمالي الشرقي للقصر بناء مربع طول ضلعه ١٨٠ متراً يرتكز جانبه على الجدار الشمالي للرحبة الكبرى وبه كهف عميق مربع طول ضلعه ٨٠ متراً منقور في الصخر تمتد على محاوره أذرع على شكل صليب يبلغ طولها ١١٥ متراً وفي أرض هذا الكهف فجوة ثمانية مستديرة قطرها ٧٠ متراً . ومن المرجح ان هذه الفجوة كانت فسيحة او حوضاً اذا انها تتصل بقناة سفلية وفي الجزء العلوي توجد حجرات كثيرة صغيرة على غير نظام حول الجانب الداخلي للجدران وبعضها مسقف بأقبية متقاطعة وقد كشف بهذه الحجرات بعض المخازن وعثر بها على بعض قطع من الخزف الصيني والأواح ومرصات القيشاني المموهة بالبريق المعدني ذي اللون الذهبي . ونجد الى الشرق مجموعات متنوعة من المباني على امتداد الحائط الشمالي والوسطى منها أكثر ارتفاعاً من بقيتها .

(الزخارف)

وقد كانت عظمة زخارف هذا القصر مما يلتئم ويتناسب مع أبعته وفخامته مما لم يعثر على مثيله للآن . فقد كانت وزرات الجدران محلات بزخارف جصية بعضها من عصر المعتصم نفسه مؤسس سامراء وباني القصر . وبعضها جدد بعد المتوكل مباشرة وبعضها من الايام الاخيرة لسامراء وقد أمكن ان نلم بكثير من المعلومات التي كانت تنقصنا في دراسة زخارف المنازل الخاصة التي كشفت في سامراء بالاستعانة بهذه الزخارف : حتى اصبح في استطاعتنا الان ان نلاحظ بوضوح التقدم المطرد في تطور طراز سامراء مدى خمسين عاماً وان نميز الفروق بين كل من الطرز الثلاثة التي تميزها تختلف بعضها عن بعض اختلافاً أساسياً مما لم يفتن اليه كثيراً عقب الكشف الاولي ففي حجرات العرش استبدلت الوزرات الجصية بوزرات متشابهة من الرخام المنقوش وفي الحجرات الواقعة بين أذرع الصليب نجد الوزرات مغطاة بكسوة من الواح ومربعات الرخام كما ان الاجزاء العلوية من جدران قسم الحرم كانت محلاة بزخارف آدمية ملونة ككشف الكثير من بقاياها كما كشف في بعض الحجرات عن زخارف من لزجاج واللؤلؤ لا نظير لها في أي مكان آخر . وجميع القطع الخشبية وكتل وسقوف مصنوعة من خشب الساج المنقوش الملون او المذهب وقد زادت مسامير البرنز المذهبة رونقاً وبهاءً .

وقد عثر على قليل من القطع الاثرية في كتلة البناء المكونة للمدخل بقاعاته وممراته وكذلك بقاعة العرش . وذلك امر طبيعي وكان أكثر ما عثر عليه بقسم الحرم وحجرات الحياة المنزلية الداخلية والى جانب القطع الكثيرة المعارية

والفخارية والرخامية فقد عثر على الكثير من الاواني الفخارية المنفلة الطويلة
الاسطوانية الشكل . وقد كسيت بطبقة من الجص ونقش على احد جانبيها صور
لرجال أو سيدات في ملابس مختلفة وكل صورة منها داخل اطار خاص ويرجح
انها كانت صور لرجال او نساء حقيقيين لا خياليين أضف الى ذلك رسوم وصور
أدمية أو زخرفية على قطع من الفخار او القاشاني او الرخام ورؤس حيوانية من
الرخام وألواح من الزجاج الكثير الالوان وقطع من الاثاث المنزلي وغير ذلك
من القطع المطعمة بالابنوس والعاج . الخ

كما عثر على بعض الكتابات التاريخية على كتل خشبية وعلى كثير من
توقيعات الصناع من الروم والسريان والعرب بخطوطهم ولغاتهم المختلفة على الرخام
والحشب والصور والفخار وعلى قطعة من القاش به اطراز الخليفة المعتمد
وأجزاء من خطابات مسطورة على ورق وبعض أوراق البردي الرسمية
وغير ذلك .

﴿ الخزانة او بيت المال ﴾

يقع الى شمال السرداب الكبير مساحة كبيرة مستطيلة يطيف بها صفوف
كثيرة من الجدران القوية التي جلبت مادة بنائها في عصور موعلة في القدم .
ويستنتج من مجرى الحوادث التي حدثت بالقصر أن بيت المال كان موضعه في
هذا المكان من القصر .

والركن الشمالي الشرقي ليس واضح المعالم وقد كانت تمتد منه الى عدة
كيلومترات مجموعات من المنشآت المتعلقة بمديقة الحيوان والمتصلة بالقصر . ويمتد
الجزء الجنوبي على غير نظام اذ تحترقه ثلاث اودية عميقة وهناك صنف من

الرحاب والحجر الصغيرة على الجانبين يظن انها كانت بمثابة مخازن . ويستنتج من وصف الثورات التي حدثت بالقصر ان دار الصناعة كان بهذا الجزأ ايضاً وقد امكن معرفة مقر صاحب دار الصناعة .

والى الشرق نجد رحاب مفردة وأبنية لا يعلم الغرض منها وبينها بناء قائم على اعلى نقطة منها يرجح انه كان مسجداً .

﴿ الثكنات ﴾

وفي الركن الشمالي الغربي من المساحة التي وصفناها تقع الثكنات ويرجح أنها كانت ثكنات الخيالة . اما ثكنات المشاة فتفصلها عنها قطعة من الارض خالية من البناء وكان بهذه الثكنات ٦٠٠ غرفة ينزل بها ٣٠٠٠ من الجنود . وكان بالرحبة الكبرى مساجد لم تكن محاربيها على سمت القبلة تماماً : وتشرف هذه الثكنات على الحديقة وشاطيء دجلة لبنائها على مرتفع من الارض كما انها تقع الى جانب الشارع الاعظم الذي كان يصلها بالقصر وقد كان الطريق الوحيد الذي كان يصل جنوب المدينة بشمالها .

﴿ الاصول المعمارية ﴾ الواجبة ذات الثلاث قناطر

كانت القصور الشرقية القديمة خرساباد (القرن السابع قبل الميلاد) تحتوي على قاعات طويلة مسقوفة بعقود نصف اسطوانية وبها ابواب جانبية . اما القصور التي بنيت في عهود تالية كقصور الساسانيين مثلاً (٢٢٨ - ٦٢٨ م) كقصر طيسفون وفيروز ابادوسروستان وقصر شيرين فكانت بعض قاعاتها تغطيها قباب أيضاً .

وقد كانت الاقيمة النصف الاسطوانية كثيرة الشيوع اذ ان القبو الاوسط الكبير منها كان يمكن ان يرتكز عليه اقيمة اخرى اقل منه ارتفاعاً واتساعاً من الجانبين وهذه الاقيمة اما ان تكون متصلة به على زاوية قائمة او موازية له . قصر طيشفون وفيروز اباد من الطراز الاول والقاعات الجانبية ابوابها معقودة وفتحات ابوابها ليست بالواجهة بل في جوانب الابواب الكبير .

ويرى هرتسفلد ان الواجهة ذات الثلاث القناطر مستمدة على الارجح من اقوس النصر الرومانية ومن البوابان ذات القناطر الثلاث للشوارع ذات الاعمدة التي كانت قد انتشرت في جميع الشرق الادنى في ذلك الوقت . وكانت ملائمة غاية الملاءمة لتخطيط القصر الفارسي والعراقي لانها كانت منافذ عظيمة معقودة تصل الواجهة بالحجرتين الصغيرتين الجانبيتين وكان ذلك تجديداً في هندسة القصور المذكورة ولذلك كان القبوان الجانبيان موازيين دائماً لقبو الابواب الاوسط . ويشاهد ذلك في قصر الحضرة (القرن ١ - ٢ ق . م) حيث تظهر هذه الظاهرة لأول مرة . ولكننا نجدتها ثانية بعد ثلاثة قرون في قصر سروسنان وفي النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي في قصر الاخضر . وهي الظاهرة السائدة في قصر الخليفة بسامرا .

وبقول اليعقوبي :

(وولى الخلافة هارون الواثق بن المعتصم فبنى الواثق المعروف بالهاروني على دجلة وجعل فيه مجالس في دجلة وجعل فيه مجالس في دكة شرقية ودكة . وانتقل اليه وزارات الاقطاعات وقرب قوماً على الخط الاعلى الابعاد فأقطع وصيفاً دار افشين التي بالمطيرة وانتقل وصيف عن داره القديمة الى دار الافشين ولم يزل

يسكنها وكان اصحابه ورجاله حوله وزاد في الاسواق وعظم الغرض التي تردها السفن من بغداد واسط والبصرة والموصل . وجدد الناس البناء وأحكموه وأتقنوه لما علموا أنها قد صارت . مدينة عامرة وكانوا قبل ذلك يسمونها العسكر ثم توفي الوائق في سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (٢٣٢ هـ - ٨٤٧ م) وولى جعفر المتوكل بن المعتصم فنزل الهاروني وآثره على جميع قصور المعتصم . وأنزل ابنه محمدا المنتصر قصر المعتصم المعروف بالجوسق وأنزل ابنه ابراهيم المؤيد بالمطيرة وأنزل ابنه المعتز خلف المطيرة مشرقاً بموضع يقال له بلسكوار . (فامد) البناء من بلسكوار الى آخر الموضع المعروف بالدور مقدار اربعة فراسخ وزاد في شوارع الخير الشارع الجديد وبنى المسجد الجامع في اول الخير في موضع واسع خارج المنازل لا يتصل به شيء من القطائع والاسواق . وأتقنه ووسعه وأحكم بناه وجعل فيه فوارة ما لا ينقطع مأوها وجعل الطرق اليه من ثلاثة صفوف واسعة عظيمة من الشارع الذي يأخذ من وادي ابراهيم بن رباح في كل صف حوانيت فيها اصناف التجارات والصناعات والبياعات عرض كل صف مائة ذراع بالذراع السوداء لثلا يضيق عليه الدخول الى المسجد في الجمع في جيوشه وجموعه وبخيله ورجله . ومن كل صف الى الصف الذي يليه دروب . وسلك فيها قطائع جماعة من عامة الناس فاتسعت على الناس المنازل والدور اتسع اهل الاسواق والمهن والصناعات في تلك الحوانيت والاسواق في صفوف المسجد الجامع . وأقطع نجاح بن سلمة الكاتب في آخر الصفوف مما يلي قبلة المسجد وأقطع أحمد بن اسرائيل الكاتب ايضاً بالقرب من ذلك وأقطع محمد بن موسى المنجم واخوته وجماعة من الكتاب والقواد والهاشمين وغيرهم .

وعزم المتوكل ان يبني مدينة ينتقل اليها وتنسب اليه ويكون له بها الذكر
فأمر محمد بن موسى المنجم ومن يحضر بابه من المهندسين ان يختاروا موضعاً فوق
اختيارهم على موضع يقال له الماحوزة وقيل ان المعتصم قد كان على ان يبني هاهنا مدينة
ويحفر نهراً قد كان في الدهر القديم فاعتزم على ذلك وابتدأ النظر فيه في سنة
خمس واربعين ومائتين (٢٤٥ هـ) ووجه في حفر النهر ليكون في وسط المدينة
فقدر النفقة على النهر الف الف وخمسة الف دينار فطاب نفساً بذلك ورضي به
وابتدأ الحفر وأنفقت الاموال الجليلة على ذلك النهر واختط موضع قصوره
ومنازله وأقطع ولاية عهوده وسائر أولاده وقواده وكتابه وجنده والناس كافة
ومد الشارع الاعظم من دار اشناس التي بالكرخ وهي التي صارت للفتح بن خاقان
مقدار ثلاثة فراسخ الى قصوره وجعل دون قصوره ثلاثة ابواب عظام جليلة يدخل
منها الفارس برمحه وأقطع الناس يمينه الشارع الاعظم ويسرته وجعل عرض
الشارع الاعظم مائتي ذراع وقدر ان يحفر في جنبي الشارع نهر ان يجري فيها
الماء من النهر الكبير الذي يحفره وبنيت القصور وشيدت الدور وارتفع البناء
وكان يدور بنفسه فمن رآه قد جد في البناء اجازته وأعطاه فجد الناس وسمى المتوكل
هذه المدينة الجعفرية واتصل البناء من الجعفرية الى الموضع المعروف بالدور ثم
بالكرخ وسر من رأى مارا الى الموضع الذي كان ينزله ابنه ابو عبد الله المعتز
ليس بين شيء من ذلك فضاء لا موضع ولا عمارة فيه فكان مقدار ذلك سبعة
فراسخ . وارتفع البنيان في مقدار سنة وجعلت الاسواق في موضع معتزل وجعل
في كل مربعة وناحية سوقاً

وبني المسجد الجامع وانتقل المتوكل الى قصوره هذه المدينة أول يوم من

محرم سنة سبع وأربعين ومائتين (٢٤٧ هـ) فلما أجاز بالجوائز السنوية ووصلهم
وأعطي جميع القواد والكتاب ومن تولى عمال من الاعمال وتكامل له السرور وقال
الآن علمت (أني ملك ذا بنيت لنفسي مدينة سكنتها) .

ونقلت الدواوين : ديوان الخراج ، وديوان الضياع وديوان الزمام
و ديوان الجند والشاكرية وديوان المالي والعلمان وديوان البريد وجميع الدواوين الا
ان النهر لم يتم أمره ولم يجر الماء فيه الا جري ضعيف لم يكن اتصال ولا استقامة على
انه قد أنفق عليه شبيهاً بألف دينار ولكن كان حفره صعباً جداً انما كانوا
يحفرون (حصا) وانهاراً لا تعمل فيها العاول . وأقام المتوكل نازلاً في قصوره
بالجعفرية تسعة اشهر وثلاثة أيام وقيل لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين
ومائتين في قصره الجعفري أعظم القصور وولى محمد المنتصر ابن المتوكل فانتقل
الى سر من رأى وامر الناس جميعاً بالانتقال عن الماحوزة وان يهدموا المنازل
ويحملوا النقض الى سر من رأى فانتقل الناس وحملوا نقض المنازل الى سر من رأى
وخربت قصور الجعفري ومنازله ومساكنه وأسواقه في اسرع مدة وصار الموضع
موحشاً لا أنيس به ولا ساكن فيه والديار بلاقع كأن لم تعمر ولم تسكن ومات
المنتصر بسر من رأى في شهر ربيع الآخر سنة ثمان واربعين ومائتين (٢٤٨ هـ)
وولى المستعين احمد بن محمد بن المعتصم فاقام بسر من رأى سنتين وثمانية اشهر
حتى اضطربت اموره فالتحق بالبحر الى بغداد في المحرم سنة احدى وخمسين ومائتين
(٢٥١ هـ) فاقام بها يحارب اصحاب المعتز سنة كاملة والمعتز بسر من رأى معه
الانراك وسائر الموالي ثم خلع المستعين وولى المعتز فاقام بها حتى قتل ثلاث سنين
وسبعة اشهر بعد خلع المستعين وبويع محمد المهتدي بن الواثق في رجب سنة خمس

وخمسين ومائتين (٢٥٥ هـ) فأقام حولا كاملا ينزل الجوسق حتى قتل رحمه الله
وولى احمد المعتمد بن المتوكل فأقام بسر من رأى فى الجوسق وقصور الخلافة ثم
انتقل الى الجانب بسر من رأى فبنى موصوفاً بالحسن سماه المشوق فنزله فأقام
به حتى اضطربت الامور فانتقل الى بغداد ثم الى المدائن) ويقول اليعقوبى ايضاً
(ولسر من رأى منذ بنيت وسكنت الى الوقت الذى كتبنا فيه كتابنا هذا
(كتاب البلدان) خمس وخمسون سنة ملك بها ثمانية خلفاء مات فيها خمسة المعتصم
والواثق والمنتصر والمعز والمهتدي وقتل فى حريمها وفيها هو متصل بها وقريب
منها اثنان المتوكل والمستعين واسمها فى الكتب المتقدمة زوراء بنى العباس ويصدق
ذلك ان قبل مساجدها كلها مزوية فيها زوراء ليس فيها قبلة مستوية . الا
انهم لم تخرب وتذهب اسمها وقد ذكرنا بغداد وسر من رأى وبدأنا بها لانها مدينتنا
الملك والخلافة) أ . هـ



القصور العباسية في سامراء

لما تعاقب على كرسي الخلافة والحكم خلفاء بني العباس أشادوا القصور الضخمة العظيمة في شوارع مدينة سر من رأى ، ولما كان لهذه القصور شأن كبير يذكر في التاريخ لحدوث بعض الاحداث فيها او بالقرب منها وهي عديدة نذكر بعضاً من هذه القصور وهي :

قصر الاحمر

ذكر الدكتور احمد سوسة في كتابه (ري سامراء) (١) هذا القصر فقال (والظاهر انه كان بالقرب من الجوسق قصر يسمى « القصر الاحمر » اذ ورد ذكره في تاريخ الطبري عند وصف حوادث سنة ٢٥٦ هـ قال : دخل موسى بن بغا سامراء (أخذ في الخير وعبأ اصحابه ميمنة وميسرة وقلبا في السلاح حتى صار الى باب الخير مما يلي الجوسق والقصر الاحمر) ثم جاء ذكره في حوادث السنة نفسها بمناسبة اخرى ، وهي انه ادخل على المهدي كتاب ذكر ان سيماء الشرايبي زعمت عن امرأة جاءت به مما يلي القصر الاحمر ودفعت له الى كفور الخادم الموصل بالحرم وقالت له ان فيه نصيحة . . الخ)

(١) ري سامراء ج ١ ص ٧٧

قصر الاسحدرى

قال ياقوت الحموي في معجمه ، الاحمدي قصر كان بسامراء وخرب عمره
ابو العباس احمد بن المعتمد على الله بن المتوكل فسمي به ، وقال بعض اهل الادب
اجتزت بسامراء فرأيت على جدار من جدران القصر المعروف بالاحمدي مكتوب
عليه هذه الايات :

في الاحمدي لمن يأتيه معتبر لم يبق من حسنه عين ولا أثر
غارت كواكبه وانهد جانبه ومات صاحبه واستقطع الخبر
وقال في المرصد والمنجم ان الاحمدي بياه النسبة اسم لقصر كان بسامراء
عمره أبو العباس احمد المعتمد على الله بن المتوكل .

قصر اشناسى

من الآثار التي لاتزال تحتفظ باسمها القديم هذا القصر ويمكن مشاهدته
والآثار القريبة منه وهو يقع على بعد حوالي عشرة كيلومترات شمال مدينة
سامراء الحالية حيث لا يزال سور فخم من اللبن يعلو نحو خمسة أمتار ويعرف
بـ (سور أشناس) قائماً في ذلك وهو يضم آكاماً يستدل من تناسق مظهرها انها
بقايا كان قد انشئ ضمن السور . وقد ذكر ياقوت في معجمه ان الموضع (كان
يقال له كرخ فيروز منسوب الى فيروز بن بلاش بن قباذ الملك وهو اقدم من
سامراء فلما بنيت سامراء اتصل بها وهو الآن باق عامر وخربت سامراء وكان
الاتراك الشبلية ينزلونه في أيام المعتصم وبه (قصر اشناس) التركي مولى المعتصم
وهو موضع مدينة قديمة على ارتفاع من الارض ، وزعم بعضهم انه كرخ باجدا

ومنه الشيخ معروف بن الفيرزان الكرخي الزاهد (١) .

وقال اليعقوبي في ذكر اشناس (كان مملوكاً لنعيم بن حازم ابي هارون بن نعيم ، فعلا قدره وعظم شأنه حتى صار من امراء عسكر المعتصم وكان شجاعاً باسلاً وكان في مقدمة الجيش الذي وجهه المعتصم لاختد بابك الخرمي .

قصر الافشين

سُمي هذا القصر بهذا الاسم نسبة للقائد التركي (أفشين) وقد ذكر ابن الأثير في كتابه (الكامل) (٢) قال (ان الافشين انزل بابك عنده في قصره بالمطيرة وقد أمر المعتصم ان يشهر بابك فيركب على الفيل وقد اصطف الناس من باب العامة (دار الخليفة) الى المطيرة . وقد جاء بكتاب الاخبار الطوال ص ٣٤١) هذه الابيات قالها الشاعر (اسحق بن خلف) في مدح المعتصم :

ما غبت عن حرب تحرق نارها	بالبذ كنت هنا وانت هنا
عزت باشفين حسامك أمة	والدين ممتسك به استمساكا
لما أتاك ببابك توجتسه	وأحق من أضحى له تاجاكا

قصر البديع

قال الجوري في معجمه ، بديع بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة وعين مهملة اسم بناء عظيم للمتوكل بسر من رأى ، وجاء في القاموس ما نصه (وكان قصر البديع من الابنية الجميلة في سامراء) وقد اشار الدكتور احمد سوسة في

(١) ري سامراء ج ١ ص ٥

(٢) الكامل ج ٦ ص ١٩٣ و ١٩٥

كتابه (ري سامراء) الى موقع هذا القصر فقال (وتوجد آثار قصر آخر في داخل الحلبة القديمة (حلبة بيت الخليفة) في حدها الشمالي ، وهذه تقع في جنوب شرقي تل العليق بالقرب من الركن الجنوبي العربي لسور قصر الدكة . وفي هذا القصر ساحة واسعة مسورة بسور مستطيل قائم الزوايا أيضاً . ويقع القصر في داخل السور في منتصف إحدى ضلعي السور اللتين تمتدان في العرض . ويبلغ طول الضلع الطولية زهاء أربعمائة متر وطول الضلع العرضية حوالي ٢٦٥ متراً ، وبذلك تكون مساحة الساحة حوالي دونماً عراقياً (مشاركة) . ووقوع هذا القصر وسوره داخل حلبة بيت الخليفة يدلنا على أنه من جملة القصور التي أنشأت بعد إهمال حلبة بيت الخليفة .

ويحتمل أن تكون هذه الاطلال من بقايا قصر البديع الذي كان قد أشيء على عهد المتوكل بدليل ان البحري لما وصف هذا القصر اقترح على المعترف ان يمد فرع قناة سامراء الذي أنشأه لتموين قصر الدكة (قصر الساج) بالماء فيوصله الى قصر البديع ومنه ينهيه في دجلة قرب الجوسق . وهذا يدل على ان قصر الجوسق كان يقع بالقرب من دجلة غربي قصر البديع ، ويكون ذلك جنوبي دار الخليفة ، وهذا ما أنشده البحري بصدد النهر المذكور وهو يخاطب المعترف :

ألقه يا خير الوري بمسيرة واحدد فضول عبا به المتدفق
فاذا بلغت به البديع فانما انزلت دجلة في فناء الجوسق
وقد أشار الطبري الى ان المتوكل لما أنشأ قصر الجعفري بالمتوكلية ، أمر
بنقض قصر البديع وحمل ساجه اليه .

قصر البرج

ذكره ياقوت الحموي في معجمه بقوله (ولم بين احد من الخلفاء بسر من رأى من الابنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل وعدد كثيراً من القصور وقال عن قصر البرج (والبرج عشرة آلاف الف درهم) اي أنفق عليه ذلك .

قصر بستان الايتاخية

ذكر ياقوت الحموي في معجمه قصر بستان الايتاخية وذكر ان المتوكل أنفق عليه عشرة آلاف الف درهم قال (وقصر بستان الايتاخية عشرة آلاف الف درهم) اي انفق عليه ذلك .

وقد أشار الدكتور احمد سوسة في كتابه (ري سامراء الى هذا القصر فقال ولعل قرية الايتاخية كانت من ضمن قطعة ايتاخ المذكورة ويحتمل ان يكون قصر بستان الايتاخية الذي ذكره ياقوت الحموي .

قصر بلكوارا

اختلف المؤرخون في تسمية هذا القصر فسماه ياقوت والطبري بامم (بزكوار) والشابشتي وابن سرايون باسم (بركوار) (١) واليعقوبي باسم (بلكوارا) ويقال لهذا الموضع اليوم (المنقور) وهو يبعد ستة عشر كيلومترا الى الجنوب من مدينة سامراء الحديثة عند الطرف الجنوبي بمنطقة الاطلال القديمة .

(١) اختلفت المراجع القديمة في كتابة اسم هذا القصر فقول بركوار او بزكوار و بلكوار و بزكوار و بركوانا و بركوان و بيركوان و اللنظة دخيلة رأينا الاستاذ عبد الحميد النجيلي قد فسرها بقوله (ان الكلمة فارسية وضبطها بزكوارا أي القصر العظيم الكبير جداً) (راجع مجلة عالم الغد العدد الصادر في ١٦ تشرين الاول ١٩٤٨ ص ٢٤ .

ويعد العلامة كرزول قصر بلكوارا (من أعظم المنشآت المعمارية لكبير مساحته وحجمه ولكثرة الظواهر الفنية المعمارية فيه (١).

وقد اكتشف هر تسفلد هذه المنطقة سنة ١٩١١ فاستمرت حفرياتهما فيها من ١٢ تموز الى ٩ تشرين الاول، والقصر الذي اكتشفه هناك تزيد مساحته على ثلاثة اضعاف مساحة مدينة سامراء الحالية، ويحيط بهذا القصر سور ذو ابراج مستطيل التخطيط طول ضلعه ١٢٥٠ متراً يرتكز جانبه الجنوبي على شاطيء دجلة الصخري الذي يرتفع هنا بمقدار خمسة وعشرين متراً، وقد اكتشف هر تسفلد في هذا القصر ايضاً بعض الزخارف الجصية التي كانت تكسو جدران القصر من الداخل. وكان البناء ثلاثة ابواب تقع في منتصف الجدران الثلاثة غير المظلة على النهر أي الشمالية والشرقية والغربية ويحترق البناء شارعان رئيسيان متقاطعان. وكان البناء يشتمل على مجموعة من المنازل وتكنات المشاة والحرس، وكان من ضمن القصر حديقة يحيط بها سور ذو دعائم أو فصوص وينتهي عند الشاطيء نفسه بسقيفات غنيمة بالزخارف والى جانب الحديقة مرفأ للسفن وفي وسطها حوض للماء.

وقد تطرق الشابستي في كتابه الديارات الى وصف القصر فقال (وبالقادسية بنى المتوكل قصره المعروف بلكوارا ولما فرغ من بنائه وهبه لابنه المعتز، وجعل اعذاره فيه. وكان من أحسن أبنية المتوكل وأجلها، وبلغت النفقة عليه عشرين الف الف درهم) وقد أيد ياقوت ذكر هذا المبلغ الذي صرف في بناء القصر والذي اشار اليه الشابستي.

(١) ري سامراء ج ١ ص ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩.

واطلق ياقوت الحموي اسم (بزكوار) على هذا القصر (وذكره في مكان آخر باسم بركوان) فقال عنه انه (اسم بيت بناه المتوكل في قصر له بسر من رأى فقال بعضهم يذكره بعد خرابه وكتب على حائطه :

هذى ديار ملوك دبروا زمناً
عصى الزمان عليهم بعد طاعته
أمر البلاد وكانوا سادة العرب
فانظر الى فعله بالجوسق الحرب
وبزكوار وبالختار قد خلياً
من ذلك العز والسلطان والرتب

وجاء ذكر القصر في تاريخ الطبري باسم (بزكوار) ايضاً في استعراض حوادث سنة ٢٥٨ هـ فذكر ان المعتمد لما عقد لأخيه أبي احمد على ديار مضر وقنسر بن والعواصم شيعه الى (بزكوار) وانصرف .

اما موضع قصر (بلكوارا) وتاريخ انشائه فقد ذكر اليعقوبي ان المتوكل (انزل ابنه المعتز خلف المطيرة مشرقاً بموضع يقال له (بلكوارا) فاتصل البناء من بلكوارا الى آخر الموضع المعروف بالدور مقدار أربعة فراسخ) وقال في موضع آخر (ان المتوكل بنى مدينة جديدة سماها الجعفرية واتصل البناء من الجعفرية الى الموضع المعروف بالدور ثم بالكرخ وسر من رأى ماراً الى الموضع الذي كان ابنه عبد الله المعتز ليس بين شيء من ذلك فضاء ولا موضع لا عمارة فيه فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ) وقد استنتج هر تسفلد من قول اليعقوبي وهي الاربعة والسبعة فراسخ توافق موقعه . وافقة تامة وهي تكون الطرف الجنوبي لمنطقة الاطلال ، ولذلك لا بد ان يكون بلكوارا قد بنى في عهد الخليفة المتوكل على الله . وقد عثر هر تسفلد على كتابة اثرية بالخط الكوفي البسيط على كتلة من الخشب في احدى القاعات نصها ﴿ الامير المعتز بالله بن أمير المؤمنين ﴾ وهو لقب ابي عبد

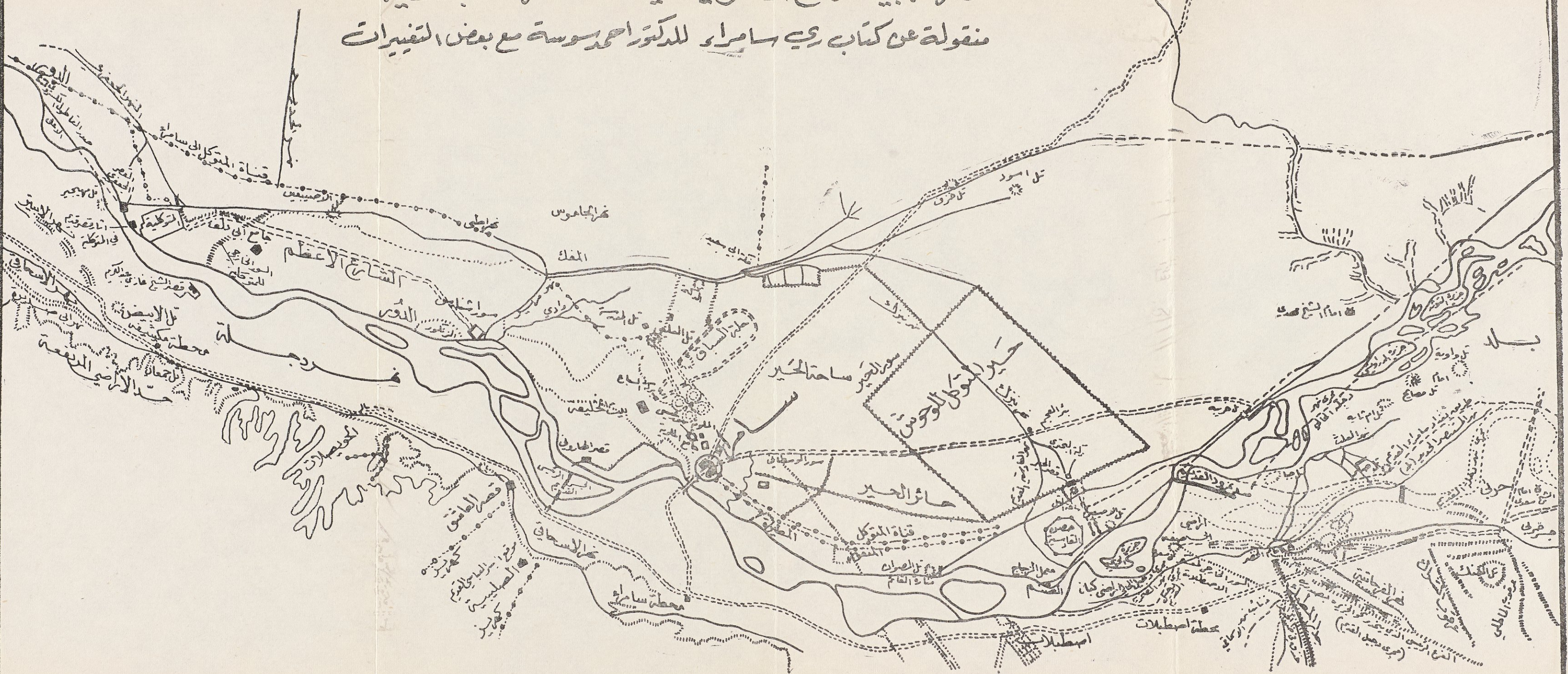
الله طلحة بن الخليفة المتوكل . ولما كان لقبه المعتز بالله قد طبع على النقود المسكوكة منذ سنة ٢٤٠ هـ (٨٥٤ م) مما يدل على انه لم يلقب بذلك الا منذ سنة ٢٤٠ هـ ولما كان المتوكل منذ سنة ٢٤٥ هـ معنياً بانشاء مدينته الجديدة (الجعفرية) لذلك حصر هرتسفلد التاريخ الذي بني به قصر بلكوارا بين سنتي ٢٤٠ و ٢٤٥ هـ (٨٥٤ و ٨٥٩ م) .

ويقول كرزول في وصف قصر (بلكوار) يعرف هذا الموضع اليوم باسم المنقور ويبعد ستة كيلومترات الى الجنوب من مدينة سامراء الحديثة عند الطرف الجنوبي بمنطقة الاطلال القديمة وقد وجد هرتسفلد في هذا المكان عقداً قائماً من البناء في وسط مساحة كبيرة من الاطلال واضحة المعالم منتظمة التخطيط مما حدا به الى كشف هذه المنطقة من ١٣ يوليه الى ٩ اكتوبر سنة ١٩١١ وسرعان ما وجد امامه قصرأ هائلًا عظيم المساحة يطيف به سور ذو ابراج مستطيل التخطيط طول ضلعه ١٣٥٠ مترًا يرتكز جانبه الجنوبي على شاطئه دجلة الذي يرتفع هنا بمقدار خمسة عشر مترًا .

وفيما يلي ترجمة ما كتبه هرتسفلد عن نتيجة اعماله واستكشافاته في هذا القصر وهو على ما نعلم التقرير الوحيد الذي نشر عن ذلك الى الآن :-

✽ ليس لهذا المربع سوى ثلاثة أبواب تقع في منتصف الحوائط الثلاثة غير المطلة على النهر أي الشمالية والشرقية والغربية (الحائط الجنوبي مطل على النهر) ويخترقه شارعان رئيسيان متقاطعان على طريقة المعسكرات والشككات الرماونية والمساحات التي بين الشارعين في النصف الشمالي مزدهجة بالبناء .

خارطة تبين المواقع الاثرية لمدينة سامراء العباسية
 منقولة عن كتاب عيسى سامراء للدكتور احمد سوسة مع بعض التغييرات



وقد لوحظ في تخطيط الابنية وقوعها داخل المربع مع مراعاة مجرى الماء القديم .

والقسم الجنوبي الغربي من الشارع الاعظم الى جانب النهر يشغله مستطيل ثاني مساحته ٤٦٠ ٥٧٥ متراً به حصن يطيف به سور ذو ابراج وهو يمتد من شاطئ النهر الى نقطة تقاطع الشارعين .

اما القصر فله مدخل واحد في وسط جانبه الشمالي الشرقي وهو يقع في منتصف المساحة بالضبط عند تقاطع الشارعين . وينقسم القصر ثلاثة اقسام متوازية كما في قصر العاشق بسامراء ايضاً .

وبالقسم الاوسط منه نجد على الترتيب : - المدخل ورحبة الشرف وقاعات العرش . والرحبات في بلوكوار ثلاث . اما القاعات وعددها تسع فهي مرتبة على شكل صليب وقد روعي التناسق والتشابه التام على جانبي محور القصر . وغرف العرش مفتوحة على الرحبة الثالثة كقاعات كبيرة كما انها مفتوحة ايضاً على النهر .

وهناك حديقة خارج خط حائط الحصن يحيط بها سور ذو دعائم او فصوص وينتهي عند الشاطئ نفسه بسقيقات غنية بالزخارف . والى جانب الحديقة مرفأ للسفن وفي وسطها حوض الماء .

* * *

والواجهات المطلة على الرحبة والحديقة ذات ثلاثة عقود كما في بيت الخليفة وقصر المشني وقد اشتقت هذه الواجهات ذات الثلاثة العقود والتي عتمدها الاوسط يزيد في اتساعه عن العقدين الجانبين من ابواب الشوارع الهلالية

(الاغريقية) القديمة وافواس النصر الرومانية . ويظهر ان القاعات ذات المدخل والواجهات المائلة كانت معدة للاستقبالات العامة كما يتضح ذلك من دراسة نظائرها من القصور الشرقية القديمة والحديثة ومن أمثلة ذلك قاعة قصر اويوان (كسرى) بمدينة طيشفون .

وقد كانت هذه القاعات معدة لهذا الغرض في قصور الامراء ايضاً ودليل ذلك ماورد بكتاب الاغاني الذي هو من ذخائر الادب ومن أغنى المراجع في تاريخ الثقافة العربية على لسان اعرابي يصف احد امراء سامراء وهو يقول ان هذا الامير اذن له بدخول غرفته فوجدها شبيهة بقاعة كسرى .

والقاعتان الخارجيتان الواقعتان على المحور الرئيسي للقصر على شكل حرف T الذي اعتدنا رؤيته في سامراء . اما القاعات الخمس المرتبة على شكل صليب فان الوسطى منها مربعة وكانت لاجتماعات الخليفة الخاصة وهناك اربع مجموعات متشابهة من الغرف بين أذرع الصليب تتكون كل منها من ثمانية غرف تدور حول رحة صغيرة مربعة وبينما نجد القاعات الكبرى مسقوفة بالخشب على شكل قبة على الارجح نجد الغرف الصغرى مسقوفة بقبوات معقودة من اللبن ذات حشوات غاطسة قريبة الشبه بالسقوف الهلينية (الاغريقية القديمة) ذات الحشوات الغاطسة و امام القاعات ذات الشكل حرف T الواقعة على المحور الرئيسي رحبات وغرف كثيرة اخرى لضرورات المعيشة المنزلية بينها حمام فاخر كان مكسواً بالرخام .

أما الزخارف فهي على نسق واحد متكرر ويظهر جمالها في اتساقها وتكررها

وكبر المساحة التي تعطىها لافي دقة صناعتها . بينما نجد في البيوت الخاصة التي استكشفت باسماء على كل حائط منها زخارف كثيرة متنوعة دقيقة وغنية . والطراز السائد هنا هو طراز اسماء الاول ويعلمو وزرات القاعات الرئيسية صف حائطية منتظمة في ثلاثة صفوف : اسفلها مربع وتعلوه صفة مدببة العقده فوقها دائرة . اما الغرف الصغرى . فنجد بها الصف المربعة في الاسفل تعلوها اخرى بيضوية او اهليلجية مدببة او ذات اربع حنايا . على ان الصفوف الثلاثة لا توجد كاملة في اية حجرة من الحجرات .

وعلاوة على زخارف الجص نجد في بعض الحجرات زخارف مصورة منقوشة ومذهبة كما يشاهد ذلك في السقيفات المطلة على النهر . اما الواجهة ذات الثلاثة العقود فكانت محلاة بالفسيفساء الزجاجية على ارضية مذهبية في اشكال زخرفية تغلب فيها الفروع النباتية . اما الالوان فتتخصص في اللون الاخضر الذي يتدرج من الاخضر الذهبي الى الاخضر الغامق وبراغم الازهار والفاكهة من اللؤلؤ والارضية من الذهب . وكانت هذه الالوان موزعة جميعاً بنسب متساوية تقريباً . وكانت ابواب الغرف مصنوعة من الاخشاب الفاخرة وكانت غنية بالزخارف المنقوشة والمذهبة ومحلاة بمسامير النحاس المذهبة ايضاً . وكانت النوافذ تملأ بقطع زجاجية مختلفة الالوان منها الازرق اللاجوردي والاصفر الباهت والبني والاحمر الغامق والاحمر البنفسجي على ان هذه البقايا جميعها لا تكفي لتكوين فكرة واضحة تماماً عن زخرفة الحجرات .

ويتكون القسم الاخران من المستطيل العظيم من مجموعة من المنازل المفردة ونظراً الى كبر مساحة القصر كانت المسافة الواقعة بين حائط النهر وخط الجانب

الداخلي من رحبة الشرف الثالثة كافية لتشييد المنازل بها اما الفضاء المجاور الرحبتين الاوليين فبقي خالياً من البناء تقريباً . وبهذه الطريقة نجد المحور يقسم القصر الى قسمين كما في قصر العاشق .

وهذه المنازل المفردة تعد نماذج وأمثلة حقيقية لطراز المنازل الخاصة بسامراء فهي تتكون من ست عشرة غرفة مجتمعة حول رحبه . وهذه الرحبات مستطيلة الشكل نسبة اضلاعها ٢ ٣ وفي احد اطرافها قاعة على شكل حرف Γ وكان يقطن هذه المنازل خدم وحشم الامير او زوجاته وحريره .

امامى القسم الشمالي فيختلف التخطيط قليلا اذ نجد شارع السوق ورحبات الكبرى يظن انها كانت ثكنات للمشاة والحرس . وقد لخصنا من قبل في تأسيس سامراء ان المعتصم خط القوائم للقواد وللكتاب وللناس . وانه أفرد قطائع الأتراك والعجم وغيرهم من قطائع الناس جميعاً وجعلهم معتزلين عنهم . ومنعهم من الاختلاط بهم . ليس معهم في قطائعهم ودروبهم احد من الناس يختلط بهم من تاجر ولا غيره ولا يطلق لغريب مجاورتهم . ولا يطلق معاشرة المولدين . الخ .

وانه أمر قواده واصحابه ورؤساء جنده ان يبينوا لهم في خلال قطائعهم المساجد والاسواق والحمامات . ولا شك ان هذا كان الحال ايضاً في بلكوار . وقد روي المقرئ في وصف قطائع ابن طولون انه كان له القصر والميدان للعب الصوالة ولا بد ان قصر بلكوار كان فيه كل ذلك ايضاً .

ولاحظنا في دراستنا لقصر المشتى او الاخيمصر ان المسجد كان يقع الى اليمين في القسم الاول من رحبة الشرف . ولذلك كنا نعتقد ان هذا هو الحال في بلكوارا فمسجد قصر المشتى يقع الى يمين المدخل الكائن بالحائط الجنوبي وهذا

الحائط في سمت القبلة . وفي وسطه (ابي المسجد) المحراب الذي يدل دلالة واضحة على انه مسجد القصر .

اما في قصر الاخيضر فان مدخله من الشمال . ومسجده في مثل هذا الموضع ايضاً الى يمين الداخل وهو ذو بوائك واروقة منتظمة وله محراب في روافة الجنوبي .

فالقصران الاولان في سمت القبلة . اما باكوار فمنحرف عنها بمقدار ٤٥ درجة .

ولذلك فاذا انشئ به مسجد فلا يحتاج الى كبير عناء لمعرفة موقعه لان حائط القبلة به لا بد ان يكون منحرفاً عن بقية الجدران بمقدار ٤٥ درجة .

* * *

وقد ساعدنا هذا الاستنتاج على العثور على موضع المسجد في الرحبة الثانية حيث وجدنا في حائط هذه الرحبة بابا ذا ثلاث فتحات والى يمينه مسجد مساحته ١٥ × ٣٥ متراً به صفات من الاعمدة في كل منها ثمانية عمد . وقد كانت هذه الاعمدة من خشب الساج او الرخام ولم يبق الا آثار مواضعها واسسها وقواعدها التي كانت تبلغ ٥٠ سنتماً (او ذراعاً واحداً) .

ولم يبق شيء كذلك من اسوار هذا المسجد او اسسها لانها كانت من الآجر وقد اخذت جميعها وحملت لبناتها الى أماكن اخرى ولذلك لم يمكن معرفة موضع المحراب بهذا المسجد . الا انني وجدت بالقسم الجنوبي المقابل مسجد أصغيراً آخر تبلغ ابعاده قاعدته ٧٦٦ر٧ ، ١٠٣٥ المتر (أي ١٥ × ٣٠ ذراعاً) وهو مبني باللبن ولذلك لم تمتد اليه يدباً لعبث او الهدم ولهذا المسجد ثلاثة ابواب في جداره

الشمالي ويتكون محرابه من صفة عميقة مستديرة يحف بها انصاف أعمدة (أعمدة حائطية) يحيط بها ررفرف بارز ذو تقوير محذب مكوناً اطاراً مستطيلاً ولذلك يمكن إعادة انشاء المسجد الكبير على هذه الصفة أيضاً .

وبعد قصر بلكوار من أعظم المنشآت المعمارية لكبر مساحته وحجمه ووفرة الظواهر الفنية المعمارية فيه ومما يزيد في روعته رحبته الواسعة بنسبها وتخطيطها وعظمتها . وابوابه بتنوع أطرزتها واشكالها . وواجهاته بعقودها ورفوفها وفسيفساتها وهي جميعاً أدله ناطقه على منزلة هذا البناء في تاريخ العمارة الاسلامية . كما ان المادة المبني منها افضل بكثير من المواد المستعملة في بناء الابنية الاخرى فان الاسوار المحيطة بالحصن مبنية من الطين ذي اللون الاسود والرحبه الاولى والاقسام الجانبية مبنية من اللبن بينما الرحبه الثالثة مبنية من الآجر وكذلك قاعات العرش هذا الى حسن اختيار موقعه ودقة تخطيطه فان الواقف في الحجرة الوسطى (المركزية) مثالي يري الى الشمال الغربي صفاً هائلاً من القاعات ورحبات الشرف الثلاث بأبوابها العظيمة وشوارع المربع الخارجي والى الجنوب الغربي القاعات والحديقة والنهر وسهل الجزيرة الذي لا يصل الى مدها الطرف .

وفي المحور الرئيسي يري الانسان في الشمال الغربي القاعات والمنازل والاقسام الجانبية ووادي النهر يشرف عليها جميعاً على بعد فرسخين ونصف الفرسخ قصر العاشق وقبة الصليبية والى الجنوب الشرقي رأس قناة القاطول وقبة القائم . ولا شك ان تخطيط القصر على هذه الطريقة مع ما فيه من التناسق وحسن التقسيم على النظام المحوري قد اكسبه كثيراً من العظمة والجلال والروعة والبهاء .

كما ان المعمار قد استفاد كثيراً من طبيعة الارض واحسن استغلالها من حيث ارتفاعها وانخفاضها . فالقسم الاوسط مثلاً اكثر ارتفاعاً من القسمين الجانبيين كما ان الرحبات تختلف من حيث ارتفاع ارضها وانخفاضها . وترتفع قاعات العرش التي يجلس فيها الخليفة عن جميع اجزاء القصر الاخرى وتكاد تكون ارضها في مستوى السطوح المنبسطة بالاقسام الجانبية .

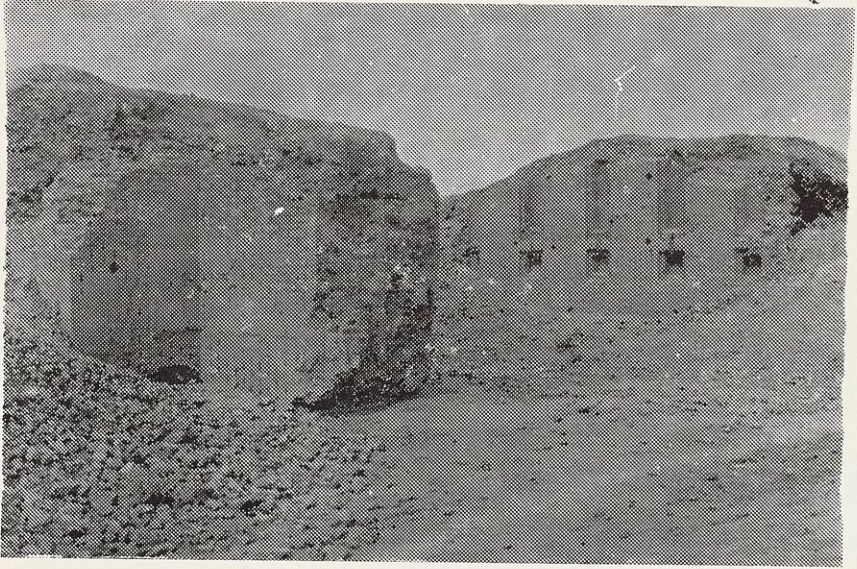
* * *

تحقيق موقع القصر وتاريخه

يقول اليعقوبي : ﴿ توفي الواثق في ٢٣٢ هـ (٨٤٧ م) وولي جعفر المتوكل بن المعتصم فنزل الهاروني وآثره على جميع قصور المعتصم . وانزل ابنه محمد المنتصر قصر المعتصم المعروف بالجوسق وانزل ابنه ابراهيم المؤيد بالمطيرة وانزل ابنه المعتز مشرقاً بموضع يقال له بلكوار (فاقصل) البناء من بلكوار الى آخر الموضع المعروف بالدور مقدار اربع فراسخ ﴾ .

ويقول في موضع آخر : ﴿ ان المتوكل بنى مدينة جديدة سماها الجعفرية واتصل البناء من الجعفرية الى الموضع المعروف بالدور ثم بالكرخ وسر من رأى ماراً الى الموضع الذي كان ينزله ابنه أبو عبد الله المعتز ليس بين شيء من ذلك فضاء . . . ولا موضع لاعماره فيه فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ ﴾ .

وقد أستنتج هر تسفلد من هاتين العبارتين ان هذه الاطلال التي وصفنا تخطيطها وبنائها هي اطلال بلكوار لان هذه المسافات التي ذكرها اليعقوبي وهي الاربعة والسبعة الفراسخ توافق موقعه موافقة تامة وهي تكون الطرف الجنوبي



۱۲ - قصر بلسکوارا او قصر المنقور

لمنطقة الاطلال العظيمة الا بعض الحارات الطويلة والمنازل الممتدة على شاطيء دجلة مسافة خمس دقائق مشياً على الأقدام ويكون سورهما الجنوبي الشرقي والشالي الشرقي حدود ضواحي سامراء .

ولذلك فلا بد ان يكون بلكوار قد بني في عهد الخليفة المتوكل على الله بين سنى ٢٣٢ و ٢٤٧ هـ (٨٤٧ - ٨٦١ م) . على اننا يمكننا ان نحصر التاريخ في عدد اقل من السنين فقد عثر هر تسفلد على كتابة أثرية بالخط الكوفي البسيط على كتلة من الخشب في احدى القاعات نصها ﴿ الامير المعتز بالله بن امير المؤمنين ﴾ وهذا هو لقب ابي عبد الله طلحة ابن الخليفة المتوكل .

وقد روي ابن خلدون وابن الاثير ان الخليفة المتوكل اعلن ولاية العهد لابنائهم الثلاثة من بعده هم : محمد المنتصر و ابراهيم المؤيد و ابي عبد الله طلحة وذلك في سنة ٢٣٥ هـ (٨٤٩ م) وان الاخير منهم لقب بالمعتز بالله واعطى ولايات خراسان وطبرستان و الرمي و ارمينية و فارس و آذربيجان و في رواية هذين المؤرخين خطأ لاحظته هر تسفلد فيما يتعلق بلقب المعتز بالله لان المعتز كان يتولى الاشراف على دار سك النقود و للامبراطورية الاسلامية كلها و ظهر اسمه على النقود المسكوكة في سنة ٢٣٥ هـ (٨٤٩ م) ابو عبد الله .

اما لقبه المعتز بالله فلم يظهر على النقود الا منذ سنة ٢٤٠ هـ (٨٥٤ م) مما يدل انه لم يلقب بذلك الا منذ ٢٤٠ هـ وعلى ذلك لا يمكن ان تكون الكتابة التاريخية الكوفية على كتلة الخشب التي اشرنا اليها آنفاً و فيها اسم المعتز بالله اقدم من سنة ٢٤٠ هـ و بعبارة اخرى ان قصر بلكوار لا يمكن ان يكون أنشئ قبل هذا التاريخ كما انه لم ينشئ بعد ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) لان المتوكل كان معنياً في ذلك

الوقت بإنشاء مدينته الجديدة (الجعفرية) التي كان قد عزم على أن يبنمها ومنتقل إليها وتنسب إليه ويكون بها الذكر وقد ابتداء النظر في ذلك في سنة خمس وأربعين ومائتين وانتقل المتوكل الى قصور هذه المدينة اول يوم من محرم سنة سبع وأربعين ومائتين .

* * *

قصر البهو

ذكر المسعودي قصر البهو وأوضح ان المتوكل أنفق عليه خمسة وعشرين ألف درهم وقال ياقوت الحموي في المعجم في أن تكاليف أشاء قصر البهو بلغت خمسة وعشرين ألف درهم ، وفي هذا اتفق المسعودي والحموي في الكلفة ولم يعينا موقع القصر الا أن الدلائل تشير الى أن موقعه شمال مدينة سامراء .

قصر التل

ذكر المسعودي في (مروج الذهب) هذا القصر وبين ان المتوكل أنفق عليه خمسة آلاف درهم علوه وسفله ، كما ذكر الحموي نفس هذا المبلغ . وقد أشار الدكتور احمد سوسة في كتابه (ري سامراء) الى هذا القصر فقال ولقد درس هرتسفلد هذا التل (١) خلال تنقيباته في سامراء قبل الحرب العالمية الاولى فظهر له ان بناية صغيرة مربعة تشتمل على تسع غرف احدها في الوسط كانت فوق قته ، ولعل البناء المذكور كان القصر المعروف باسم (قصر التل)

(١) أي تل المليق

الذي قيل انه يعود الى عهد المتوكل .

قصر الجص

يقع هذا القصر على الجانب الايسر من نهر الاسحاقى على بعد تسعة عشر كيلو متراً عن مدينة سامراء ، وقد ذكر ابن سراييون في كتابه (عجائب الاقاليم السبعة) ان المعتصم بناه على نهر الاسحاقى وسماه باسم ﴿ قصر الجص ﴾ بدليل ان القصر بني بالجص المزوجة بالحصى بشكل يشبه الخرسانة ، وبما قاله الحموي في المعجم ان قصر الجص عظيم قرب سامراء فوق الهاروني بناه المعتصم للنزهة وعنده قتل (بختيار بن معز الدولة بن بويه قتله عضد الدولة ابن عمه) وبختيار هو خامس ملوك بويه كنيته ابو منصور ولقبه عز الدولة) .

وجاء ذكر (قصر الجص) في رسائل الصابي (الجزء الاول طبعة لبنان لسنة ١٨٩٨) ص ٦٧ ، فوصف فيها بكونه بالجانب الغربي محاذياً لسر من رأى . ويقول الدكتور احمد سوسة (١) تقع خرائب الحويصلات في السهل الذى على الجانب الايسر من نهر الاسحاقى على بعد سبعة عشر كيلومتراً شمال محطة سكة حديد سامراء ويرجح انها بقايا قصر من قصور الخلفاء فى سامراء على الجانب الغربى من دجلة وتبلغ مساحة بناية هذا القصر حوالي تسعة عشر الف متر مربع واما مساحة القصر مع حديقته وسوره فتزيد على المائة والثلاثين الف متر مربع ويغلب على الظن ان خرائب الحويصلات هذ بقايا القصر الذى ذكره ابن سراييون باسم قصر (الجص) .

(١) ري سامراء ج ١ ص ٨٧

قصر الجعفري

ذكر الدكتور احمد سوسه في كتاب (ري سامراء (١) هذا القصر فقال ﴿ وكان المتوكل قد بنى في موضع الماحوزة بالمتوكلية قصر آفخا سماه (القصر الجعفري) وانتقل اليه . ولا تزال بقايا هذا القصر وبركته الواسعة تشاهد على ضفة نهر دجلة في شمال سور دار الخلافة في الزاوية التي يكونها نهر دجلة من جهة ونهر القاطول الكسروي من الجهة الثانية .

وقد جاء وصف هذا القصر في أكثر كتب المؤرخين من العرب فقال ابو الغداء في تاريخ المختصر : ﴿ وفي سنة ست وأربعين تحول كل المتو الى الجعفري وكان قد ابتدأ في عمارته سنة ٢٤٥ وانفق عليه اموالاً تجل عن الحصر ويقال لمكانه الماحوزة ﴾ .

وقال ياقوت في مادة الجعفري (وفي سنة ٢٤٥ بنى المتوكل الجعفري وانفق عليه الف دينار وكان المتولي لذلك دليل ابن يعقوب النصراني كاتب بغا الشرايبي) و اضاف ياقوت الى ذلك قوله بان (الدراهم كانت في أيام المتوكل كل خمسة وعشرين درهماً بدينار فيكون عن الف دينار خمسون الف درهم) وقد أيد ياقوت ذلك في مادة (سامراء) فذكر ان كلفة (القصر بالمتوكلية وهو الذي يقال له الماحوزة ، خمسين الف درهم) وأشار أيضاً في المادة نفسها الى أن هناك قصر آخر كان يسمى (الجعفري المحدث) بلغت كلفه انشائه عشرة آلاف درهم .

وبلاحظ ان الطبري قد اعتبر مبلغ الف دينار ، الذي ذكره ياقوت

(١) ري سامراء ج ١ ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ .

بانه كان كلفة بناء قصر الجعفرية ، شاملا كلفة بناء المتوكلية نفسها ، وفيما يلي نص ما كتبه في هذا الصدد قال (وفي سنة ٢٤٥ هـ أمر المتوكل ببناء الماحوزة وسماها الجعفري وأقطع القواد واصحابه فيها وجد في بنائها وتحول الى المحمدية ليتم أمر الماحوزة وأمر بنقض القصر المختار والبديع وحمل ساجها الى الجعفري وانفق عليها فيما قيل أكثر من ألف دينار جمع فيها القراء فقروا وحضر أصحاب الملاهي فوهب لهم ألف درهم وكان يسميها هو واصحابه الخاصة المتوكلية * .

وقد اشتهر القصر الجعفري بحسنه وفخامة بنائه فكان مصدر وحي الشعراء والكتاب وذكر ابن خلكان ان أبا العيناء محمد بن القاسم بن الخلاء الا هو ازي البصري دخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ٢٤٦ هـ فقال له ما تقول في دارنا هذه فقال ان الناس بنو الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك فاستحسن المتوكل كلامه .

كما ان للشعراء في ذكر هذا القصر أشعاراً كثيرة ، ولعل أحسن ما قيل فيه وصف البحري له في أبياته التالية :

قد تم حسن الجعفري ولم يكن	ليتم الا بالخليفة جعفر
ملك تبوأ خير الدار أنشئت	في خير مبدى للانام ومحضر
في رأس مشرفة حصاها أولؤ	وترابها مسك يشاب بعنبر
مخضرة والغيث ليس بساكب	ومضيئة والليل ليس بمقمر
فرفعت بنياناً كأن منارة	أعلام رضوى أو شواهن صبير
أزرى على همم الملوك وغض من	بنيان كسرى في الزمان وقبصر
عال على لفظ العيون كأنما	ينظرن منه الى بياض المشتري

ملأت جوانبه الفضاء وعانقت
وتسير دجلة تحته ففناؤه
شجر تلاعبه الرياح فتنثني
أعطيته محض الهوى وخصصته
شرفاته قطع السحاب الممطر
من لجة غمر وروض أخضر
أعطافه في سائح متفجر
بصفاء ود منك غير مكدر
واسم شققت له من اسمك فاكتسى

شرف العلو به وفضل المفخر

وقال البحثري أيضاً وهو يرثي المتوكل بعد مقتله :

تغير حسن الجعفري وأنسه
تحمّل عنه ساكنوه فجأة
وقوض بادي الجعفري وحاضره
فعدت سواء دوره ومقابره
وقد كان قبل اليوم يبهج زائره
إذا نحن زرناه أجد لنا الأسمى

قصر الجوسق

وكان القصر المعروف بـ (الجوسق) يهد من أهم القصور التي انشئت على عهد المعتصم حيث أعد لسكنى الخليفة نفسه . أما موقعه فيستدل من وصف المؤرخين انه كان يقع على ضفة نهر دجلة الشرقية جنوبي (دار العامة) مطلاً على الحير (١) مما يدل على ان ارض القصر ومشملائه كانت تشغل كل المساحة التي بين شاطيء دجلة والحير .

(١) ذكر العلامة العميد الركن المرحوم طه الهاشمي في كتابه (مفصل جغرافية العراق)

ص ٥٢٢ و ٥٢٣ ان الجوسق يقع في ضفة نهر دجلة الغربية) - وهو غير صحيح

وفيسما يلي وصف اليعقوبي للجوسق قال مانصه : (فوقف المعتصم في الموضع الذي فيه دار العامة وهناك دير للنصارى فاشترى من أهل الدير الارض واختط فيه وصار الى موضع القصر المعروف : (الجوسق على شط دجلة فبنى هناك عدة قصور للقواد والكتتاب وسماها باسمائهم (١) وتؤيد الروايات التاريخية بان المعتصم سكن في هذا القصر طيلة مدة حكمه ولما توفي دفن فيه ، كما تؤيد لنا بان اخلافه من الخلفاء الذين حكموا في سامراء سكنوا فيه أيضاً باستثناء الواثق والمتوكل أما الواثق فقد سكنه في ابان حكمه ثم انتقل الى القصر الهاروني بعد اتمام بنائه ، في حين ان المتوكل آثر السكنى في الهاروني بعد توليه عرش الخلافة ومن ثم انتقل الى القصر الجعفري بالمتوكية قبل مقتله .

ويستفاد مما كتبه اليعقوبي ان المتوكل انزل ابنه محمداً المنتصر في الجوسق (٢) وقد أورد المؤرخون ذكر (الجوسق) في مناسبات عدة عند سردهم الحوادث في عهد خلفاء سامراء ، منها حادثة مقتل أتامش وكتابه في عهد المستعين (٣) وحوادث مقتل موسى بن بغاومصرع بابكبك ونهب الجوسق في زمن المهدي (٤) والحوادث الاخرى التي وقعت في عهد المعتمد (٥)

ويستفاد من روايات المؤرخين انه كان في قصر الجوسق سجن ملكي كان يسجن فيه السياسيون والقواد والامراء ، ويظهر ان هذا السجن انشيء في الاصل

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١٩٧ .

(٢) كتاب البلدان لليعقوبي

(٣) الطبري (٣ : ١٥٣٨) .

(٤) الطبري (٣ : ١٨١٠ ، ١٨١٥ ، ١٨٣١)

(٥) الطبري (٣ : ٩٢٧ ، ٢٠٤٠)

في عهد المعتصم لحبس الافشين فيه وقد سمي باسم (لؤلؤة) ثم سجن فيه المعتز
 والمؤيد في عهد المستعين كما سجن فيه احمد بن المتوكل الذي كان يعرف بـ (ابن
 فتيان) في عهد المهدي وذكر الطبري في جملة حوادث سنة ٢٢٥ هـ (ان المعتصم
 دعا الافشين فجاء وهو في سواد) فامر بأخذ سواده وحبسه فحبس في الجوسق ثم
 بنى له حبساً مرتفعاً وسماه لؤلؤة داخل الجوسق وهو يعرف بالافشين (١)
 وجاء ذكر البناية أيضاً فيما قيل عن ارسال المعتصم بعض الفواكه الى
 الافشين وهو في سجنه فهذا نص الرواية وقد نقلها الطبري ايضاً قال : (في سنة
 ٢٢٦ هـ ذكر عن حمدون بن اسماعيل انه قال لما جاءت الفاكهة الحديثة جمع المعتصم
 من الفواكه الحديثة في طبق وقال لابنه هارون الوائق اذهب بهذه الفاكهة بنفسك
 الى الافشين فادخلها اليه فحملت مع هارون الوائق حتى صعد بها اليه في البناء الذي
 بنى له محبس فيه الذي يسمى لؤلؤة (٢) ويظهر المعتقل المذكور صار يعرف باسم
 (لؤلؤة الجوسق) فقد ذكر المسعودي ان المستعين لما كان في سامراء قبل ان
 ينحدر الى بغداد اعتقل المعتز والمؤيد في هذا السجن وأبقاهما فيه فاطلق الموالي
 سراحهما وبايعوا المعتز . ويقول المسعودي في هذا الصدد مانصه (وقد كان
 المستعين اعتقل المعتز والمؤيد حين انحدر الى بغداد ولم يأخذها معه . . فأجمع
 الموالي على اخراج المعتز والمبايعة له والانقياد الى خلافته ومحاربة المستعين
 وناصريه ببغداد فانزلوه من الموضع المعروف بلؤلؤة الجوسق وكان معتقلاً فيه
 مع أخيه المؤيد فبايعوه (٣) .

(١) الطبري (٣ : ١٣٠٧)

(٢) الطبري (٣ : ١٣١٥) .

(٣) الطبري (٣ : ١٥٠٧ ، ١٦٦٨)

وذكر الطبري سجن الجوسق عند وصفه لحوادث سنة ٢٥٦ هـ - وهي الحوادث المثيرة التي اكتتفت عهد المهدي القصير والتي كانت تدور حول عصيان الجيش وتمرده على الخليفة فقال ان المهدي لما استنجد بالعامه ولم ينصره أحد (صار الى باب السجن فاطلق من فيه وهو يظن انهم يعينونه فلم يكن منهم إلا الهرب) فاتجه بعد ذلك الى دار أبي صالح عبد الله وأخرج منها وسبق الى الجوسق فبس فيه عند احمد بن خاقان وأرادوه على الخلع فأبي واستسلم للقتل (١)

ويستفاد من أوصاف الطبري لحوادث عصيان الجيش في عهد الخلفاء العباسيين في في سامراء أن الجوسق كان في ذلك العهد المحور الذي كان تدور حوله المؤامرات والتجمعات وحوادث القتل والسجن والاعتقال وكانت الألوف من الجنود تتقاتل فيما بينها في ساحاته وداخل أبنيته الواسعة ، وقد أطلق عليه الطبري باسم (الدار) دون ذكر اسم الجوسق كلما أشار اليه مما يدل على انه كان من الأماكن الرئيسية المشهورة في العاصمة العباسية في ذلك الوقت .

ومما يدل ايضاً على ان الجوسق كان يعد من الأبنية الرئيسية في سامراء العباسية ومركزاً مهماً فيها ان المكتفي لما توجهت نيته الى الانتقال الى سامراء واعادة البناء فيها ضربت له المضارب بالجوسق وكان يريد البناء فيه غير انه عدل عن ذلك ورجع الى بغداد .

وقد اختار ابن المعتز قصري الجوسق والتل من دون قصور سامراء فذكرها في ديوان شعره وهو يرثي الخلافة العباسية بعد أن أصابها الوهن

(١) ري سامراء ج ١ ص ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ . الدكتور

احمد سوسة .

والشلل قال :

فتلك أطلال لهم قفاراً ترى الشياطين بها نهارة
بالتل والجوسق والقطائع كم ثم من دار لهم بلاقع
وقال ياقوت الحموي في المعجم عند ذكره (بزكوار) أبياتاً منها :
عصى الزمان عليهم بعد طاعته فانظر الى فعله بالجوسق الخرب

ويظهر ان الجوسق كان يعرف باسم (الجوسق الخاقاني) وقد سماه المعتصم بهذا الاسم نسبة الى خاقان عرطوج أبي الفتح بن خاقان الذي اقطعه واصحابه القطائع مماليك الجوسق .

وجاء في (مروج الذهب للمسعودي ما يؤيد ذلك قال (وفي سنة سبع وعشرين كانت وفاة المعتصم على دجلة في قصره المعروف بالخاقاني يوم الخميس لثاني عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول)
ويلاحظ ان ياقوت ذكر بان الجوسق من القصور التي بناها المتوكل في سر من رأى في ميدان الصخر وانفق عليه خمسمائة الف درهم ويظهر من ذلك ان الجوسق اثنان أحدهما من ابناءه المعتصم وهو الجوسق الرئيسي والآخر من أبنية المتوكل أنشيء بالقرب من الجوسق الكبير في إحدى ساحاته .

ولا شك في ان اطلال قصر الجوسق كانت من أبرز وأوسع المواقع الأثرية في سامراء إلا أن قربها من مدينة سامراء الحالية كانت السبب المباشر في محو معالمها حيث استخراج كل ما فيها من آجر ونقل الى المدينة الجديدة التي أسست فوق اطلال سر من رأى العباسية لاستعماله في بنائها وفي انشاء السور الضخم حوالها . ويحتمل ان يكون جزء من مدينة سامراء الحالية قد بني على طرف أرض

الجوسق نفسه مما أدى الى نحو معالم القصر محوآ تماماً .

ويذكر كرزول قصر الجوسق فيقول :

قام بكشف أطلال هذا القصر العالم الأثري فيولية Viollet سنة ١٩٠٧ غير ان اعماله لم تكن سوى تمهيد للاستكشافات العظيمة التي قامت بها البعثة الأثرية الألمانية فيما بعد باشرف العالمين الكبيرين زرر وهرتسفلد .

يقول هرتسفلد في احد تقاريره (استمرت اعمال الكشف بهذا القصر سبعة أشهر كان يشغل في أثناءها عدد يتفاوت بين ٢٥٠ و ٣٠٠ عامل يومياً واستخدمت سكة حديدية محلية خاصة لنقل الأتربة وتزيد مساحة القصر التي يطيف بها السور عن (١٧٥) هكتار تشغل منها التي تشرف على نهر دجلة بنحائها وممراتها وقاعاتها وحماماتها ٧١ هكتاراً .

وبناء على ذلك فلو اريد استكشاف القصر جميعه وملحقاته لاستغرق ذلك عشرين عاماً ومهما يكن من شيء فان كشف هذه الامكنة لم يكن امراً شاقاً كما لم يتبادر الى الذهن لأول وهلة . لانه كان من الممكن تتبع التخطيط العام للقصر وترتيب قاعانه وحجراته المختلفة حتى بدون القيام باعمال الحفر . ولذلك فقد رؤي حصر هذه الاعمال في الاجزاء الرئيسية أى الواقعة على المحور الرئيسي للقصر .

وقد كشف حوالي ١٤ الف متر مربع من الارض وأزيل ٣٢ الف متر مكعب من الردم منها ١١ الف متر مربع و ٢٨ الف متر مكعب من الردم من الحفائر التي اجرئت في وسط القصر .

وقد بدأت اعمال الحفر والتنقيب بعدة اختبارات وابحاث تمهيدية في

المحور الرئيسي والمحور العرضي للرحبة الكبرى لتأخر وصول السكة الحديدية التي طلبت لاستخدامها في نقل الردم وبعد وصولها امتدت اعمال الحفر الى البناء الرئيسي نفسه .

وكانت تفاصيل تخطيط هذا البناء تتضح لنا رويداً رويداً الا أنها لم تعرف تماماً إلا حينما ظهر اثناء الحفر وكشف تخطيط القصر ورفع الأتربة ان هذه المجموعة الهائلة من المباني لم يكن لها سوى مدخل واحد في وسط جانبها الغربي ما تزال بقاياها موجودة الى اليوم تعرف بباب العامة .

وكان نهر دجلة يجري بجوار الجانبين الغربي والجنوبي الغربي للحديقة السفلي وكان الشارع الاعظم يمتد من الجنوب حتى ينتهي الى جدران القصر وهناك يتصل بشاطيء دجلة من جهة الجنوب مكوناً معه زاوية حادة حيث يقع باب النزلة وهناك طريق طوله ستمائة متر يخترق الحديقة حتى (الحوض الأعظم) وسعته ١٢٧ متراً مربعاً حيث يبدأ سلم عرضه ٦٠ متراً وطوله مثل ذلك يرق منه الى شرفة ارتفاعها ١٧ متراً أمام باب العامة .

قصر حبش

أورد ياقوت الحموي ذكر قصر علي الضفة اليمنى لنهر دجلة قرب الاسحاقى سماه (قصر حبش) فقال عنه انه موضع قرب تكريت فيه مزارع شربها من الاسحاقى واهل موقع هذا القصر في التل المعروف : (تل مهبجير) وهو تل مسطح علوه خمسة أمتار وطوله عشرون متراً يقع في حافة دجلة الغربية الحالية مقابل القصر الجعفرى الذى في الضفة اليسرى (١)

(١) ري سامراء ج ١ ص ٩٠ للدكتور احمد سوسة

قصر الحير

قال الحموي في المعجم الحير بالفتح كأنه منقوص من الحير اسم قصر كان بسامراء انفق المتوكل على عمارته اربعة آلاف درهم ثم وهب المستعين انقاضه لوزيره احمد بن الخصيب فيما وهبه له . وقال المسعودي في (مروج الذهب) عند ذكره سيرة المتوكل (وأحدث في أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيرى والسكين والاروقة وذلك ان بعض سماره حدثه في بعض الليالي أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بنى قصرآ أحدث بنيانآ في دار قراره وهي الحيرة على صورة الحرب وهيئة للهجته بها وميله نحوها لتلا يغيب عنه ذكرها في سائر احواله ، فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر والسكان ميمنة وميسرة ، ويكون في البيتين اللذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه ، وفي اليمين منها خزانة السكوسة ، وفي الشمال ما احتيج اليه من الشراب والرواق قد عم فضاؤه الصدر والكين والابواب الثلاثة على الرواق ، فسعي هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيرى والسكين ، اضافة الى الحيرة واتبع الناس المتوكل في ذلك اتماماً بفعله واشتهر الى هذه الغاية) .

قصر صحرار

يقع هذا القصر في الجانب الغربي من نهر دجلة ، وقد ذكره صاحب كتاب المراصد وقال انه قصر يقع في قرية قرب المعشوق في الجانب الغربي مقابل سامراء .

قصر البركة

ذكر الدكتور احمد سوسة في كتابه (ري سامراء (١) هذا القصر فقال
وكان في الحدود الشمالية الغربية لساحة الحير قصر يسمى بالدكة ، وكان القصر يقع على
ضفة نهر القاطول الكسروي اليميني في شرقي تل العليق ، وكان امامه بركة مدورة
تستمد مياهها من فرع خاص يتشعب من قناة سامراء ، وهي القناة التي حفرها
المتوكل لايصال مياه دجلة الى مدينة سامراء ، كما كانت امامه ساحة واسعة تبلغ
مساحتها حوالي ١٥٠٠ دونم (مشاركة) وكانت الساحة مسورة بجدار على شكل
مستطيل قائم الزوايا ، تمتد الضلع الشمالية مسافة حوالي كيلومترين ونصف بين
ضفة القاطول الكسروي وتل العليق ، ومن قرب تل العليق تنحرف الضلع
الثانية فتسير الى الجنوب الشرقي بموازية القاطول الكسروي حوالي كيلومتر
ونصف كيلو متر ، وتحترق الضلع الثانية هذه الحلبة القديمة (حلبة بيت الخليفة)
مما يدل على أن القصر والسور أنشئا بعد الحلبة وحلت محلها (حلبة تل العليق)
وتوجد آثار بناء في منتصف كل من الضلعين الطويلتين كما انه توجد آثار بناء
في منتصف الضلع التي تحترق الحلبة مقابل بداية القصر الواقعة على ضفة القاطول
الكسروي تماماً .

ويستدل من مواقع هذه الآثار انها كانت أبواباً رئيسية في منتصف هذه
الاضلاع الثلاثة ويتضح من ذلك ان السور يقع في ثلاث اضلاع فاما الضلع
الرابعة فهي ضفة القاطول الكسروي المرتفعة وهي الضفة التي يقع
عليها القصر .

(١) ري سامراء ج ١ ص ١٢٢ ، ١٢٣

وقد ذكر الطبري موقع الدكة فيما رواه عن حادثة مقتل صالح بن وصيف سنة ٢٥٦ هـ قال وتحلب الناس وتهايجوا من دار أمير المؤمنين فركبوا في السلاح وأخذوا في الخير حتى اجتمعوا ما بين الدكة وظهر المسجد (جامع الملوية) وهذه ساحة الخير التي تقدم وصفها والتي تقع بين القاطول الكسروي الذي عاينه الدكة وبين جامع الملوية وجاء ذكر موقع الدكة أيضاً بمناسبة اخرى في نفس المصدر .

ويرجح ان يكون قصر الدكة المذكور القصر الذي كان يعرف باسم (قصر الساج) بدليل ان البحترى لما وصف هذا القصر أشار الى نهر كان يبدأ من قرب قصر الجعفرى وينتهي عنده فيوصل بينه وبين قصر الجعفرى ، ولا شك ان النهر المذكور هو النهر الذي كان يتفرع من قناة سامراء . وقد ذكر البحترى أيضاً ان هذا القصر يقع خارج سامراء في ساحة خضراء مليئة بالاشجار المورقة والمزهرة والمثمرة ولكنه غير بعيد عنها . ويقول الدكتور احمد سوسة واني لم (١) أجد أثراً آخر انطبق على اطلال الدكة السالفة الذكر . وفيما يلي نص الأبيات التي أنشدها البحترى في وصف القصر والنهر كما وردت في قصيدة قافية يمدح بها المعتز قال :

شجر على خضر ترف غصونه	من مزهر أو مثمر أو مورق
وكان قصر الساج خلة عاشق	برزت لوايقها بوجه مونق
قصر تكامل حسنه في قاعة	بيضاء واسطة لبحر محلق
داني المحل فلا المزار بشاسع	عمن يزور ولا الفناء بضيق
قدرته تقدير غير مفرط	ونيمته بنيان غير مشفق

(١) ري سامراء ج ١ ص ١٢٤

ووصلت بين الجعفري وبينه
 نهر كأن الماء في حجراته
 فإذا الرياح لعين فيه بسطن من
 أحلقه يا خير الوري بمسيرة
 بالنهر يحمل من جنوب الخندق
 إفرند متن الصارم المتألق
 موج عليه مدرج مترق
 وامتد فضول عبابه المتدفق
 يستدل مما تقدم ان المعتز (٢٥١ - ٢٥٥ هـ) هو الذي أنشأ هذا القصر
 ويقول الدكتور احمد سوسة يجوز لنا القول بان النهر الذي فتح من قناة سامراء
 ليفضي الى القصر كان من عمل المعتز ايضاً .

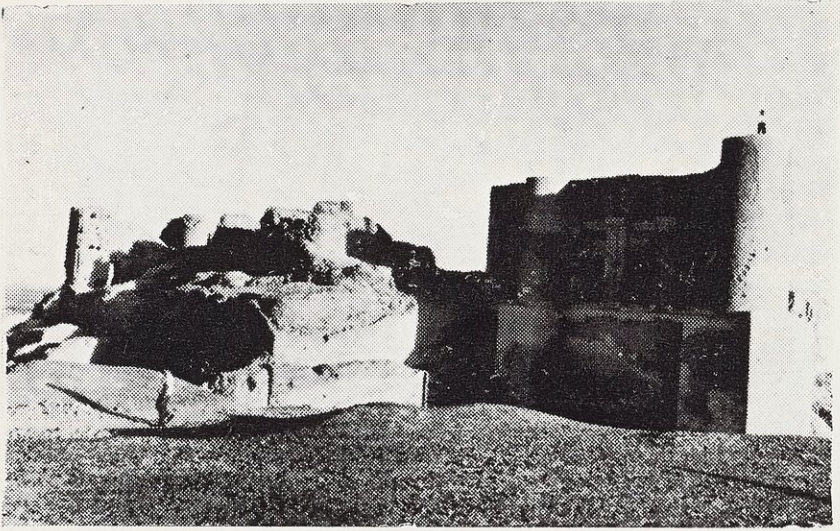
قصر الساه

ذكر اليعقوبي في تاريخه هذا القصر فقال ﴿ وبني المتوكل قصوراً أنفق
 عليها أموالاً عظيمة منها الساه والعروس والشباز والبديع والغريب والبرج وأنفق
 على البرج الف الف وسبعائة الف دينار .

قصر سمران

قال الحموي في معجمه . شبزاز بكسر أوله وسكون ثانيه ثم دال
 مهملة مفتوحة وآخره زاء معجمه ، ويقال شبدينز بالياء المثناة من تحت ، موضعان
 أحدهما قصر عظيم من ابنية المتوكل بسر من رأى . وقد ذكر البحترى في
 أحد قصائده هذا القصر حيث قال :

ان خير القصور أصبح منهوراً بكره العدى لخير الأنام
 حاور الجعفري وأنحار شبزاز اليه كالراغب المعتام



١٣ - جانب من قصر العاشق في سامراء بعد الصيانة

حلل من منازل الملك كالانجم	يلعن في سواد الظلام
غرف من بناء دين ودنيا	يوجب الله فيه أجر الامام
شوقتنا الى الجنان فزدنا	في اجتناب الذنوب والآثام
وبها تشرب الأوائل ملكا	وتباهى مكاثري الاسلام

قصر الشيراز

ذكر ياقوت الحموي في معجمه هذا القصر وبين أن تكاليف بنائه بلغت عشرة آلاف الف درهم حيث قال (ولم بين أحد من الخلفاء بسر من رأى من الابنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل فن ذلك القصر) وعدد عدة قصور وتكاليف بنائها ومنها قوله (والشيدان عشرة آلاف الف درهم) وورد اسم هذا القصر باسم الشيدان اي بشين مثلثة بعدها باء موحدة تحتية او السيدان بسين مهملة يليها ياء مثناة تحتية يليها دال مهملة بعدها الف ونون (١)

قصر الصبيح والمليح

ذكر الحموي في المعجم هذا القصر وأوضح ان تكاليف بنائه بلغت خمسة آلاف الف درهم . وقال المسعودي في تاريخه (مروج الذهب) قصر الصبيح أنفق عليه المتوكل خمسة آلاف الف درهم .

أما موقع هذا القصر فتشير الدلائل على انه كان بالقرب من حير المتوكل اوفيه لأن البحري لما وصف قصرى الصبيح والمليح في اشعارها اعتبر موقعا في نفس الموضع الذي تقع فيه البركة الجعفرية وجدولها ، كما انه ذكر ان قصر الصبيح تم انشاؤه في

(١) مجلة لغة العرب مجلد ١ ص ٣٤١ عدد ٨ شباط ١٩١٢ مط الشايندر - بغداد

وقت متأخر حتى صارت هناك دار للسكنى فضلاعن دار اللهو والانس التي كانت موجودة قبل ذلك مما يدل على ان المليح كان يقتصر على بناء معد للانس واللهو فقط وقد كان موجوداً قبل الصبيح ، واليك ما أنشده البحري في قصيدة يمدح بها المتوكل ويصف بها الصبيح والمليح حيث قال :

واستتم الصبيح في خير وقت	فهو مغنى انس ودار مقام
ناظر وجهه المليح فلو يستطيع	حياه معلناً بالسلام
البسا بهجة وقابل ذا ذاك	فمن ضاحك ومن بسام
كالمحين لو أطاقتا التقاء	أفرطاً في العناق والالتزام
مستمد بمجدول من عباب الماء	كالابيض الصقيل الحسام
وإذا ما توسط البركة الحسناء	ألقت عليه صبغ الرخام
فتراه كأنه ماء بحر	يخدع العين وهو ماء غمام

قصر الصوامع

ذكر الطبري في تاريخه هذا القصر حيث قال لما مات المعتز سنة ٢٥٥ هـ (اشهد على موته بنوهاشم والقواد فدفن مع المنتصر في ناحية قصر الصوامع) ويعتقد البعض ان هذا القصر هو الصليبية .

قصر العاشق

اطلال قصر العاشق تقع على بعد خمسة عشر كيلو متراً في شمال مدينة سامراء بالجانب الغربي منها كما يقع على بعد حوالي تسعة كيلو مترات من جنوبي الحويصلات وهو بقايا قصر ضخم على الضفة اليمنى من نهر الاسحاقى القديم كان

قد سماه المؤرخون باسم المعشوق الا ان اسمه هذا تحول بين الناس الى العاشق .
 وقد بني هذا القصر في أواخر أيام حكم المعتمد في سامراء قبل ان يتركها نهائياً
 ويعيد مقر الخلافة الى بغداد . ويتكون القصر من طابقين الطابق الاول قد تحول الآن
 الى سرداب اما شكل القصر فهو مستطيل يبلغ طوله ١٣١ متراً وعرضه ٩٦ متراً وقد
 حوط بساحة مسورة ، ويشاهد في هذه الساحة بين القصر وبين السور الخارجي عدة مبان
 فرعية . ويدور حول القصر خندق واسع كان يستمد مياهه من قناة جوفية
 (كهريز) كانت تنحدر من العيون التي في أراضي الجزيرة الغربية المرتفعة فتفضي
 الى خندق القصر الذي كان مرتفعاً بالنسبة الى منسوب مياه نهر الاسحاقى وقد
 اشار اليعقوبي في وصفه لمدينة سر من رأى الى هذا القصر فقال ان المعتمد لما
 ارتقى عرش الخلافة (أقام بسر من رأى في الجوسق وقصور الخلافة ثم انتقل
 الى الجانب الشرقي (يقصد الغربي) بسر من رأى فبنى قصرآ موصوفاً بالحسن
 سماه المعشوق فنزله فاقام به حتى اضطربت الامور فانتقل الى بغداد ثم الى
 المدائن (١) وقال الحموي في المعجم في حرف الميم المعشوق المفعول من العشق
 وهو اسم لقصر عظيم بالجانب الغربي من دجلة قبالة سامراء في وسط البرية باق
 الى الان ليس حوله شيء من العمران يسكنه قوم من الفلاحين الا انه عظيم
 مكين محكم لم يبن في تلك البقاع على كثرة ما كان من القصور غيره وبينه وبين
 تكريت مرحلة ، عمره المعتمد على الله أحمد بن المتوكل وعمر قصرآ آخر يقال له
 الاحمدي وقد خرب . قال عبد الله بن المعتز :

بدر تنقل في منازله سعد يصبحه ويطرقة

(١) ري سامراء ج ١ ص ٨١ ، ٩٠ ، ٦٥٠ .

فرحت به دار الملوك فقد كادت الى لقياه تسبقه

والاحمدي اليه منتسب من قبل والمعشوق يعشقه

وقد أشاد البحري بقصر العاشق هذا فأشيد في قصيدة يمدح بها المعتمد

على الله قائلاً :

لا زال معشوقك يسقى الحيا من كل داني المزن واهي الخروق

لم أر كالمعشوق قصرآ بدا لاعين الرائيين غير المشوق

هذاك قد برز في حسنه سبقاً وهذا مسرع في اللحوق

وذكر ابن جبير المعشوق في رحلته كما ذكره ابن بطوطة ايضاً في

وصف رحلته بين بغداد والموصل وسمى كلاهما القصر باسم (المعشوق) ويلاحظ

أنهما اعتبرا البناية حصناً لوجود ابراج ضخمة في جدار القصر اما ابن بطوطة فقد

وصف البناء بقوله انه يقع على نهر دجلة وفيما يلي نص ما كتبه في هذا الصدد قال

﴿ فنزلنا موضعاً على شط دجلة بالقرب من قصر يسمى المعشوق وهو مبني على

الدجلة ﴾ كل ذلك يدل على ان نهر الاسحافي الذي يقع قصر المعشوق على ضفته

كان مندرساً في ذلك الوقت ونظراً لقرب البناء من ضفة نهر دجلة اعتبره مبنياً على

ضفة نهر دجلة .

وذكر الدكتور مصطفى جواد في احد تحقيقاته عن قصر العاشق فقال :

﴿ ومما أعلمه من أخباره ان أبا الحسن علي بن يحيى المنجسم المتوفى سنة ٢٧٥ بني

المعتمد على الله أكثر هذا القصر لان الخليفة كان قد قلده بناءه (١) وان معز الدولة

نقض أكثر هذا القصر في سنة (٣٥٠) وحمل آجره الى بغداد ليبنى به داره

(١) معجم الادباء ج ٥ ص ٤٧٦

ومرافقهما بالشامسية (١) وان الامير عماد الدولة أبا العلاء رافع بن
يعين الدولة مقبل بن بدران العقيلي أمير العرب عبر على هذا القصر فكتب عليه
من نظمه :

مهرت على المعشوق والدمع سائح على صحن خدي ما أطيق له ردا
فقلت له أين الذين عهدتهم يقضون عيشاً في زمانهم رغدا؟
فقال مضوا واستخلفوني كما ترى وبادوا فما يخشون حراً ولا عبداً (٢)

وعند هذا القصر كانت الواقعة بين عسكر المسترشد بالله العباسي وعماد
الدين زنكي جد ملوك الاتابكية في سنة ٥٢٦ (٣) وكان مأوى لامراء عبادة في
القرن السادس والسابع (٤) وفي سنة ١٩٦٣ م قامت مديرية الآثار العامة بترميم
وصيانة هذا القصر الذي لا تزال آثاره ماثلة للعيان ولا زالت الصيانة مستمرة
حتى سنة ١٩٦٨ .

قصر العمري

ذكر الطبري في تاريخ هذا القصر في حوادث سنة ٢٢٤ هـ فقال ﴿ العمري
قصر للمعتصم في سامراء وفي السنة المذكورة تزوج الحسن بن افشين اترنجة بنت
اشناس ودخل بها في العمري قصر المعتصم في جمادي الآخرة واحضر عرسها
عامة أهل سامراء فحدث أنهم كانوا يغلفون العامة فيها بالغالية في

(١) المنتظم ج ٧ ص ٢

(٢) اصول التاريخ والادب ج ٧ ص ١٠١

(٣) الكامل ج ١ ص ٢٤١

(٤) الجامع المختصر ص ١٧٦ والكامل ج ١٢ ص ٩٤

تغار من فضة وان المعتصم كان يياشر بنفسه وتفقد من حضرها (ووجه التسمية ان عمر بن فرج بناه باسم المعتصم وكان والياً من قبل في المدينة وكذا في أيام المتوكل .

قصر العروس

قال المسعودي في (مروج الذهب) قصر العروس انفق عليه ثلاثين الف الف درهم ، وذكر ياقوت الحموي في معجمه هذا القصر كما ذكر الحركة العمرانية في عهد المتوكل قال ﴿ ولم بين أحد من الخلفاء بسر من رأى من الابنية الجميلة مثل ما بناه المتوكل فمن ذلك القصر المعروف بالعروس انفق عليه ثلاثين الف الف درهم . كما أشار اليه النويري (١) وقال أبو فرج الاصفهاني ، ان المتوكل لما عقد لولادة اليهود من ولده ركب بسر من رأى وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له العروس وأذن للناس فدخلوا اليه (٢)

قصر الغريب

قال الحموي في المعجم في حرف السين عند ذكره سامراء (الغريب قصر المتوكل في سامراء انفق عليه عشرة آلاف درهم وقال المسعودي قصر الغريب انفق عليه المتوكل عشرة آلاف الف درهم ، وكان من طريف ابنته وغرابة مقصوراته يسمونه غريباً .

(١) نهاية الارب (١ : ٣٩١)

(٢) الاغانى (٩ - ٣٠ - ٣١)

قصر الغرد

قال صاحب مرصده الاطلاع قصر الغرد قيل بسكون الراء بناء للمتوكل في سامراء قال و كانه الغرد، والغرد بفتح أوله وكسر ثانيه وهو كل ذي صرّ طيب واسم جبل وقال المسعودي قصر الغرد انفق عليه المتوكل الف الف درهم وهو كان على دجلة .

قصر القمر

ذكر ياقوت الحموي في معجمه هذا القصر وبين ان تكاليف بنائه بلغت خمسين الف دينار حيث قال ﴿والقلائد خمسين الف دينار وجعل فيها أبنية بمائة الف دينار .

قصر اللؤلؤة

قال ابن الأثير في الكامل عن هذا القصر (وبني المتوكل في المتوكية قصر أسماء لؤلؤة ولم ير مثله في علوه) . وقال الحموي في المعجم عند ذكره سامراء قوله اللؤلؤة اسم قصر للمتوكل في سامراء انفق له خمسة آلاف الف درهم .

قصر المختار

قال الحموي في حرف الميم المختار قصر كان بسامراء من ابنية المتوكل ذكر ابو الحسن علي بن يحيى المنجم عن أبيه قال اخذ الواثق بيدي يوماً وجعل يطوف الابنية بسامراء ليختار بها بيتاً يشرب فيه فلما انتهى الى البيت المعروف بالمختار استحسنه وجعل يتأمله وقال لي هل رأيت أحسن من هذا البناء فقلت يمتع الله

أمير المؤمنين وتكلمت بما حضرني ، وكانت فيها صور عجيبة من جملتها صورة بيعة
فيها رهبان واحسبها صورة شهر البيعة فامر بفرش الموضع واصلاح المجلس وحضر
الندماء والمغنون واخذنا في الشراب فلما انتشى في الشرب اخذ سكيناً لطيفاً وكتب
على حائط البيت هذه الايات :

ما رأينا كبهجة المختار لا ولا مثل صورة الشهار
مجلس حف بالسرور وبالتر جس والأنس والغناوالمزمار
ليس فيه عيب سوى ان ما فيه سيفق بنازل الاقدار

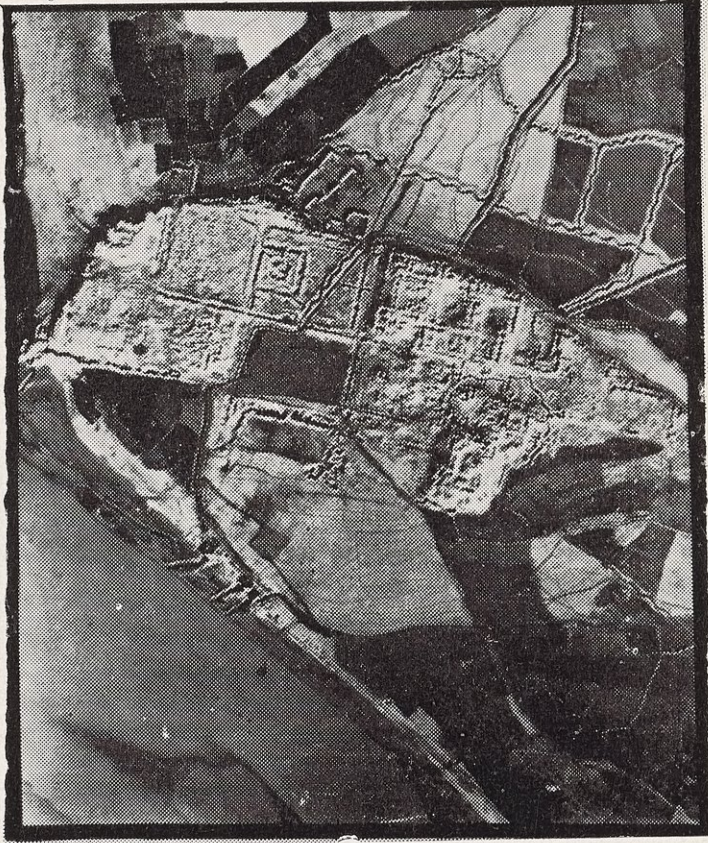
فقلت يعيد الله أمير المؤمنين ودولته من هذا ووجئنا فقال شأنكم وما فاتكم
من وقتكم وما يقدم قولي شرأ ولا يؤخر خيراً (قال) أبو علي فاجتزت بعد سنيات
بسر من رأى فرأيت بقايا هذا البيت وعلى حائط من حيطانه مكتوب
هذه الايات :

هذي ديار ملوك دبروا زمنا امر البلاد وكانوا سادة العرب
عصى الزمان عليهم بعد طاعته فانظر الى فعله بالجوسق الحرب

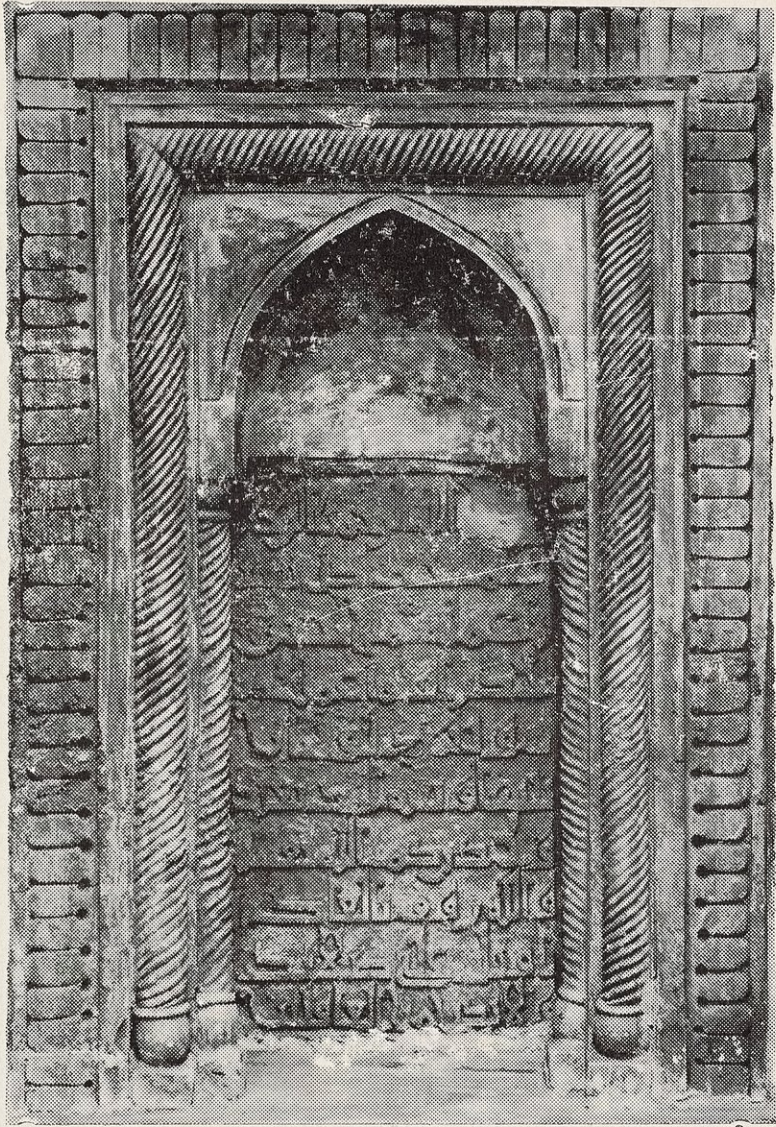
قال المسعودي والمختار قصر كان بسامراء من ابنية المتوكل انفق عليه خمسة
الآف درهم وذكره في مرصد الاطلاع ايضاً وقال (المختار قصر كان بسامراء
من ابنية المتوكل انفق عليه خمسة الآف الف) ولم يذكر درهم او دينار .

قصر المحمدية

هذا القصر من ابنية المتوكل قال الطبري بناه المتوكل في سامراء وكانه
سماه باسم ولد محمد المنتصر .



١٤ - منظر جوي لقصر الكوير



١٥ - محراب من سامراء

قصر المتوكل

ذكر الشاعر جحظة البرمكي في احد قصائده القاطول والقادسية وقصر المتوكل فقال في احد أبياته :

الى شاطيء القاطول بالجانب الذي

به القصر بين القادسية والنخل

فبين في هذا البيت ان هذا القصر يقع بين القادسية والنخل وهو الذي كان فيه قصر الرشيد ثم صار فيه قصر المتوكل .

قصر المعرث

ذكر هذا القصر الطبري عندما ذكر سيرة المنتصر فقال ان محمد المنتصر توفي في قصر المحدث بسامراء مما يدل على ان القصر المذكور يقع في سامراء وانه غير القصر الجعفرى الذى بالمتوكلية .

قصر الهارونى

ويقع غربى دار الخليفة الى الجنوب قليلا آثار قصر ضخم آخر على شاطيء دجلة في الموقع (١) المعروف بالكوير يظن انها أطلال القصر الذي كان يعرف بـ (الهارونى) وهو القصر الذي (٢) قيل ان هارون الواثق بن المعتصم بنسأه في

(١) سامراء مديرية الانار العامة سنة ١٩٤٠ م ٦٩ - ٧٠

(٢) الرأى للدكتور سوسة

زمن خلافته ﴿ جعل فيه مجالس في دكة شرقية ودكة غربية ﴾ وانتقل اليه . ولا تزال بقايا هاتين الدكنتين الضخمتين ظاهرة يمكن مشاهدتها على شاطئ دجلة الشرقي الحالي في مكان الكوير المذكور ، وقد اشتهر آجر هذا القصر في الكبر والضخامة حتى صار يضرب به المثل في سامراء فيقال آجر الكوير (١)

وقد أشار ياقوت الى قصر الهاروني هذا في معجمه قال : ﴿ ان قصر الهاروني قصر قرب سامراء ينسب الى هارون الواثق بالله وهو على دجلة بينه وبين سامراء ميل وازائه بالجانب الغربي المعشوق ﴾ وقريب من هذا ما ذكره ابن عبد الحق في المراصد قال (الهاروني قصر قرب سامراء ينسب الى هارون الواثق بالله على شاطئ دجلة في شرقها وازائه في الجانب الغربي المعشوق .

وبمناسبة ذكر حوادث سنة ٢٢٩ هـ كتب الطبري في صفة الهاروني ما نصه (ذكر عن ابن عبد العزيز الانصاري انه قال كنا ليلة في هذه السنة عند الواثق فقال لست اشتبه الليلة النبيذ ولكن ههنا نتحدث الليلة فجلس في رواقه الاوسط في الهاروني في البناء الاول الذي كان ابراهيم بن رباح بناه وقد كان في أحدشقي ذلك الرواق قبة مرتفعة في السماء بيضاء كأنها بيضة الا قدر ذراع فيما ترى العين حولها في وسطها ساج منقوش مغشى بالازورد والذهب وكانت تسمى قبة المنطقة وكان ذلك الرواق يسمى رواق قبة المنطقة) وأضاف الطبري قوله بان الواثق لما توفي سنة ٢٣٢ هـ دفن في قصر الهاروني هذا .

وقد ذكر اليعقوبي ان هارون الواثق بنى هذا القصر على شط دجلة فسماه باسمه اي الهاروني ، وجعل فيه مجالس في دكة شرقية ودكة غربية وانتقل

(١) ري سامراء ج ١ ص ٧١

اليه ، ثم لما ارتقى المتوكل عرش الخلافة نزله وآثره على جميع قصور
المعتصم (١٠١ هـ)

قصر الوهيب

قال المسعودي في مروج الذهب ﴿ قصر الوحيد اسم قصر بسامراء بنسأه
المتوكل وانفق عليه ألف درهم . وقال ياقوت والوحيد ألف درهم . وذكر
أذنه من بناء المتوكل على الله .

قصر الوزير

هذا القصر واقع على الشارع الاعظم وقد ذكر اليعقوبي في تاريخه بان
المعتصم اجاز الى ابي الوزير بناءه كان يقع في قطعة ابي الوزير .
ذكرنا عدة قصور عباسية في سامراء مما وصلت اليه يد التتبع وظفرنا بها
وحسب ما ذكرها المؤرخون في كتبهم وهناك قصور أخرى منها قصر وصيف ،
وقصر سيارا الدمشقي وقصر الفضل بن مروان ، وقصر محمد بن عبد الملك الزيات
المعروف ، وقصر ابن أبي دؤاد القاضي وقصر ابن ابي الوزير احمد بن خالد ،
وقصر الحسن بن سهل ، وقصر اسحق بن ابراهيم ، وقصر اسحق بن يحيى بن
معاذ ، وقصر ابي احمد بن رشيد ، وقصر هاشم بن بانيجور ، وقصر عفيف بن
عنبسة ، وقصر الحسن بن علي المأموني ، وقصر هارون بن نعيم ، وقصر حزام بن
غالب ويعقوب أخيه ، وقصر دليل بن يعقوب النصراني ، وقصر جعفر الخياط

وقصر العباس بن علي المهدي ، وقصر عبد الوهاب بن علي المهدي ، وقصر المبارك
المغربى وقصر يحيى بن أكثم القاضي وقصر بختيشوع النصرانى ، وقصر ابراهيم بن
رياح وقصر موسى بغا الكبير وقصر مسرور الخادم ، وقصر موسى بغا الصغير وقصر
قرقاص الخادم ، وقصر ثابت الخادم وقصر سمانة الخادم وقصر برمش الخادم ، وقصر
احمد بن الخصيب ، وقصر الفتح بن خاقان الوزير وقصر محمد بن موسى المنجم
وغير ذلك من قصور القواد والكتاب والحزبية والهاشمية الزيدية والأتراك
واخلاط الناس كل هذه كانت من الابنية الجميلة في سرمن رأى .



الديارات في سامراء

أورد المؤرخون كثيراً من الديارات في كتبهم وخاصة ما كان عامراً منها في مدينة سامراء قبل الاسلام وبعده في العصر العباسي . وقبل البدء في سرد هذه الديارات وبيان اسمائها ومواقعها وما قاله الشعراء فيها . نود أولاً تعريف معنى كلمة (دير) قاله الحموي في معجمه ﴿الدير بيت يتعبد فيه الرهبان ولا يكاد يكون في المصر الأعظم انما يكون في الصحارى ورؤس الجبال فان كان في المصر كان كنيسة أو بيعة﴾ .

وقال الزبيدي في كتابه التاج في تعريف الاديار فقال ﴿والأديار أكثر ما كانت تكون في ضواحي المدن بين الرياض والحدائق وفي قمم الجبال والروابي المطلة على الاودية والسهول الفسيحة وفي الموضع المنقطعة عن الناس﴾

١ - دير باشهرا

ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان هذا الدير فقال ﴿دير باشهرا كان على شاطئ دجلة بين سامراء وبغداد . وهو دير حسن ، عامر ، نزه كثير البساتين والكروم وهو أحد المواضع المقصودة والديارات المشهورة والمنحدرون من سرمن رأى والمصعدون اليها ينزلونه ، فمن جعله طريقاً ، بات فيه وأقام به ان طاب له ومن قصده أقام الأيام في ألد عيش وأطيبه ، وأحسن مكان وأنزهه (١) ولا ي

(١) الديارات للشابشي الطبعة الثانية ١٩٦٦ م ص ٧٩ تحقيق كوركيس عواد

العيناه (١) فيه (٢) وكان نزله وأقام به أياماً واستطابه وقال فيه

نزلنا دير باشهرا	على قسيسه ظهرا
على دين يسوع (٣)	فما أفتى وما أسرا
فأولى من جميل الفع	ل ما يستبعد الحرا
وسقانا وروانا	من الصافية العذرا
وطاب الوقت في الدير	فرا بطنا به عشرا
وسقينا به الشمس (٤)	وأخدمنا به البدرا
وأحيت لآلة الكأس	ولكن قتلت سكرا
ونلنا كل ما نهوا	من لداننا ، جبرا
تصاينا وغنينا	وأرغنا به الدهرا
فنكنا وتهتكنا	ومثلي هتك السترا
وقد ساعد نار بن (٥)	طوعاً منه لا جبرا
جزاه الله عن خير	به قابلنا خيرا
فقد أوسعته شكرا	كما أوسعنا برا

(١) هو محمد بن أبي القاسم الهامي اشتهر بكنيته مات سنة (٥٢٨٢ - ٨٩٥ م)

(٢) قال ياقوت بصدد هذا الشعر (معجم البلدان ٢ : ٦٤٥)

(٣) لا يستقم الشطر الا بقوله (أياسوع) او (يسوعى) كاظم الدجيلي . وفي معجم البلدان (يشوعى) كوركيس عواد

(٤) الشمس يقصد بها هنا الخمرة : كوركيس عواد . ويقول الدكتور مصطفى جواد كتابة

عن جمال الخادم

(٥) ربن : وتكتب ربان لفظه سريانية معناها الراهب (كوركيس عواد)

٢ - دير السوسي

ذكر أبو الحسن علي بن محمد الشهير بـ (الشابستي) في كتابه الديارات هذا الدير فقال ﴿ انه لطيف على شاطيء دجلة بقادسية سر من رأى . وبين القادسية وسر من رأى أربعة فراسخ ، والمطيرة بينهما وهذه النواحي كلها منتزهات وكروم وبساتين والناس يقصدون هذا الدير ويشربون في بساتينه وهو من مواطن السرور ومواضع القصف واللعب ﴾

ولقد ذكر ابن المعتز في بعض اشعاره هذا الدير فقال :

يالوالي بالمطيرة والكرخ ودير السوسي بالله عودى
كنت عندي أمودجات من الجنة ولكنها بغير خلود

وذكر الدكتور أحمد سوسة في كتابه (ري سامراء) موقع هذا الدير فقال (اما موضع هذا الدير فانتا تميل الى الاعتقاد بأنه يقع في التل المعروف باسم (تل الصوان) وهو التل الواقع على شاطيء دجلة جنوبي (قصر بركوار) بينه وبين (منارة القائم) الا أن التنقيب الاخير كشف عن امور بعيدة كل البعد عن رأى الدكتور سوسة حول هذا الدير)

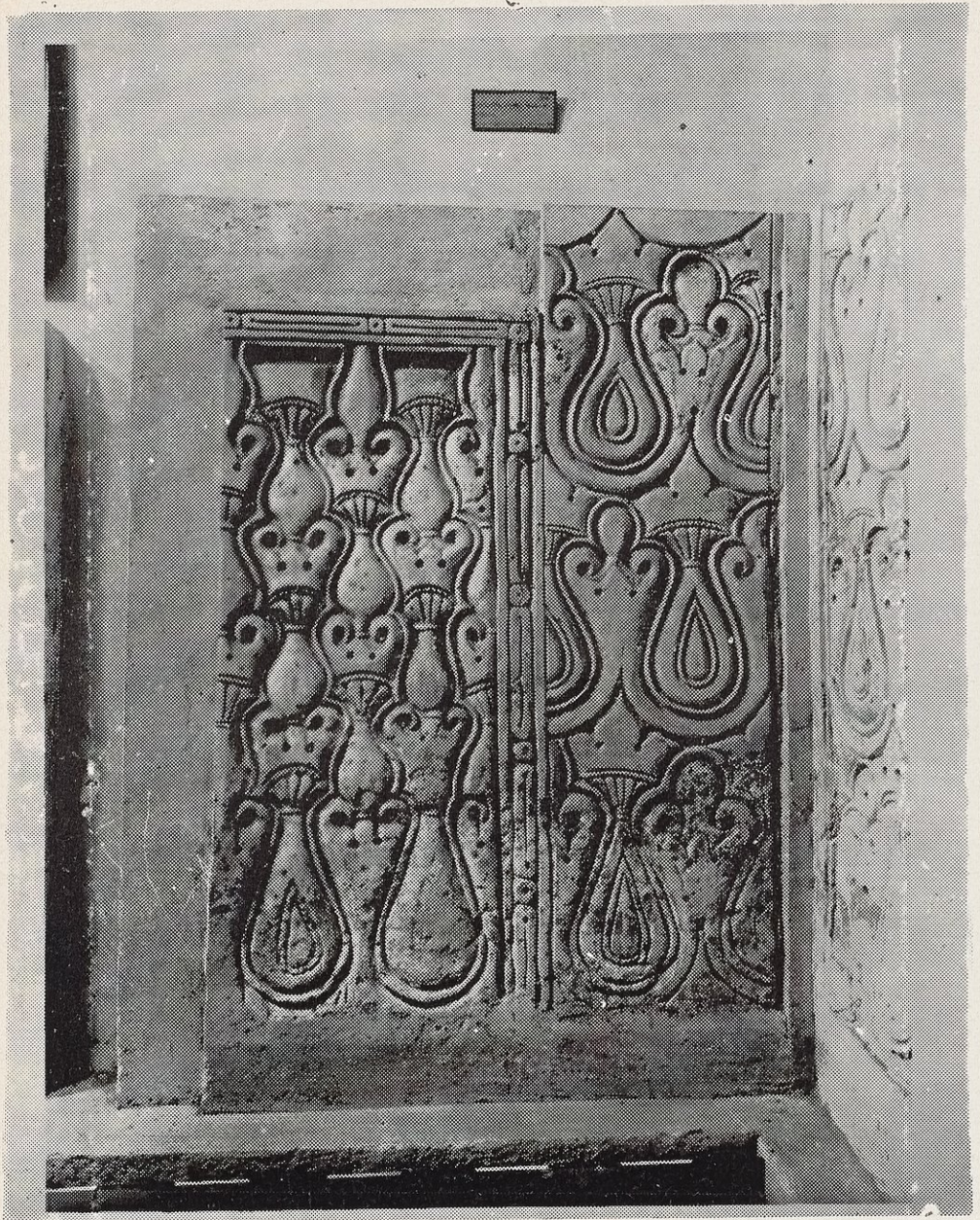
٣ - دير الطواويس

ذكر ياقوت الحموي في معجمه هذا الدير فقال (دير الطواويس بسامراء متصل بكرخ جدان يشرف عند حدود آخر الكرخ على بطن يعرف بالبي فيه ضردع يتصل بالدور وبنينها وهي الدور المعروفة بدور عربايا وهو قديم كان منظره لذي القرنين ويقال لبعض الاكسرة فاتخذته النصارى ديراً في أيام الفرس) .

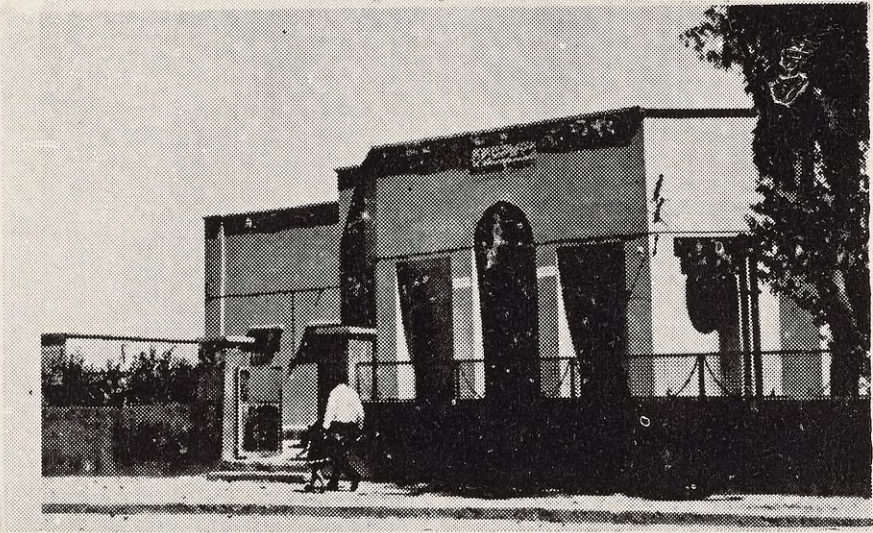
ذكر الحموي في المعجم هذا الدير وبين أنه يقع جنوب المطيرة فقال (بسر من رأى الى جنب المطيرة وسمي بدير عبدون لأن عبدون أخا صاعد بن مخلد كان كثير الامام به والمقام فيه فتنسب اليه و كان عبدون نصرانياً وأسلم أخوه صاعد على يد الموفق واستوزره وفي هذا الدير يقول ابن المعتز الشاعر :

سقى المطيرة ذات الظل والشجر	ودير عبدون هطال من المطر
يا طالما نبهتني للصباح به	في ظلمة الليل والعصفور لم يطر
اصوات رهبان دير في صلاتهم	سود المدارع نعارين في السحر
مزنزين على الاوساط قد جعلوا	على الرؤس اكليلا من الشعر
كم فيهم من مליح الوجه مكتحل	بالسحر يطبق جفنيه على حور
لاحظته بالهوى حتى استقاد له	طوعاً واولفني الميعاد بالنظر
وجاءني في ظلام الليل مستتراً	يستعجل الخطوم خوف ومن حذر
فقممت افرش خدي بالتراب له	ذلا واسحب اذيالي على الاثر
فكان ما كان مما لست اذكره	فظن خبراً ولا تسأل عن الخبر

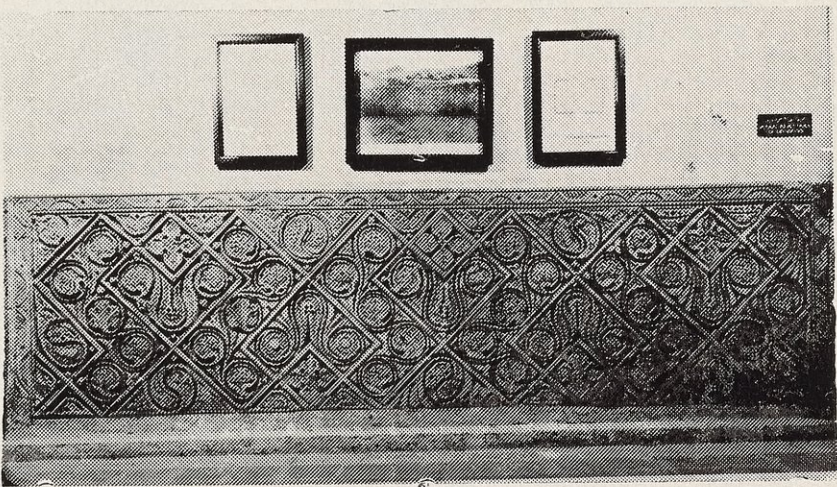
ذكر الحموي في المعجم نقلاً من أبي الفرج الاصفهاني هذا الدير فقال :
 دير العذارى هو دير عظيم قديم وبه نساء عذارى قد ترهبين واقن به للعبادة
 فسمي بذلك وكان قد بلغ بعض الملوك انه فيه نساء ذات جمال فامر بحملهن اليه
 ليختار منهن على عينه من يريد وبلغن ذلك فقممن ليلتهن يصلين ويستكفين شره



١٦ - زخارف جصية من سامراء



١٧ - متحف سامراء



١٨ - من الزخارف في متحف سامراء

فطرق ذلك الملك طارق فاتلمنه من ليلته فاصبحن صياماً فلذلك يصوم النصارى الصوم المعروف بصوم العذارى الى الان قال هكذا ذكره ، وقال الشاشتي (دير العذارى بين سرمن رأى والحظيرة) وجاء في (مسالك الابصار للعمري المتوفى سنة ٧٤٩ هـ) ان دير العذارى (بين سرمن رأى وبعداد بجانب العث على دجلة في موضع حسن . فيه رواهب عذارى . وكانت حوله حانات للخارين وبساتين ومنتزهات لايعدم من دخله أن يرى من رواهبه جوارى حسان الوجوه والقود والالحاظ والالفاظ .

قال الخالدي (١) ولقد اجتزت به فرأيته حسناً ورأيت في الحانات التي حوله خلقاً يشربون على الملاهي . وكان ذلك اليوم عيداً له . ورأيت في جنينات لرواهبه جماعة يلقطن زهر العصفرة ، ولا يماثل حمرة خدودهن . ثم ان دجلة أهلكته بمدودها حتى لم يبق منه أثر .

ولحظة فيه أخبار وأشعار لأنه كان معاده ومأواه واليه ينتجذب به هواه

ومن شعره قوله :

الى الخير من قبل المائة سبيل	الاهل الى دير العذارى ونظرة
تعلل نفسي والنسيم عليل	وهل لي بسوق القادسية سكرة
ارعي خروج الزق وهو جميل	وهل لي بحانات المطيرة وقفه
شعارهم عند الصباح شمول	الى فتية ماشدت العزل شملهم
وشمل قسيس ولاح فليل	وقد نطق الناقوس بعد سكونه

(١) هو أحد الخالدين الشعارين المشهورين (أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ينتسبان الى

الخالدية قرية قرب الموصل : كانا خازنين لكاتب سيف الدولة

يريد انتصافاً للمقام بزعمه ويرعشه الادمان فهو يميل
يعنى واسباب الصواب تمده وليس له فيما يقول عدل
الأهل الى شم الخزامى ونظرة الى فرقري قبل المائة سليل
سيعرض من ذكرى وتنسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليل
سقى الله عيشاً لم يكن فيه علقه لهم ولم ينكر عليه عزول
لعمرك ما استعملت صبراً لفقده وكل اصطبار عن سواء جميل
وفيه يقول ابن المعتز:

أيا حيرة الوادي على المشرع العذب

سقاك حياً حي الثرى ميت الجذب

وحسبك يا دير العذارى قليل ما

يحن بما تحوبه طيبة قلبي

وكذبت الهوي ان لم أقف أشتكى الهوى

اليك وان طال الوقوف على صحي (١)

وعجب به والصبح ينتهب الدجى

بأضوائه والنجم يركض في الغرب

أصانع أطراف الدموع بمقالة

موفرة بالدمع غرباً على غرب

وهل لي الا حاجة قضيت لنا

ولوم تحملناه في طاعة الحب ؟

(١) راجع كتاب (مسالك الابصار في ممالك الامصار) لابن فضل الله العمري ج ١

ص ٢٥٨ و ٢٦١ . طبع دار الكتب المصرية .

وقال الصنوبري فيه (١)

أقول لمشبه العنداء حسناً
وما وحدي أغار عليه ، لكن
علام رعيت في دير العذارى ؟
جميع العالمين معي غياري

ولابن فيروز البصير فيه (٢)

وروضة لهو قد جنيت ثارها
تخال به وجه المدير وكأسه
بدير العذارى بين روض وأنهار
هلالا وشمساً بين أنجم نوار
علينا بأشباع كرام وابصار
بمثل مذاب التبر من شطر منقار
كأنها له زغب الفراخ يقوتها
يطوف بابر يق مفدى كرامة

دير العلت

ذكر الحموي في معجمه العلت قرية على شاطئ دجلة من الجانب الغربي
قرب الحظيرة دون سامراء وهذا الدير راكب على دجلة وهو من أحسن الديارات
وأحسنها ، وكان لا يخلو من الصقف ، وهذا الدير هو الذي امتدحه الشاشتي في
كتابه (الديارات) فقال ﴿ وهذا الدير راكب على دجلة وهو من أحسن الديارات
موقعاً وأزهبها موضعاً يقصد من كل بلد ، ويطرفه كل أحد ولا يكاد يخلو من منحدر
ومتعمد ومن دخله لم يتجاوزه الى غيره لطيبه ونزهته ووجود جميع ما يحتاج اليه
بالعت وبه ﴾ وفيه يقول جحظة :

يا طول شوقي الى دير ومشتاح والسكر ما بين خمار وملاح

(١) مسالك الابصار

(٢) نفس المصدر

والريح طيبة الانفاس ناعمة
مخلوطة بنسيم الورد والراح
سقياً ورعياً لدير العث من وطن
لا دير حنة من ذات الاكبراح

دير عمير نصر

جاء في معجم البلدان ذكر هذا الدير وقال كان في سامراء وفيه يقول
الحسين بن الضحاك الخليع :

يا عمر نصر لقد هيجت ساكنة
هاجت بلابل صب بعد اقصار
لله هاتفة هبت مرجعة
زبور داود طوراً بعد أطوار
ينحسها دالق بالقدس محتك
من الاساقف مزور بمزمار

دير فثيون

دير فثيون أوله فاء ثم ثاء مثلثة وياء مثناة من تحت وآخره نون ، وهـ-و
دير بسر من رأى حسن نزه مقصور لطيبه وحسن موقعه يقول فيه الكتاب :

يارب دير عمرته زمناً
لأعدم الكأس من يدي رشاً
كانه البدر لاح في ظلم الليل
كأن طيب الحياة والاهو و
في دير فثيون في ليلة الفسح
والليل مد لهم ناء بحراسه
ثالث قسيسه وشماسه
يزري على المسك طيب انفاسه
إذا حل بين جلاسه
اللذات طراً جتمعن في كأسه

دير القادسية

ذكر ابو الحسن الشاذلي في كتاب الديارات (ان دير القادسية على شاطئ
دجلة بينه وبين سر من رأى أربعة فراسخ والمطيرة بينهما) .

دير ماسرج بيس

قال ياقوت الحموي ماسرج بيس بفتح الميم وكسر السين وسكون المعجمة
وكسر الياء قال أبو الفرج والخالدي هو بالمطيرة قرب سامراء وفيه يقول عبدالله
بن العباس بن الفضل :

رب صهباء من شراب المجوسي	قهوة بابلية خندريس
وغزال مكحل ذي دلال	ساحر الطرف بابلي عروس
قد خلونا بظبية تجلية	يوم سبت الى صباح الخميس
بين آس وبين ورد جني	وسط دير القس ماسرج بيس
يتثنى بحسن جيد غزال	ذي دلال مفوض آب نوس
كالثمت الصليب في الجيد منه	كهلال مكلل - بشموس

دير ماهر بيس

قال الحموي في معجمه ، دير بنواحي المطيرة قرب سامراء قال فيه أبو الطيب
محمد بن القاسم النميري (١)

نزلت بماجر جيس خير منزل ذكرت به أيام لهو مضين لي

(١) النميري من شعراء المائة الثالثة للهجرة وأخباره في الاغانى (٩ : ١٣٧)

تكنفنا فيه السرور وحفنا فمن اسفل يأتي السرور ومن عل
وسالت الايام وفيه ساعفت وصارت صروف الحادثات بمعزل
يدبر علمنا الكأس فيه مقرطق (١)

يحث به كاساتها ليس يأتي
فيا عيش ما أصفى ويا لهودم لنا
ويا وافد اللذات حميت فانزل

وفيه يقول ابو جفنة القرشي :

ترنم الطير بعد عجمته	والحسر البرد في أزمته
وأقبل الورد والبهار الى	زمان قصف يمشي برمته
ماطيب الوصل ان نجوت ولم	يلسغي هجرته بحمته
ومثل لون النجم صافية	تذهب بالراء فوق همته
نازعه من سدها لي ابدأ	في العشق والعشق مثل لحته
في دير ماجرجس وقد نفتح ال	فجر علينا أرواح زهرته
وفي بميعاده وزورته	وكنت أوفى له بدمته

دير صرمارى

قال الحموى في المعجم عند ذكر هذا الدير بأنه في نواحي سامراء عند
قنطرة وصيف وهو موضع في سامراء كان الناس يستقبلون عنده من يقدم من
طرف الحجاز ، وكان الدير عامراً كثيراً الرهبان ولاهل اللهو به المام وفيه يقول

(١) مقرطق: لايس القرطوق والقرطوق قباء له طاق واحد .

الفضل بن العباس بن المأمون :

أنضيت في سر من رى خيل لذاتي

ونلت منا هوى نفسي وحاجاتي

عمرت فيها بقاع اللهو منغمساً

في القصف ما بين أمهار وجنات

بدير مرمار اذ نحيمي الصبوح به

ونعمل الكأس فيه بالعشيات

بين النواقيس والتقديس آونة

وتارة بين عيدان ونايات

وكم به من غزال أعيد غزل

يصيدنا باللاحاظ الباهليات (١)

(١) معجم البلدان (٧٠٠ :) والمسالك (ص ٢٨٣) مطبعة السعادة ١٩٠٦

تل العليق

تل العليق تل اصطناعي يقع في شمال مدينة سامراء . ويرتفع هذا التل بحيث يشرف على جميع منطقة سامراء ، والتل المذكور مخروطي الشكل ويسمى ايضاً (تل العليج) و كان فوق قمته بناءً يحتمل انه (قصر التل) الذي ورد ذكره في معجم ياقوت الحموي والمصادر العربية الاخرى . (١)

ويعد تل العليق من أهم المواقع الأثرية في سامراء التي تسترعي التفات الزائر فاننا اذا ألقينا نظرة على تصويره المأخوذ من الجو نجد انه محاط بخندق واسع كما شاهد حوله معالم سور مستدير والى شماله طابقاً منحدرآ من قمته يعبر الخندق ، وربما كانت عليه قنطرة ، ثم يستمر في اتجاهه ما بين الخندق والسور ومنه الى مسافة نصف كيلو متر تقريباً ، ويبلغ عمق الخندق نحو ثلاثة امتار وقطر التل مائتي متر ، واما قطر السور المحيط به وبالخندق فنحو اربعائة وخمسين متراً .

وتوجد في شمال التل مباشرة اطلال تسمى ﴿ تلول المدرسة ﴾ ومن المرجح ان تكون هذه الاطلال من بقايا مقصورة كانت معدة لراحة الخليفة وحاشيته ولتناول الطعام فيها أثناء حفلات السباق ودليلنا على ان لهذه الاطلال صلة مباشرة بالتل وجود آثار سور يمتد بين التل نفسه والاطلال وكانت المياه تصل الى الخندق الذي يحيط بتل العليق من القناة التي حفرها المتوكل لا يصل

(١) ري سامراء ج ١ ص ١١٨ و ٩٩ و ١٢٠ و ١٢١



١٩ من حفريات سامراء

المياه الى سامراء ، وهي القناة التي تبدأ من حافة دجلة الشرقية في نقطة تقع شمالي ناحية الدور الحالية بقليل ، فتسير بموزاة دجلة تاركة تل العليق الى يسارها حتى تنتهي الى سامراء .

وكان هناك فرع خاص يتشعب من القناة من أمام التل فيفضي الى الخندق الذي يحيط بالتل ، كما كان كهريز خاص يخرج من الخندق من جهته الجنوبية فينتجه نحو القناة بعد امتلاء الخندق . وبذلك كانت المياه دائماً الجري فتدخل الى الخندق من الجهة الشمالية وبعد امتلاء الخندق تعود الى القناة من الجهة الجنوبية ولا تزال آثارهذين الكهريزين (المدخل والمخرج) واضحة المعالم يمكن تتبعها في جوار التل بسهولة ويعال الناس تسمية (تل العليق) برواية يتناقضها أبا عن جد ، وهي أن التل تكون من التراب الذي نقله الجنود الخيالة بعليق خيولهم ، ويرون ان الخليفة المتوكل أراد أن يظهر كثرة جنوده بدليل عياني محسوس فامر بان كل واحد من جنوده الخيالية عليقة بالتراب ثم يرميه هناك ، وتكون التل من التراب الذي تجمع على هذا الوجه وقد اطلق المؤرخون على هذا التل اسم (تل الخيالي) واعلمه سمي كذلك للسبب الذي ذكر اعلاه وهو ان التل انشئ بالاتربة التي حملها العساكر بمخالي خيلهم .

قال الراوندي في كتاب الخرايج ص ٢١٢ من طبع ايران ما نصه ﴿ ومنها حديث تل الخيالي وذلك ان المتوكل أمر العسكر وهم تسعون الف فارس من الاتراك الساكنين بسر من رأى أن يملأ كل واحد منهم مخلاة فرسه من الطين الاحمر ويجعلوا بعضه على بعض في وسط برية واسعة هناك فلما فعلوا ذلك صار

مثل جبل عظيم . . . الخ ﴿

وقد جاء في خاتمة روضة الصفا لمحمد خداوندشاه ذكر انشاء هذا التل بالطريقة المذكورة نفسها ثم انشاء قصر عال فوقه الا انه نسب انشاء التل والقصر الى المعتصم ، والظاهر أن اسم المعتصم جاء هنا سهواً . واليك ما كتبه صاحب هذه الخاتمة قال :

﴿ ان المعتصم أمر عساكره ان يملئوا محاليمهم من التراب الاحمر وبنذوه في فضاء واسع حتى صار جبلا عظيما ثم بنى عليه قصرآ عالياً واعظم النفقة عليه ﴾ .

هذا وقد جاء ذكر تل الخالي أيضاً في كتاب (خلاصة الذهب المسبوك)

لعبد الرحمن الاربلي طبع بيروت سنة ١٨٨٥ ص ١٦٢ .

ولقد درس هر تسفلد هذا التل خلال تنقيباته في سامراء قبل الحرب العالمية الاولى فظهر له ان بناية صغيرة مربعة تشتمل على تسع غرف احدها في الوسط كانت فوق قته ، ولعل البناء المذكور كان القصر المعروف باسم (قصر التل) (١) الذي قيل انه يعود الى عهد المتوكل ، وذكر ياقوت ان المتوكل انفق على هذا القصر خمسة آلاف الف درهم علوه وسفله .

وقد اختلفت الآراء في تاريخ انشاء (تل العليق) كما اختلفت في معرفة الغاية التي أنشئ من أجلها فبعض المؤرخين من الافرنج يرى انه يرجع الى عهد الرومان والبعض الآخر يرى انه يرجع الى قبل ذلك العهد . الا اننا نرى بان

(١) راجع القصور العباسية في هذا الكتاب

اتصال التل بقناة المتوكل هو أقوى دليل على انه من عمل المتوكل .
أما القصد من انشائه فتكاد الآراء تجتمع على انه أنشئ
لتأمين تمتع الخليفة ورجال حاشيته بمنظر حلبة السباق من محل مرتفع
يتمد فيه البصر الى أقصى حد الحلبة مما يساعد على تتبع حركات الخيول في
هذه المسافة الطويلة .



الزيارات والتنقيبات في سامراء

مدينة سامراء من أهم المناطق الاثرية في العراق ولذلك فقد كان علماء أوروبا يتجشمون عناء السفر من بلاد بعيدة اما للاطلاع عليها او للكتابة عنها مما دفع جامعات اوربا الى ارسال اكبر علمائها المختصين بالاثار للتنقيب في آثارها ووضع دراسات عن هذه المدينة وهنا أذكر بعض أسماء العلماء الاوربيين الذين زاروا آثار سامراء او الذين تقبوا فيها : (١)

جون نيوبري	١ - ١٥٨١ م
جون الدرید	٢ - ١٥٨٣ م
جان بابتست تافرنيه	٣ - ١٦٢٣ م
أولفرت دابر	٤ - ١٦٨٠ م
كارستين نييور	٥ - ١٧٦٦ م
سموئيل ابفرز	٦ - ١٧٩٩ م
ماكس فراي هيرفون أين هايم	٧ - ١٨٠٢ م
اكلوديوس جمس ريج	٨ - ١٨٢٠ الى ١٨٢١ م
الدكتور روس	٩ - ١٨٣٤ الى ١٨٣٦ م
فلكس جونس	١٠ - ١٨٤٦ م

(١) تفضل علي بهذه المعلومات الاستاذ البير رشيد الحائك

کي لسترنج	م ۱۸۷۷ - ۱۱
کيبرت	م ۱۸۸۳ - ۱۲
ولسن بوج	م ۱۸۹۹ - ۱۳
الکبتن کرزول	م ۱۹۰۰ - ۱۴
مکس ملن سترک	م ۱۹۰۱ - ۱۵
لستراج	م ۱۹۰۲ - ۱۶
ارنست آي هر تسفلد	م ۱۹۰۳ - م الی ۱۹۰۵ م
الجنرال بيلي	م ۱۹۰۷ - ۱۸
ساروهر تسفلد	م ۱۹۰۸ - ۱۹
فيوليه	م ۱۹۰۸ - م الی ۱۹۱۰
المس غرت رووڊيل	م ۱۹۰۹ - ۲۱
هر تسفلد	م ۱۹۱۰ - ۲۲
ليڊي دراور	م ۱۹۲۳ - ۲۳
سيتون لويد .	م ۱۹۳۹ - ۲۴

وهناك رحلات باللغات الاجنبية كتب مؤلفوها عن آثار سامراء لم يصل

الى علمنا الا الشيء القليل منها .

الحفريات الأثرية في سامراء

لقد بدأ اهتمام العلماء الاوربيين باطلال مدينة سامراء منذ اواسط القرن التاسع عشر ، غير ان أقدامهم على التنقيب فيها لم يبدأ الا بانتهاء العقد الاول من القرن العشرين فقد قام المهندس الفرنسي هنري فيوله لاول مرة ببعض التنقيبات الاستكشافية في دار الخليفة خلال سنة ١٩١٠ ثم اعقبه في السنة التالية العالم الالماني هرتسفلد على رأس بعثة علمية . وقام بتنقيبات واسعة النطاق دامت عدة سنوات حتى نشوب الحرب العالمية . ان هذه التنقيبات شملت دار الخليفة وقصر بلكوار والمسجد الجامع وتل العليق مع نحو خمس عشرة دار آمن دور السكنى الخصوصية بالقرب من المدينة الحالية .

والآثار التي عثر عليها هرتسفلد خلال هذه التنقيبات كانت في صناديق بقيت في سامراء (١) خلال الحرب العالمية غير انها نقلت معظمها الى انكلترة بعد احتلال الانكليز وبقى الجزء الآخر في مركز شرطة سامراء حتى عام ١٩٢٤ حيث

(١) ذكر لي المهندس المختص الاستاذ محمود العينهجي ان هذه المكتشفات أودعت في مركز

شرطة سامراء قبل احتلال الانكليز لسامراء وسافر هرتسفلد مع الجيش العثماني بصفة ضابط

عاد هر تسفلد الى العراق واقتسم الآثار مع مديرية الآثار أذاك (١) أما النتائج العلمية التي حصلت من هذه التنقيبات فقد نشر قسم منها في مقالين مختصرين وفي خمسة مجلدات ضخام ، اما المجلدات هذه فتبحث في الزخارف والنقوش الملونه والمواد الزجاجية والآثار الخزفية والفخارية وطبعه باللغة الالمانية .

وفي عام ١٩٣٦ بدأت مديرية الآثار القديمة التنقيب في ربيع تلك السنة ثم استمرت كل سنة خلال مدة تراوح بين الشهرين والثلاثة حتى سنة ١٩٣٩ لقد جرى التنقيب خلال هذه المواسم الاربعة التالية في المواضيع التالية اربعة مواضع قرب مدق الطبل ، وأربعة مواضع على طرفي الشارع الاعظم وخمسة مواضع قرب سور المدينة الحالية ، وثلاثة مواضع في القرينة وثلاثة مواضع في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة الحالية وفي ثلاثة مواضع في الجهة الغربية من مهر دجلة ان هذه التنقيبات اوصلت الى معرفة مخططات قصر كامل وثلاث دور كاملة ومخططات القسم الأعظم من غرف ثنائي دور ، كما اظهرت غرفة أو غرفتين من عشر دور (٢) .

كما قامت مديرية الآثار القديمة والعامه حالياً ببعض التنقيبات الاستكشافية خلال سنة ١٩٣٩ على طرفي الشارع الذي يوصل الجسر بالمدينة الحالية وذلك

(١) تنص المادة التاسعة الاربعون من قانون الآثار القديمة رقم (٥٩) لسنة ١٩٣٦ ما يلي : **﴿ ان جميع الآثار التي يعثر عليها المنقون تكون مملوكة للحكومة ومع هذا يعطى المنقب مكافأة على اتعابه اولا حق اخذ قوالب الآثار المذكورة . ثانياً نصف الآثار المكررة وثالثاً بعض الآثار التي يمكن للحكومة العراقية ان تستغني عنها لوجود ما يماثلها في المتحف العراقي من وجهة النوع والطراز والمادة والصنعة والدلالة التاريخية والقيمة الفنية**

(٢) حفريات ساحراء : نشرة دائرة الآثار القديمة ج ٢ ص ٣ - ٤ سنة ١٩٤٠

بقصد تعيين الاراضي والعرضات التي يجوز تخصيصها لتوسيع المدينة دون الحاق ضرر بالآثار المهمة .

لقد جرت هذه التنقيبات الاستكشافية بواسطة ستة مقاطع في شمال الشارع ومد ستة مقاطع في جنوبه ، كما جرى التنقيب بالموقع المعروف باسم (الحووصلات) الذي يقع في الجهة الغربية من نهر دجلة وقد بدأت التنقيبات في هذا الموقع في اليوم العاشر من شهر نيسان سنة ١٩٣٦ واستمرت نحو شهرين فكشف خلال هذه المدة القسم الوسطي والجنوبي من قصر فسيح ومسور بسور مدعماً بمائة برج اربعة منها كبيرة ومستديرة والبقية صغيرة مستطيلة وان اقسام القصر منها البهو الكبير والقاعات والاواوين المحيطة به - مبنية بالجص والآجر اما ارض القاعات والصحن مبلطة بمربعات من الآجر واما ابعاد هذه البلاطات الآجرية فهي 36×36 سم في معظم القاعات . اما الحالة التي ظهرت بها ارضية القاعات من تحت الانقاض تدل على اتقان كبير في صناعة الآجر من جهة واعمال التبليط من جهة أخرى .

اما طلاء الجدران فهو بالجبس بوجه عام غير ان الاقسام السفلى منها مخرقة في القاعات الاساسية .

وخلال تنقيب دائرة الآثار في سامراء بالقرب من باب الملطوش تم الكشف على دار للسكنى كما تم الكشف على دور أخرى تبين من خلال ذلك ان هذه الدور ذات طابق واحد عام ، اما ترتيب الغرف فتجتمع الغرف عادة حول صحن مكشوف ويوجد في كل دار أكثر من صحن عام . اما المدخل فله دهليزاً مستطيلاً يمتد في طرفيه دكتان معدتان للجلوس كما اظهرت التنقيبات في الدور المكتشفة

عدة حمامات ومراحيض ، وقد لوحظ بجانبها بالوعات منتظمة ، عمق البعض منها يزيد على ثلاثة امتار ، وقد شوهد في بعض الدور (مجاري مياه) متقنة الصنع كما شوهد في معظم الدور محلات خاصة لتربية الحمام .

وكشفت التنقيبات عدة سراديب في دور السكنى على اختلاف مواقعها ، وتم العثور على كتابات متنوعة تنقسم الى قسمين :

(أ) الكتابات على الجدران فقد وجد في احدى غرف بيت الخليفة ، قطع زجاجية على شكل حروف . ولا مجال للشك في انها كانت قد استعملت لتأليف جدارية على طريقة (التنزيل) في الجص . وعلاوة على هذا النوع من الكتابات الريازية - التي تكون جزءاً من الريازة والزخرفة الجدارية - فقد شوهد على بعض الجدران كتابات عرضية كتبت بالحبر بقلم رفيع .

(ب) الكتابات على الأشياء فهي متنوعة جداً : بينها ما هو مكتوب بالحبر على الورق او الفخار او الرخام وهو مدموغ على المعدن او على الفخار ، وما هو منقوش على الخزف المزجج وما هو محفور في الفخار .

١ - الكتابة على الورق : : عثر على ورق بال يظهر عليها بقايا كتابة مكونة من أربعة اسطر .

٢ - الكتابة على الفخار عثر على قطعة من اناء فخاري سميك كتب عليها بالحبر الاسود (الامام المعتمد - امير المؤمنين) وعثر على اناء فخاري مستطيل الشكل كتب عليها بالحبر الاسود سطر طويل تعقبه كلمة مفردة الكلمة الاولى لا تظهر بوضوح غير ان الكلمات التي تقرأ بوضوح تام (٠٠٠ البساط وكرم المرأة - سعدان وعثر على ثلاث كسرات من الفخار عليها بعض الكتابات على احداها

(ابو اسحق) ويلاحظ بين كتابات الثانية كلمات : (نصف) و (٠٠ لابي العباس)
وعثر على كسرة فخارية عليها ثلاثة اسطر كلمة السطر الاول ناقصة : اما كلمات
السطرين الاخيرين فهي : (حسبنا الله ونعم الوكيل) كما عثر على دن مستطيل
كامل ، كتب عليه بالخبز الاحمر كلمة (بدر)

٣ - الكتابة بالخبز على الرخام : عثر منها على قطعة رخام كتب على وجهها
بالخبز الاسود كلمات كثيرة مشوهة ومتداخلة .

٤ - الدمع على المعدن : عثر على قطعتين معدنيتين يلاحظ على كل واحدة منها
دفعة تبين اسم الصانع : (عمل عمران) و (عمل عبد الله) .

٥ - الختم على الفخار : عثر على ثلاث كسرات من الفخار : عليها طبعات
ختوم تبين اسماء صانعيها : (عمل عبد الله) و (عمل عمر) .

٦ - الكتابات المزججة : عثر منها على عدة قطع من اوان خزفية كتب
عليها - بين زخارف التزجيج - بعض الكلمات والعبارات ، بالالوان متنوعة يقرأ
من بينها بوضوح كلمات (عمل عمد ٠٠) و (ما عمل برسم ٠٠)

٧ - الكتابات الناتئة على الخزف عثر على قطعة خزف عليها كتابة ناتئة بين
خطوط وزخارف ملونة .

٨ - الكتابة بالحنجر على الفخار عثر على (رمانة) فخارية في احدى الكور
القديمه وعليها كتابة محفورة داخل اطار مستطيل تقرأ بكل وضوح (سريج)
وعثر ايضاً على رمانة مصنوعة من فخار كثيف متصلب اسمر اللون قد حفر حول
عنقها كتابة كوفية على شكل نطاق تام يمكن ان تقرأ كما يلي (ويمزونا بمزوز تركة)
او (يمدونا بمزوز تركة)

ان هذه العبارة تلقي ضوءاً خاصاً على مسألة استعمال الرمانات الفخارية :
لان كيفية استعمال مثل هذه الرمانات لم تتضح تماماً ، بل صارت مداراً لبعض
المناقشات بين علماء الآثار . وأما الكتابات التي على هذه الرمانة فتدل على انها
كانت تملأ بالخر وان هذا الخر كان (يمز) من فوهتها الصغيرة مزاً . ولاشك في
ان شكل الفوهة ، التي تشبه (الحليلة) كان يساعد على ذلك مساعدة تامة ان هذه
المعلومات الكتابية نشرت في كتاب (حفريات سامراء) مع نماذج من الصور التي
توضح ذلك .



عدد حفريات سامراء

اهتم علماء اوربا بالاطلاع على حضارة العالم العربي وخاصة حضارة سامراء لذلك قامت جامعات وجمعيات اوربا بأرسال بعثاتها وعلمائها للتنقيب في أطلال سامراء العباسية كما قامت مديرية الآثار العامة بالتنقيبات ايضاً وهنا نذكر مواقع وتواريخ وعدد هذه الحفريات وهي :

- ١ - في سنة ١٩٠٨ و ١٩٠٩ و ١٩١٠ م قام بالتنقيبات : فيوليه
- ٢ - في سنة ١٩١١ و ١٩١٢ و ١٩١٣ م قام بالحفريات ساروهر تسفلد على حساب جمعية العلوم الالمانية .
- ٣ - في سنة ١٩٣٠ م قام هر تسفلد مرة أخرى وكانت هذه آخر حفريات الاجانب في سامراء .
- ٤ - في سنة ١٩٣٦ م قامت مديرية الآثار العامة في شهر تموز وتشرين الاول بالتنقيب في جامع الملوية وبيت الخليفة ومدق الطبل والحويصلات وتم الكشف على دار في شمال المدينة الحالية بالقرب من مدق الطبل على بعد نحو نصف كيلو متر من جنوب بيت الخليفة .
- ٥ - في سنة ١٩٣٧ م قامت مديرية الآثار العامة في شهر نيسان و كانون الاول بالحفر بالملوية وبيت الخليفة ومدق الطبل ايضاً .
- ٦ - في سنة ١٩٣٨ م قامت مديرية الآثار العامة في شهر مارت الى كانون

الاول بالحفر في منطقة جامع ابي دلف وبيت الخليفة ودور السكنى الخاصة في
أماكن متفرقة منها .

(أ) بجانب سور المدينة قريباً من باب بغداد حيث كشف على غرفة كبيرة
لاحد الدور .

(ب) على بعد ٢٥٠ متراً من باب بغداد في جهته الشمالية الشرقية عثر على
دار للسكنى .

(ج) بالقرب من باب بغداد عثر على زخارف جبسية .

(د) في جنوب القرينة (الكرينة) على بعد ٦٠٠ متر من باب الملووش عثر
على دار .

(هـ) في القرينة على بعد ٨٠٠ متر من باب الملووش عثر على دار كامل (١)

(و) في جنوب القرينة على بعد كيلومتر من باب الملووش عثر على دار للسكنى

(ز) داخل السور بباب بغداد عثر على غرفة واحدة .

(ح) داخل السور في ساحة خان الميرزا حسن عثر على غرفة واحدة .

٧- في سنة ١٩٣٩ م قامت مديرية الآثار العامة في شهر تشرين الثاني الى

كانون الاول بالتنقيب في ابي دلف وقصر الخليفة والشارع الاعظم وقد عثر على
دار واقع على جادة تتفرع من الشارع الاعظم من جهته الغربية وفي هذه الدار سرداب
منقور تحت الطبقة الصخرية ذو مدخلين وعدة نوافذ وكان يعرف هذا الدار عند
الفلاحيين باسم (بيت الحرامية) لان الحرامية كانوا يختفون فيه على مايروون ،
وعثر على ثلاث غرف في القسم الجنوبي من سامراء على بعد اربعة كيلو مترات

(١) راجع حفريات سامراء ج ١ مديرية الآثار العامة المطبوع سنة ١٩٤٠

- من باب الملطوش ، وكشف على دار على بعد ٤٨٠ متراً من الملطوش .
- ٨ - في سنة ١٩٤٠ م قامت مديرية الآثار العامة في مايس الى أيلول بالتنقيب في جامع أبي دلف .
- ٩ - في سنة ١٩٤١ م قامت مديرية الآثار العامة بالتنقيب في جامع الملوية
- ١٠ - في سنة ١٩٥٨ و ١٩٥٩ م قامت مديرية الآثار العامة بالتنقيب في أبي دلف .
- ١١ - في سنة ١٩٦٢ و ١٩٦٣ م قامت مديرية الآثار العامة في الكشف في جامع الملوية والعاشق .
- ١٢ - في سنة ١٩٦٣ و ١٩٦٤ م قامت مديرية الآثار العامة في التنقيب في جامع الملوية ايضاً والدار العباسية المكتشف والعاشق .
- ١٣ - في سنة ١٩٦٥ م قامت مديرية الآثار العامة بالتنقيب في قصر العاشق ولا تزال اعمال التنقيب قائمة على قدم وساق في قصر العاشق لرفع الاثرية عن القصر من الجهة الجنوبية .

الزخارف الجصية في سامراء

إن أهم مظهر من مظاهر الفنون الاسلامية في الاطلال التي كشفت من مدينة سامراء ، هو من غير شك الزخارف الجصية التي كانت تغطي الأجزاء السفلى من جدران البيوت والقصور وسائر العمائر فيها .

وقد عني الدكتور هرتسفلد بدراسة هذه الزخارف الجصية و شرعها مؤلفاً ثميناً باللغة الالمانية في السلسلة التي نشرتها البعثة الالمانية عن تقياداتها في اطلال سامراء وعنوان هذا الجزء :

E [HerZfeld]

Der wandsch der Bauten Von Samarra Und seine Ornamentik
(Berlin 1923)

أي تزيين الجدران وزخارفها في سامراء ، وقد قسم هرتسفلد هذه الزخارف الجصية الى ثلاثة أقسام أو ثلاثة طرز وفقاً لخصائصها والمصدر الذي يظن انها ترجع اليه ، ولكنه رتبها ترتيباً لا يوافق عليه معظم الاختصاصيين . فالتنا نرى في تقسيمه ان الطراز الثالث يتألف من الزخارف الجصية ذات العناصر القريبة من الطبيعية ، وان الطراز الثاني يضم الزخارف التي يزيد فيها البعد عن اصولها الطبيعية ، وان الطراز الثالث يشمل الزخارف التي تبتعد تماماً عن اصولها

فتسورها الخطوط المنثنية في اشكال مختلفة (١)

ويتفق علماء الآثار الاسلامية مع هر تسفلد على هذا الاساس في التقسيم ولكنهم يخالفونه في الترتيب الزمني لهذه الطرز الثلاثة ، فالواقع ان الطراز الثالث في تقسيم هر تسفلد هو اقدم هذه الطرز ولذا فانهم يعتبرونه الطراز الأول ويظل الطراز الثاني واحد في التقسيمين ، اما الطراز الاول في تقسيم هر تسفلد فانه آخر الطرز الثلاثة واحدها ، ولذا فانهم يسمونه الطراز الثالث . والملاحظ أن هذا الطراز تظهر فيه انواع عديدة من ناحية الزخرفة ، ولذا فان بعض العلماء يقسمه الى قسمين فيكون هناك طراز ثالث وطراز رابع وقد يمكن قسمته الى اكثر من قسمين ولكن المبدأ الزخرفي في كل اقسامه يضل واحداً ولذلك فالأفضل اعتباره طرازاً واحداً .

ولنشرح الآن خصائص كل طراز من الطرز الثلاثة الرئيسية في الزخارف الجصية في سامراء وفقاً للرأى الذي يقره علماء الآثار الان والذي يتفق مع الترتيب الزمني .

الطرز الاول (وهو الثالث في تقسيم هر تسفلد) (٢)

أهم عناصر هذا الطراز :

١ - ورقة العنب الخماسية الفصوص التي يميل قطاعها الى التقعر والتي تضم عيوناً او ثقباً صغيرة بين صفوفها والتي يظهر فيها التعرق التخيلي الذي نعرفه في

(١) من محاضرة الدكتور زكي محمد حسن المكتوبة على الطابعة والموجودة نسخة منها في

مكتبة الآثار العامة كان قد القاها على طلاب كلية الاداب سنة ١٩٥٢

(٢) المصدر نفسه .

رسم الاوراق النباتية في الفن الهلنستي .

٢ - عناقيد عنب يتألف محيطها من ثلاثة فصوص .

٣ - ورقة العنب الثلاثية الفصوص .

٤ - عناصر كاسية ذات فجوات على هيئة معين .

٥ - كيزان الصنوبر .

٦ - مراوح نخيلية .

ونلاحظ في الزخارف الجصية في هذا الطراز قربها من الطبيعة وأنها منحدره من أصول هلنستية وساسانية ويبدو ذلك ايضاً في التجسيم الذي نراه فيها والناشيء من التقعر والتحدب كما يبدو - فضلاً عن ذلك - في العناصر الزخرفية تخرج من عروق طويلة تمتد في انحناءات وحلزونات على النحو الذي نعرفه في الفنون الهلنستية . وبمعنى آخر نرى أن زخارف هذا الطراز منحدره من زخارف الطراز الاموي بوجه عام ولكنها ابتكرت أشكالاً جديدة في الاداء .

الطراز السالي (١)

لم تعد العناصر الزخرفية في هذا الدور تتصل بعضها ببعض بواسطة عروق بل تطورت الى وحدات منبسطة وقل التجسيم فيها الى حد كبير وأصبحت تتم بعضها بحيث لا تترك فراغاً أو أرضية بينها ، وهكذا تضاءلت الارضيات الى ان صارت قنوات ضيقة تفصل بين العناصر المختلفة .

ومن أهم هذه العناصر ما عرفناه في الطراز الاول ولكننا نراه هنا أكثر

(١) من محاضرة الدكتور زكي محمد حسن

تحويلاً عن الطبيعة . ونرى فضلاً عن ذلك أوراقاً مستديرة وأشكالاً مختلفة
من المراوح النخيلية .

والملاحظ ان زخارف الطراز الثاني تهدف الى التبسيط والاختصار النسبي
والى الاقتصاد في الوقت فتنفيذها في أى مساحة من المساحات يستغرق وقتاً أقل
مما يستغرقه تنفيذ زخارف الطراز الاول فى المساحة نفسها . وهي فضلاً عن هذا كله
أقل عمقاً من زخارف الطراز الاول ومن أمثلة التبسيط . وقلة التأنيق ان المعينات
العائرة المنتظمة التي نراها فى الاوراق الكاسية في زخارف الطراز الاول تصبح
في الطراز الثاني حفرات صغيرة متلاصقة على السطح من دون نظام .

والراجح ان الزخارف فى الطرازين الاول والثاني من الزخارف الجصية
في سامراء كانت تصنع كلها بطريقة الرسم والحفر المباشر بمعنى أن الموضوعات
الزخرفية كانت ترسم على الواح من الجص بواسطة قلم أو سن مدبب ثم تحفر
الارضيات حول محيط العناصر الزخرفية فتظهر هذه العناصر بارزة فوق الارضية
العميقة ويكون الحفر بواسطة آلات حادة كالازميل والمنقب ثم تملأ العناصر
بالزخارف الداخلية الدقيقة سواء أكانت عروفاً او رسوماً هندسية او نباتية وطبيعي
ان هذا كله يكون في مستويات مختلفة .

ومن الفروق الواضحة بين زخارف الطرازين الاول والثاني ان زخارف
الطراز الاول تبدو وحداتها صغيرة ومتكررة وواضحة بسبب ما فيها من عمق
وتجسيم بينما تبدو وحدات الزخارف في الطراز الثاني أكبر مساحة بحيث يظهر انها
تعطي الارضية تماماً وذلك بسبب قلة العمق فيها وقلة التجسيم وبسبب تحويلها
عن الطبيعة .

الطراز الثالث (١)

يبدو ان هدف الزخارف في هذا الطراز كان زيادة الميل الى الاقتصاد في الوقت والنفقة بسبب التوسع الكبير في عمائر سامراء . والرغبة في الوصول الى زخارف ذات طابع آلي مبسط . وهكذا نرى الزخارف التي عرفناها في الطراز الثاني يزداد طابع البساطة والاختصار فيها وتتجه الى الخطوط والتخلص من الارضيات العميقة والى الحفر بطريقة النحت المائل (الشطف) لتصبح الزخرفة اكثر صلاحية للصب في قوالب واستخراج نسخ متعددة من الوجة الزخرفية الواحدة ليتسنى تغطية مساحات كثيرة في وقت قصير ونفقة قليلة . واهم العناصر المستعملة في هذا الطراز الاوراق النباتية والمرائح النخيلية .

والموقع ان طريقة الصب في القوالب وضايقتها وجود أرضيات عميقة بين العناصر الزخرفية المختلفة المصبوبة من قوالبها من دون إتلاف جزء كبير من الزخارف الدقيقة .

وليس عجباً ان يصل الصناعات في العراق الى طريقة الصب في القوالب فقد كان الايرانيون في العصر الساساني ذوي دراية عظيمة بالطرق المختلفة في صناعة الزخارف الجصية لانهم اقبلوا على استخدام هذه الزخارف اقبالا كبيراً والراجح ان الصناعات في العراق ورثوا عن ايران في العصر الساساني في كثير من طرق الزخرفة في الجص .

والراجح ان الزخارف الجصية في الطراز الثالث من زخارف سامراء كانت تصنع بطريقة الصب في القوالب بمعنى ان العناصر الزخرفية كانت تحفر في نموذج

ايجابي من الخشب أو الجص ثم يستخرج من هذا النموذج الايجابي قالب سلمي من الجص او من طين يحرق بعد ذلك ليكتسب الصلابة اللازمة لاستعماله . ثم كان القالب السلمي يطلى بمادة دهنية لتمنع التصاق الجص اللبن الذي يصب فيه لاستخراج العدد المطلوب من الايجابية . وبالنظر الى ان القالب السلمي كان يتلف من تكرار الصب فيه فقد كان يصنع أحياناً عدة قوالب سلبية اذا كانت المساحة المراد زخرفتها كبيرة .

ويرى بعض علماء الآثار ولا سيما ستريجوفسكي

[Strzysowsky]

وكونل ان الزخارف الجصية في سامراء تطورت ووصلت الى الطراز الثالث بتأثير الفنون التي كانت سائدة بين القبائل التركية في اواسط آسيا وذلك لان الروح الزخرفية التي تسود هذا الطراز الثالث هي تلك التي ورثتها القبائل الطورانية عن فنون قبائل السيت واساليها في اواسط آسيا .

وكتب الاستاذ ديماندي في هذا الصدد . وشاعت طريقة النحت المشطوف هذه في عصر العباسيين بل عرفت في عهد هارون الرشيد ويمثلها في متحف ﴿ المتروبوليتان ﴾ تاج عمود جميل من المرمر يوضحه شكل ٥٢ - ﴿ من كتابه الفنون الاسلامية ﴾ ومن المحتمل ان يكون هذا الاسلوب الصناعي في اواسط آسيا عند قبائل السيت بسيليريا حيث عثر على نماذج من اصوله الاولى في الزخارف الحيوانية المصنوعة من الخشب والعظم والبرونز والذهب ويرجع بعضها الى عصر (هان) (من ٢٠٦ ق . م الى ٢٢٠ م)

ويقول الدكتور زكي محمد حسن في هذا المضمار اننا نخالف هذا الرأي

ونعتقد بأن هذا التطور السريع الذي حدث في الخزارف الجصية في سامراء قام على اساس محلية في العراق فان معظم العناصر الزخرفية التي نراها في الطراز الثالث يمكن ارجاعها الى عناصر زخرفية عرفت بها بلاد الرافدين من قبل الاسلام .

اما التطور الظاهر فيها فيرجع الى الرغبة في اقتصاد الوقت والنققات والى جعل العناصر صالحة لسهولة الصب في القوالب . وفضلا عن ذلك فان لنا على العبارة التي ذكرها الاستاذ ديمانند بعض التعليقات وهي :

١ - ان تاج العمود الذي يشير اليه لا يرجع الى عصر هارون الرشيد وانما هو من الطراز الثالث في سامراء ويرجع الى نحو سنة ٨٥٠ م .

٢ - ان القول باننا نستطيع تتبع هذا الاسلوب الصناعي في اواسط آسيا عند قبائل السيت بسيريا . وانه يحتمل ان يكون وصل الى بلاد الشرق الادنى عن طريق الفن من الايرانيين او الاتراك الذين استخدمهم الحكام في العصر العباسي قول غير دقيق لان العباسيين لم يستخدموا فنانيين من الترك قبل عصر السلاجقة ولأن اساليب الطراز الثالث غير واضحة في فنون السيت .

ونذكر في هذه المناسبة ان الطراز العباسي في الخشب والتحف المعدنية لم يعرف مناظر الصراع بين الحيوانات على النحو المشهور عن فنون السيت .

٣ - ان القول بأنه عثر عند قبائل السيت على نماذج من الاصول الاولى للطراز الثالث في سامراء موجودة في الخزارف الحيوانية المصنوعة من الخشب والعظم والبرونز والذهب قول غير دقيق لانه اذا كان المقصود هنا

اسلوب الحفر المائل فاننا لا نستطيع الموازنة بينه في الرسوم الحيوانية حيث تقتضي الطبيعة وجوده وبينه في الرسوم النباتية المحورة عن الطبيعة في الطراز الثالث بسامراء .

والواقع ان تحليل بعض العناصر الزخرفية والخصائص في الطرازين الثاني والثالث من الزخارف الجصية في سامراء يشهد بأنها ترجع في معظم الاحيان الى اصول قديمة في العراق وايران والشام .

ولعل اهم خصائص الطراز الثالث ظاهرة القطاع المشطوف او المحذب للعناصر الزخرفية . وقد بدأت هذه الظاهرة في بعض عناصر الطراز الاول كما ظهرت ايضاً في بعض الزخارف الجصية التي عثر عليها في الحيرة وترجع الى فجر الاسلام قبل انشاء سامراء . وقد ذكرنا ان السبب الرئيسي للاقبال على هذه الظاهرة في الزخرفية الجصية هو ملاءمتها للصب في القوالب .

ومن خصائص الطراز الثالث ايضاً ظاهرة التجويف في قاع العناصر الزخرفية الكاسية والجناحية والراجع انها مشتقة من التجويف الموجود في العناصر الكاسية في الفن الساساني .

ومن العناصر الزخرفية التي تجدها في الطراز الثالث الاوراق الجناحية والراجع انها مشتقة من العناصر الممنحة في الزخارف الساسانية وصفوة القول اننا لا نرى في زخارف سامراء تأثراً ملحوظاً باساليب الفن الساساني او الاساليب المنقولة عن فنون القبائل التركية في آسيا الوسطى . ولسنا نميل الى ان نبالغ في أهمية الجند الترك الذين أخذ الخلفاء العباسيون يستخدموهم قبل تأسيس سامراء بنحو عشرين سنة فقد كان الدور الذي لعبوه كبيراً في السياسة والادارة ولكن

لم يكن لهم شأن كبير في التطور الفني فقد كانت بلاد الرافدين في العصر العباسي متأثرة بالاساليب الفنية الساسانية التي عرفت في القرون الاربعة التي سبقت ظهور الاسلام .

ومما يؤيد نظريتنا هذه ما نلاحظه من عدم وجود تحف اثرية معدنية او خشبية من القرن التاسع الميلادي (٥٣) يتبين منها مثلاً اسلوب الفن السيتي في تصوير الحيوانات متشابكة ومتصارعة على النحو الذي كشفت عنه آثارهم في أواسط آسيا وجنوبي روسيا وقد أشرفنا لذلك في ردنا الى ما كتبه (ديماند) في هذا الصدد . وفي اعتقادنا ان الطرز الثلاثة الحصية في سامراء لم تكن مستقلة تماماً بعضها عن بعض وغير متعاصرة في الاستعمال فان الراجح انها كانت تستعمل معاصر بعضها للبعض الآخر وان كانت السيادة في كل فترة من الفترات الرئيسية في تاريخ سامراء لطراز واحد .

والطرز الاول هو أقدمها وهو الذي كان سائداً في أول عهد سامراء كما يتبين من استعماله في قصر الجوسق الخاقاني الذي يرجع الى سنة ٥٢٢١ (٨٣٦م) ولكن لم يلبث ان وجد الى جنبه الطراز الثاني ثم اصبح هذا الطراز الثاني هو الغالب ووجد جنبه الطراز الثالث ولم يلبث ان أصبح الطراز الثالث هو الغالب بعد انشاء سامراء بنحو ربيع قرن كما نرى من استعماله في قصر بلسكوارا الى ما بين عامي ٢٤٠ و ٢٤٥ هـ (٨٥٤ و ٨٥٩ م) وليس من المستحيل ان بعض ذوي اليسار كانوا يلجأون الى استعمال الطراز الاول في الزخرفة الحصية بسامراء في الوقت الذي كانت السيادة فيه للطراز الثالث .

الزخارف الخشبية في سامراء

نلاحظ ان تطور الزخرفة العباسية على الخشب لم تتمش مع تطورها في
الجبص فان الزخارف المحفورة من الخشب في الطرز العباسية تتبع كلها الطراز
الثالث ولم تصل اليها أي أخشاب ذات زخارف محفورة توازي زخارف الطراز
الثاني في الجبص المعروف في سامراء (١)

والواقع ان ما نعرفه من الزخارف المحفورة في الخشب من العصر الاموي
ومن العصر العباسي لا يضم الا زخارف توازي الطراز الاول وأخرى توازي
الطراز الثالث .

ويبدو انه لم تكن هناك حاجة الى الطراز الثاني الذي يعتبر مرحلة انتقال
وتبسيط بين الطرازين الاول والثالث . ولا عجب في هذا لان الخشب لم يكن من
المواد الاولية التي تستخدم بكثرة في الزخرفة في العراق . أما الزخارف المحفورة
في الخشب والتي توازي الطراز الاول من الزخارف الجصية فهي الزخارف التي

(١) الدكتور زكي محمد حسن من احدى محاضراته سنة ١٩٥٢

ظهرت في العصر الاموي وفي العصر العباسي قبل اشاء سامراء وتتجلى في الحشوات الخشبية المحفوظة في متحف بنكاتي او في متحف المتروبوليتان بنيويورك بعد ان عثر عليها في تكريت فضلا عن زخارف منبر جامع القيروان التي جلبت من بغداد سنة ٢٤٨ هـ (٨٦٢ - ٨٦٣ م) اي في عصر سامراء نفسها . ولكن علماء الآثار ساروا على نسبة مثل هذه التحف الخشبية الى الطراز الاموي لصلتها الوثيقة بالحفر على الخشب منذ بداية العصر الاموي وهو الحفر الذي يحذو حذو الاساليب الهلنستية . وقد عثر في التنقيبات باطلال مدينة سامراء على عدد من القطع الخشبية ذات الزخارف المحفورة حفراً مائلاً والتي تتألف من عناصر الزخارف الجصية في الطراز الثالث بسامراء . كما عثر في التنقيبات الاثرية بمدينة الفسطاط ووجد في جامع أحمد بن طولون قطع خشبية كثيرة من الطراز العباسي في الحفر على الخشب اي من الخشب ذي الزخارف المأخوذة من الطراز الثالث في الزخارف الجصية بسامراء . ويمتد تاريخ هذه الاخشاب في مصر من بداية العصر الطولوني الى بداية العصر الفاطمي فيشمل كل الحقبة التي ازدهر فيها الطراز العباسي في مصر اي منذ قيام الدولة الطولونية نحو سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) الى عصر الحاكم ثالث خلفاء الفاطميين في مصر (٣٨٦ - ٤١١ هـ - ٩٩٦ - ١٠٢١ م) .

تطور زخارف سامراء في العالم العربي

ظهرت في العراق وبلاد الوطن العربي عدة امثلة من الزخارف المنقولة عن زخارف سامراء او المتطورة منها . وأهم هذه الامثلة تيجان اعمدة من الحجر وجدت في الرقة عليها زخارف من الطراز الثالث في الزخارف الجصية بسامراء . وقد نسب هرتسفلد هذه التيجان الى عصر هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ - ٧٨٦ - ٨٠٩ م) اي الى نهاية القرن الثاني الهجري (بداية القرن الثالث الميلادي) (١)

وليس عجيبياً ان ينسبها هرتسفلد الى هذا التاريخ المبكر اذا تذكرنا ان الطراز الثالث من طور سامراء في تقسيمنا هو الطراز الاول عنده واقدم الطرز الثلاثة فلعله يحسب هذه التيجان ممهدة لهذا الطراز قبل انشاء سامراء . ومن تيجان الاعمدة التي عثر عليها في مدينة الرقة تيجان اعمدة رخامية بعضها محفوظ في متحف المتروبوليتان وقد نسبها الاستاذ ديماندا خطأ الى نحو سنة (٨٠٠) على الرغم من ان زخارفها ترجع الى الطراز الثالث من زخارف سامراء فالراجح انها من نحو سنة (٨٥٠ م) . ولعل الذي اوقع ديماندا في هذا الخطأ تأثره بتاريخ هرتسفلد

(١) من محاضرات الدكتور زكي محمد حسن سنة ١٩٥٢

للتيجان التي اشرنا اليها في باب الزخارف الجصية .

والواقع ان ديماندا غير واضح في فهمه للزخارف الجصية في سامراء فهو يتبع هر تسفلد في تقسيمها ويعتقد في الوقت نفسه بان الطراز الثالث هو أقدمها فيقول في هذا الصدد (وتدل اساليب سامراء الجصية على ثلاث مجموعات مختلفة يتضح من المجموعتين الثانية والثالثة ان الزخارف حفرت على الجدران نفسها او على حشوات جصية ثبتت بعد ذلك على الجدران اما في المجموعة الاولى فقد صبت الزخارف في قوالب . كما يقول في موضع آخر ان الزخارف من الطراز الثالث (بحسب تقسيم) تعتمد على اساليب الزخرفة الاموية .

ومن أمثلة انتشار زخارف سامراء في العراق افريز من الجص في الكنيسة الكبرى في الرصافة ويرجع هذا الافريز الى نهاية القرن الثالث او بداية الرابع الهجري وهو من الطراز الثاني من زخارف سامراء . ومن تلك الامثلة ايضاً حشوات موجودة في مار يعقوب بالموصل نراها في محرابين على جانبي محراب كبير وترجع هذه الحشوات الى نهاية القرن الثالث او بداية القرن ومنها الغبأ محراب مقام عبد العزيز بالفراء في منطقة جبيلية تعرف باسم جبل عبد العزيز بين بليخ وخابور من اقليم الجزيرة وترجع زخارف هذا المحراب الى القرن الرابع الهجري ومن تلك الامثلة ايضاً زخارف من الجص في مشهد الاربعين بتكريت وترجع الى نهاية القرن الخامس الهجري بل اننا نرى تأثير سامراء في زخارف اخرى في العراق وبلاد الجزيرة ترجع الى القرن السادس الهجري فنرى في الرقة تيجان اعمدة من الجص في الجامع داخل السور وترجع الى عصر نور الدين سنة ٥١١ هـ (١) ونرى

(١) نظراً للامانة العلمية فان الدكتور زكي محمدحسن هو صاحب هذا الرأي الا ان الدكتور الجليل الاستاذ مصطفى جواد يقول ما نصه (وليست سنة ٥١١ هـ من عصر نورالدين بل من -

في الموصل تيجان من الحجر لاكشف في المسجد الجامع في الموصل (٥٦٦ -
٥٦٨ هـ / ١١٧٠ - ١١٧٢ م) ونرى في الموصل ايضاً تاج عمود من الجص من
عصر نور الدين في مار امورمة كما نرى فيها تاج عمود من الجص في مشهد الشيخ
فتحي ونرى في مشهد علي زخارف من الجص ترجع الى سنة (٥٩٨ - ١١٩٣ م)
كما انتشرت الزخارف الجصية من سامراء في سائر العالم العربي وتطورت في تلك
الانحاء بعد فترة من انتقالها اليها اما في مصر فانتنا نراها في الزخارف الجصية بجامع
احمد بن طولون (٢٦٣ - ٢٦٥ هـ / ٨٧٦ - ٨٧٩ م) وهناك زخارف جصية انتشرت
في البلاد العربية الاخرى وحتى الاسلامية ومن أراد الاطلاع على ذلك فليراجع
كتابي الفنون الاسلامية والفن الاسلامي .

- عصر جده اذا جاز ان تنسب اليه العصور) ٥٠١ هـ

التصوير في سامراء

لم نكن نعرف عن النقش والتصوير في العصر العباسي الاوّل شيئاً ماديا قبل كشف الصور التي عثر عليها المنقبون عن الآثار في اطلال مدينة سامراء فكان ما نعرفه في هذا الصدد لا يزيد على بعض نصوص أدبية وتاريخية جمع معظمها المرحوم (تيمور باشا) في كتاب (التصوير عند العرب) (١)

بل ان الصور التي عثر عليها في سامراء لم يبق منها الى اليوم شيء كثير في دار الآثار العربية ببغداد وفي متاحف استانبول ولندن وبرلين بعض قطع صغيرة من الجص عليها نقوش ولكن معظمها طمس وذهبت الوانها فلم يعد من المستطاع تمييزه او لم يبق منه الا اجزاء من الصور لا تعطي فكرة واضحة عما كانت عليه الصور الكاملة وذلك ان اهم الصور التي وجدتها البعثة الالمانية وضعت في صناديق وارسلت الى اوربا خلال الحرب العالمية الاولى فضاعت ولم ينجو منها الا جزء يسير تطرق اليه التلف وبذلك اصبح مرجعنا الاساسي في دراسة هذه الصور هو ما نقله منها العلامة هر تسفلد في كتابه عن (الصور في سامراء) وهو احد المؤلفات التي نشرت عن الحفائر الالمانية في مدينة سامراء العباسية وقد ذكر هر تسفلد في

(١) محاضرة الدكتور زكي محمد حسن في سنة ١٩٥٢

هذا الكتاب ان الوان هذه الصور كانت تنفض ثم تذهب تماماً بعد ازالة الرمل عنها ولكنه كان يعالج ذلك ويحتاط له بان يبادر بتصوير الرسوم بالفوتوغراف ويعمل نماذج لها بالالوان المائية حتى نجح في اعطائنا فكرة صادقة عنها في كتابه المذكور .

ويمكننا أن نقول بوجه عام ان النقش بالالوان على الجدران في سامراء كان حلقة متأخرة من النقش الساساني الذي نعرف عنه بعض البيانات من المراجع التاريخية والادبية بدون ان تكون لدينا أمثلة مادية .

والمعروف ان الزخارف المحفورة في الجص كانت العنصر الرئيسي في زخرفة البيوت والقصور في سامراء . وكانت الصور المرسومة بالالوان ولا سيما الصور الآدمية منها نادرة بل لعل ما نعرفه منها لم يكن الا في بعض القاعات الخاصة بقصور الخلفاء ففي قصر الجوسق مثلاً كانت قاعة العرش والقاعات المحيطة بها خالية من الصور بينما كانت الصور كثيرة في جدران قاعات الحرير ولا سيما في قاعة ذات قبة وصلت الينا في حالة جيدة .

ففي هذه القاعة رسوم نساء شبه عاريات ورسوم راقصات وفارسات في مناطق مربعة ومثمنة وفيها رسوم نساء يصدن الوحوش وغيرهن يرقصن او يعزفن على الآلات الموسيقية او يقفن على ارضية فيها رسوم فصائل شتى من الطير كما نرى بين تلك الرسوم مناظر رجال بين عقود قائمة على أعمدة ذات قواعد وتيجان على شكل الناقوس ومناظر حلزونات تتألف من قرون رخاء وتضم رسوم حيوانات ينقض بعضها على الآخر .

ووجد في احد البيوت التي كُشفت في حفريات سامراء رسوم حيوانات
وطيور وفروع نباتية ورسوم اسماك في البحر .

كما وجد في بيت آخر رجال يشربون وقد جلسوا القرفصاء، واحيط هذا
المنظر باطار يضم صفاً من طيور حول اعناقها عصابات طائرة وتحت هذا الصف من
الطيور وفوقه شريط من الحبيبات على الطريقة الساسانية (١)

وهناك نوع آخر من الرسوم يمثل قسماً واقفين ورجالا ونساء آتحممل
احدهن عجلا فوق كتفها وهذه منقوشة على دعائم صغيرة وجدت مدفونة تحت
قاعة العرش في قصر الجوسق . وعلى بعضها كلمات مثل ﴿ مفلح ومشمس ﴾ وعلى
الملابس في الرسوم الآدمية زخارف متنوعة ويذكر بعضها بزخارف انواع من
المنسوجات الساسانية والاسلامية والتي وصلت اليها والملاحظ ان اثر الاساليب
الفنية الساسانية ظاهرة في صور سامراء . ولا سيما في الافاريز والاطارات وفي وضع
الصور في مربعات ودوائر ومناطق مختلفة الشكل وفي مراعات التماثيل في الاشرطة
والموضوعات الزخرفية ومع ذلك فان في صور سامراء روحا هندسية ظاهرة تراها
في الرسوم الجانبية لبعض الوجوه الآدمية وفي الاسلوب المتبع في رسم أطواء
الملابس وفي بعض الحركة التي نلاحظها في رسوم الراقصات وترجع هذه الروح الى الهليني
الذي تسرب الى الشرق الادني ولا سيما اقليم بكتريا افغانستان منذ فتح الاسكندر وقد
وجدت على بعض نقوش سامراء كلمات قد تكون اسماء الفنانين الذين رقوها ووضحوها
﴿ احمد بن موسى ﴾ اما كلمتا مفلح ومشمس فربما كانتا امضاء فنانين ولا سيما ان
اسم مفلح كان معروفاً في عصر سامراء بل كان يحمله احد القواد الترك من أتباع

(١) نفس المصدر السابق

موسي بن بفا . وقد اشار هرتسفلد الى ان هاتين الكلمتين ربما كانتا من اصل
آدمي وكان المقصود بـشمس مساعد (الشمس) في الكنييسة يترجح حينئذ ان
يكون المصور مسيحياً آرامياً .

ويمكننا ان نفسر بذلك وجود رسم القسس ولكن يعترض على هذا
الرأى بان كلمة شمس ظهرت مضافة الى امضاء احمد بن موسى الفنان الذي ذكرناه
والذي لاشك في انه كان مسلماً .

وأشار هرتسفلد الى احتمال هو ان تكون لكلمة شمس صلة بالشمسين عند
اتباع المانوية وقد اشار اليهم ابن النديم في كتاب (الفهرست) حين ذكر المراتب
الخمسة في هذا الدين المعلن (او المعلمين ؟) والمشمسين والقسيسين والصدقيين
والسماعين فتكون اضافة كلمة شمس الى اسمي (مفلح وأحمد بن موسى) دلالة
على انها في المرتبة بين اتباع المانوية ولا سيما ان هؤلاء كانوا كثيرين في العراق
وكانوا في اسمائهم ومظهرهم كالسلميين تماماً . ولذا أصبح هذا الاحتمال الاخير فان
القسس المرسومين يكونون من قسس المانوية وليس من القسس المسيحيين كما
نستطيع حينئذ ان نفهم وجود الزخرفية الساسانية وغير الدينية .

وقد كشف في سرداب قصر الجوسق بسامراء آثار افريزين من زخارف
حائطية وقوام كل منهما نقوش من الجص الابيض البارزة بروزاً خفيفاً على مهاد
(أرضية) مدعونة باللون الازرق . وزخارف هذين الافريزين رسوم ابل ذات
سنامين ويفصل كل منهما عن الاخر نقش ملون يمثل شجرة صغيرة والذي يدعو
الى الاعتقاد بوجود افريزين ان رسوم الابل التي كشفت آثارها قسيان - الاول
ارتفاع كل منهما نحو نصف متر - والثاني نحو عشرين سنتيمتر .

والابل الكميرة تسير الى اليمين او اليسار اما الابل الصغيرة فبعضها متجه
الى اليمين وبعضها الى اليسار ولكنهما لا تسير كلها بل بعضها بارك .
وقد لوحظ ان رسوم هذه الجمال يختلف بعضها عن بعض مما يستنبط منه
انها لم تعب في قوالب بل كونها الصانع بيده على نحو الخزاف الجصية في الطرازين
الاول والثاني من الطراز الجصي في سامراء . ومما يلفت النظر ان الابل المنقوشة
ليست ذات سنام واحد كلالبل العربية ولكنهما من الابل ذات السنامين المعروفة
في ايران والواقع ان الفنون الايرانية القديمة فيها حور وافاريز زخرفية تتألف من
رسوم ابل يمكن اعتبارها الحلقة الاولى في افريز الابل بسامراء ومن هذه الصور
والافاريز الايرانية رسوم الابل في افريز بمدينة برسوبوليس يمثل اهل يكتريا
يحملون الجزية .

والمعروف ان برسوبوليس (اصطخر) هذه بها اثار هامة من الفن الفارسي
الكياني الأخميني بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد .



النقود العباسية في سامراء

لقد ضرب العباسيون دينارهم منذ سنة (١٣٢) الهجرية وهو تاريخ اعلان دولتهم على عهد الخليفة الاول عبد الله السفاح الى نهاية المستكفي بالله الخليفة الثاني والعشرين (٣٣٤) للهجرة ومن عهد المستنجد بالله الخليفة الثاني والثلاثين عام (٥٥٥) للهجرة الى نهاية عصر المستعصم بالله الخليفة السابع والثلاثين عام (٦٥٦) الهجرية وسقوط الدولة العباسية على يد طاغية المغول هولاءكو الايلخاني ووزن الدينار العباسي هو كوزن الدينار الاموي عينه وهو $260/4$ من الغرامات أي حبة وهذا هو الوزن الشرعي للدينار اي المثلقال عدا ما ضرب في جنوب البلاد العربية فقد جعلوا وزن الدينار وزن الدرهم الشرعي وهو $985/2$ من الغرامات أي ٤٦ حبة ، وان تغيرات الاوزان فيما بعد فيعد الوزن الشرعي اماما الى يومنا هذا .

وقطر الدينار لم يتغير فهو على ما كان عليه في العهد الاموي وهو ٢٠ مليمترا والانصاف ١٧ والاثلاث ١٢ وبعضها ١٣ والارباع ١٠ مليمترات ومنها ما بلغ قطره ٢٥ أو أكثر من ٣٠ مليمتراً . وهذه المقاييس تختلف ايضاً لعدم اتقان

استدارة الدينار .

ضرب العباسيون من اجزاء الدينار الربع والثلث والنصف وعلى وزن الدرهم وأقل ومن الاضعاف ما كان اكثر من المثقل الى أربعة مثاقيل وهذه ضربت للتعامل بها ولذا يضطرون الى وزنها أحياناً .

لقد تطور الدينار العباسي الى ثلاثة أقسام وذلك لاعتبارات كثيرة من حيث الزيادة في النصوص او التوسيع في القطر أو الزيادة في الوزن أو النقصان الى غير ذلك .

الدور الاول - من عهد الخليفة الاول السفاح سنة ١٣٢ هـ الى نهاية عهد المأمون سنة ٢١٨ هـ (١)

الدور الثاني - من عهد المعتصم سنة (١٢٨ هـ) الى نهاية عهد المستكفي سنة ٣٣٤ للهجرة .

الدور الثالث : من عهد المستنجد سنة ٥٥٥ هـ الى نهاية عهد المستعصم وموضوعنا الدور الثاني وما يخص الخلفاء العباسيين الثمانية الذين تعاقبوا على كرسي الخلافة في سر من رأى .

فقد ضرب المعتصم ديناره باسمه فقط وقد كتب في مركزه على النحو الآتي :

(١) راجع الدينار الاسلامي للاستاذ ناصر السيد محمود النقشبندي - مطبعة الرابطة -

بغداد ١٩٥٣

الله
محمد
رسول
الله
المعتصم بالله

لا اله الا
الله وحده
لا شريك له

بسم الله ضرب هذا الدينر بصنعا
سنة أربع وعشرين ومايتين

وكتب على الطوق

الله الامر من قبل ومن بعد
ويومئذ يفرح المؤمنون
ببصير الله
محمد رسول الله ارسله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله
ولو كره المشركون

وضرب الواثق ديناراه على ضرب به المعتصم وقد وجد على قسم من دنانيره
التي ضربت بصنعا عام ٢٣٢ هـ - اسم جعفر والريوسان .

(جعفر) وهو جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط تولى اماره اليمن سنة

٢٣١ هـ (الريوسان) فلا يعرف من هو وقد وجد من ديناراه لجميع سني ملكه . وقد

كتب في مركزه على النحو الآتي :

الله	لا اله الا
محمد	الله وحده
رسول	لا شريك له
الله	
الواثق بالله	

وضرب جعفر المتوكل ديناراً باسمه ومنه ما ذكر معه ابو عبد الله وهي
كنية ابنه محمد المعتز بالله وقد وجد مما ضربه لجميع سني ملكه . وقد كتب في
مركزه على النحو الآتي :

الله	لا اله الا
محمد	الله وحده
رسول	لا شريك له
الله	المعتز بالله
المتوكل على الله	

اما المنتصر فقد ضرب ديناراً باسمه الا انه لم يعثر الا على دينار واحد له
ضرب في سامراء ذكره (جورج سي مايلز) في كتابه (النقود الاسلامية النادرة
ص ٢٠ رقم ٦٦ لوح ٤) وقد كتب في مركز الدينار مايلي :

الله
محمد
رسول
الله
المنتصر بالله

لا اله الا
الله وحده
لا شريك له

وكتب على النطاق

بسم الله ضرب هذا الدين
بسر من رأى سنة ٠٠٠

وكتب على الطوق

محمد رسول ٠٠٠ الخ

الله الامر ٠٠٠ الخ

وضرب المستعين بعض دنانيره باسمه فقط وبعضها ذكر معه ابنه (العباس
بن أمير المؤمنين) سنة ٢٤٠ هـ وجد من دنانيره لجميع سني ملكه وقد كتب عليه
النحو الآتي :

الله
محمد
رسول
الله
المستعين بالله

لا اله الا
الله وحده
لا شريك له
العباس بن
أمير المؤمنين

وضرب المعتز بعض دنانيره باسمه فقط وبعضها ذكر معه ابنه عبد الله بن
أمير المؤمنين سنة ٥٢٤٠ هـ. وجد من دنانيره لجميع سني ملكه وقد كتب على مركزه

محمد	لا اله الا
رسول	الله وحده
المعتز بالله	لا شريك له
أمير المؤمنين	

وضرب المهدي بعض دنانيره باسمه فقط وقد كتب على مركز الدينار ما يلي

الله	لا اله الا
محمد	الله وحده
رسول الله	لا شريك له
المهدي بالله	
أمير المؤمنين	

وضرب المعتمد بعض دنانيره باسمه فقط ومنها ما ذكره معه غيره من
الامراء وقد كتب على مركز دينارها على النحو الآتي :

محمد	لا اله الا
رسول	الله وحده
الله	لا شريك له
المعتمد على الله	الموفق بالله
ذو الوزارتين	

خزف سامراء

خلال تنقيبات هرتسفلد ومن بعده دائرة الآثار القديمة في اطلال مدينة سامراء عثر على خزف كان أقل كمية من الفخار غير انها أكثر تنوعاً منها، وذلك لان الخزف يتنوع بتنوع الاصباغ، زيادة على تنوع الاشكال والنقوش الناتجة او الغائرة .

ومن المعلوم ان التزجيج يحصل بطلاء سطح الاناء الفخاري باصباغ معدنية قبل فخره الفخر النهائي . اما المركبات المعدنية التي تتألف منها الاصباغ تنصهر بتأثر الحرارة وتكون على سطح الفخار طبقة زجاجية رقيقة ، ملونة بالوان مختلفة ، حسب انواع المركبات المستعملة . يكون هذا الطلاء والتزجيج بلون واحد او بعدة الوان . كما انه يتم على سطوح ملساء او على سطوح قد حفر عليها اشكال وخطوط متنوعة او على سطوح مزدانه بزخارف ناتئة .

وهذا الطلاء المذكور يتكون أحياناً من أملاح معدنية خاصة تكسب الخزف بعد الفخر والتزجيج بريقاً معدنياً يزيد في رونقه وجماله (١)
وهناك نوع من الخزف يتكون من عجينة خاصة دقيقة وهذا هو الخزف

(١) حفريات سامراء المطبوع سنة ١٩٤٠ - مطبعة الحكومة

المعروف باسم الخزف الصيني او الفروري .

وعلى هذا ينقسم الخزف الى الانواع الاساسية التالية :

١ - الخزف المزجج الملون :

(أ) بلون واحد : (ب) بعدة الوان .

٢ - الخزف المزجج ، النائي ، الزخرف .

٣ - الخزف المحرز تحت التزجيج (غرافياتو) .

٤ - الخزف ذو البريق المعدني (البراق)

٥ - الخزف الصيني (السيلادون - الفروري)

لقد وجد في سامراء أوان وقطع خزفية من جميع هذه الانواع . وقد نشرت نماذج من صور هذا الخزف في كتاب ﴿ حفريات سامراء الجزء الثاني ﴾ وعثر خلال الكشف على أوان خزفية متنوعة جداً من حيث الاشكال والالوان ووجوه الاستعمال فيها صحون واطباق وفناجين ومشارب واجاجين وخواب ومسارج وبرايخ ومزاريب .

ومن الاواني الخزفية التي تستلفت النظر بوجه خاص : اناء خزفي ذو ثلاث قوائم ، ومزارب طويل مزجج من الداخل والخارج ، وبريق ذو ثلاث عرى بديعة على قاعدة كل واحدة منها وعلى قاعدة البلمبة زخرفة ناتئة جميلة ، وطبق مسطح ملون بالوان متعددة مرتبة ترتيباً غريباً يكسبه منظر عجلة ، اما اكبر الاواني الخزفية المكتشفة فهي : اجانة قطر فوهتها ٥٧ر٨ سم ، صحن قطره ٣٦ سم وخابية ارتفاعها ٥٦ سم . وزراب طوله ٨٨ سم .

واكثر القطع والاولاني الخزفية ، وحيده اللون ، واللون الشائع في مثل هذه

الاوراني هو اللون الازرق ، او الاخضر ، او الازرق المائل الى الخضرة . مع هذا فقد وجد صحن مزجج مصبوغ باللون القهوائي الغامق ، غيران الصحن والاطباق تكون عديدة الالوان بوجه عام : يلاحظ على كل واحد لوان ، أو ثلاثة أو أربعة الوان .

والالوان المستعملة هي : الحليبي ، الاخضر ، الازرق ، اللازوردى ، الاخضر الاسمر ، الاحمر وكل ذلك في درجات متفاوتة من الغماقة .

ان توزع الالوان على سطح الاناء ، يولد نقوشاً متنوعة جداً : تكون هذه النقوش على الاكثر على هيئة لطخات أو بقع موزعة توزيعاً منتظماً أو غير منتظم ، مع هذا كثيراً ما تتكون من خطوط دقيقة أو عريضة مستقيمة أو منحنية أو منكسرة مرتبة على هيئة تزيينات هندسية أو نباتية . ويلاحظ احياناً بين هذه النقوش في بعض القطع كتابات وفي بعض القطع صور حيوانية .

ومما تجب ملاحظته في هذا الصدد ان الاواني تكون مزججة من الوجه والقفا على الاكثر ، كما ان نقوش الوجه تختلف عن نقوش القفا بوجه عام . ان اختلاف الوجه عن القفا يشهد بوجه خاص في الخزف ذي البريق المعدني . أما الزخارف الناتجة التي تشاهد على القطع الخزفية دقيقة وجميلة جداً ، انها تتألف من خطوط وحلقات وأوراق ووردات ، مرتبة ترتيباً بديعاً ، على طريقة التوالي او التقاطع والتشابك . هذا وقد شوهد على قطعة خزفية من هذا القبيل كتابة ناتجة كما اشرنا الى ذلك آنفاً .

وقد اكتشف عدد غير قليل من القطع الخزفية ، المزخرفة بطريقة (التحزير

تحت التزجيج) والمعروفه بين العلماء باسم (غرافياتو) .

ان اشكال هذا التحزين متنوعه جداً خطوطاً دقيقة او عريضة ، مستقيمة
أو منكسرة أو منحنية أو متوازية أو متقاطعة ، مجتمعة على هيئة تزيينات غير
منتظمة بوجه عام بينها كثير من العناصر النباتية وبعض العناصر الحيوانية . وعثر
على بعض النماذج من الخزف البراق ، أكثرها في حالة قطع وكسرات من صحون
اللون الغالب فيها الارجواني والقهوائي واما الزخارف البراقة التي تلمع لمعان الذهب
أو الفضة فتتكون على الاكثر من عناصر نباتيه .

أما قطع الخزف المكتشفة في سامراء فمنها أيضاً الخزف الصيني تعود الى
أوان نوع الصحون والاطباق بوجه عام واللون الغالب هو الرمادي غير ان لون
البعض يميل الى الاسمرار والبعض الى الاخضرار والبعض الى البياض .



عدد صيانات آثار سامراء

لما تأسست مديرية الآثار العامة بعد الحرب العالمية الاولى اهتمت كثيراً في ترميم وصيانة آثار سامراء لأهميتها التاريخية ولكونها أكبر مدينة أثرية مطمورة تحت الاتربة التي تمتد رقعتها (٤٢) اثنين وأربعين كيلو متراً من الشمال الى الجنوب و (٦) ستة كيلومترات من الشرق الى الغرب . ولا تزال لحد الان هذه الآثار شاخصة مثل جامع الجمعة وجامع أبودلف في المتوكية وبيت الخليفة وبلسكوار وقصر العاشق وغيرها .

وهنا أود أن اذكر عدد وتواريخ الصيانات في آثار سامراء والاثار التي تم ترميمها وهي :

١ - في سنة ١٩٣٦ م قامت دائرة الاثار بصيانة الملوية بالمساعدة والحلزون الاول حيث أظهرت أساس الملوية وأعدت بناء ذلك بطابوق سور سامراء الذي أمرت الحكومة يومذاك برفعه من حول سامراء .

٢ - في سنة ١٩٣٦ م رمت دائرة الآثار سور جامع الجمعة ومداخله

من الخارج ورفع الاتربة من حوله واظهار ابراج المسجد وجدرانہ والمحراب .
٣ - في سنة ١٩٣٨ م رمت دائرة الآثار دارالعامه كما رفعت الاتربة من
حوله لابراز جدران بيت الخليفة للعيان .

٤ - في سنة ١٩٣٩ م رمت دائرة الآثار المدخل الرئيسي
للجوسق الخاقاني المعروف بباب العامه أو بيت الخليفة
قصر الخليفة .

٥ - في سنة ١٩٤٠ م رمت دائرة الآثار جامع أبو دلف ومثذنته
والبقعة التي تحيط بمحرابه .

٦ - في سنة ١٩٤١ م رمت دائرت الآثار وأكملت جدران جامع
الجمعة والملوية الى فوق .

٧ - في سنة ١٩٥٧ م رمت دائرة الآثار جامع أبو دلف ومثذنته أيضاً
٨ - في سنة ١٩٥٨ م رمت دائرة الآثار جامع أبو دلف فأصلحت الكثير
من أقواسه ومأذنته وهي تشابه الملوية .

٩ - في سنة ١٩٦٢ م تابعت مديرية الآثار العامه تنفيذ المناهج (١) الموضوعه
للسيانة الاثرية في سامراء اذا أكملت الاعمال التي كان قد بدىء بها قبل الحرب
العالمية الثانية في جامع المتوكل والذي يعرف أيضاً بجامع المعتصم وجامع الجمعة
والمسجد الجامع وجامع الملوية ، فبدأت في ترميم الازاء الداخلية لجدرانہ

(١) راجع كتاب (صيانة الابنية الاثرية في العراق) لفؤاد سفر وصادق الحسني

ص ١٩ - ٢٢ بغداد ١٩٦٥

الاربعة وتنظيف أروقته من الانتقاض والاتربة التي قدرت بما لا يقل عن

عشرين الف متر مكعب

١٠ - في سنة ١٩٦٣ م رمت كذلك أحد عشر نافذة من نوافذ هذا

الجامع التي تشاهد في الجدار الجنوبي أي جدار القبلة (ان مجموع نوافذ هذا الجدار

يبلغ ٢٤ نافذة) .

وبعد اكمال التنظيف ورفع الانتقاض ظهرت التبايلط الاصلية للجامع وتم

كذلك التوصل الى معرفة التصاميم التفصيلية لبناء الاجزاء الداخلية . وقد تم

كذلك العثور على عدد من الاعمدة الرخامية وبعض تيجان هذه الاعمدة . كما تم

العثور على عدد كبير من البلاطات الزجاجية التي كانت تزين الاجزاء السفلى للاقسام

الداخلية من جدار القبلة ، والتي أشار اليها الاربلي في (خلاصة الذهب المسبوك) اذ

جاء في صفحة (١٦٣) من كتابه ما يأتي : (وجعل وجوه حيطانه مرابا بحيث

يرى القائم في الصلاة من يدخل من خلفه وبني المنارة التي يقال انها من احدى

عجائب الدنيا ٠٠٠) .

ولقد فسرها المنقب الالماني المعروف هرتسفلد في تقريره الاولى لتنقيبات

الموسم الثاني في سامراء ، اذ ذكر بان المقصود كان فسيفساء (موزايك) .

١١ - في سنة ١٩٦٤ م رمت دائرة الاثار محراب جامع الجمعة ورفعت الاتربة

من الجانب الشمالي في قصر العاشق وتم بناء الاقسام الداخلية واعادة الجانب

الشمالي من القصر وبناء أبراجه الاربعة ونوافذه المفصصة وخلال رفع الانتقاض

ظهرت للعيان بعض المداخل الجديدة للقصر كانت في حالة جيدة من الحفظ ، وقد وجد ان أحد هذه المداخل تؤدي الى قاعة مربعة هائلة الارتفاع وبجالة معجبية من الحفظ اذ لم تعبت بها يد الزمن .

١٢ - في سنة ١٩٦٥ م رعمت دائرة الاثار قصر العاشق أو المعشوق من الجهة الشرقية والغربية وكذلك تم صيانة ستة أبراج أخرى ولا تزال الاعمال قائمة على قدم وساق على رفع الاثرية وصيانة الاجزاء الاخرى من القصر المذكور حتى سنة ١٩٦٨ م.



البيت العباسي في سامراء

عندما عازمت الحكومة على بناء ثانوية سامراء للبنين قرب سور عيسى أرسلت هيئة فنية مختصة من مديرية الآثار العامة في بداية عام ١٩٦٢ م للتنقيب (١) في المنطقة التي يراد انشاء المدرسة المذكورة فيها ، وخلال الحفر في هذه البقعة عثر على دار عباسي يعتبر هذا الدار أقدم بيت اسلامي معروف لحد الان وأصبح بذلك نموذجا حسناً لمساكن الطبقة الراقية في سامراء .

وكان هذا الكشف في موسم ١٩٦٣ م حيث رفعت الانتقاض عن الجزء الأهم من الدار المذكور . حيث تبلغ مساحة هذا الدار نحو (١٦٠٠) متر مربع كما ان هناك أجزاء من الدار لم تكشف لحد الان .

وعثر خلال الحفر والتنقيب على مجموعة غرف لا تقل عن خمسين غرفة وفيه أربعة ساحات مكشوفة عدى الصحن الوسطي ، ويضن ان احدى هذه الصحن كانت حديقة ، أما المدخل الرئيسي للمنزل فلم يعثر عليه لحد الان ويمتاز هذا القصر بزخارفه الجصية حيث عثر على الزخارف فيه وهي ترفع من متر وعشرة سنتمترات الى أقل .

والظاهر ان القسم الذي تم كشفه هو أحسن أقسام الدار ويضن انه كان

(١) كانت الهيئة برئاسة الدكتور عبد العزيز حميد مديرية الابحاث الاسلامية

يستخدم لاستقبال الضيوف حيث يتكون من قاعة مربعة الشكل عن يمينها ويسارها غرفتان وغرفة أمامية تؤدي الى الصحن المذكور . وهناك في القسم الشرقي من الدار سلسلة من الغرف الطويلة نسبياً كانت أصلاً مشيدة بالطابوق بينما المرافق الأخرى قد شيدت بالبن ، اللهم الا أرضيات الغرف فهي مبلطة بالطابوق الفرشي كما تم العثور على حمام كبير مجاور للقسم الرئيسي مكون من منزع يؤدي الى غرفة مربعة الشكل كانت تستخدم للاستحمام ، أما الخناس بالحريم فهو يقع بالقسم الشمالي من الدار .

أما الصيانة التي تمت بالدار فهي توزيع الأجزاء المتآكلة من الجدران الداخلية بطابوق ذات شكل يساوي الطابوق الأصلي وكان ذلك خلال سنة ١٩٦٤ م . كما شملت القسم الرئيسي من الدار حيث رفعت جدرانها الى مترين ونصف ثم وضعت سقيفة معدنية تتركز على دعائم من الشيلمان وذلك لحفظ هذا الجزء من الامطار والرياح كما حوط الدار بالاسلاك الشائكة لمنع عبث الاطفال وغيرهم بهذا الدار .

مدينة المتوكلية

أهل أهم التوسعات التي اجراها المتوكل هي مدينة المتوكلية الممتدة اليوم الى الجهة الشمالية حيث اختار مكاناً في تلك الجهة وبنى مدينة جديدة سماها المتوكلية أو الجعفرية وانتقل اليها، اما المكان الذي وقع اختياره عليه فيقال له «الماحوزة» وهو المكان الذي قيل عنه ان المعتصم كان قد فكر في انشاء مدينة فيه .

وتقع خرائب المتوكلية على ضفة نهر دجلة في أقصى الشمال على بعد حوالي عشرة كيلومترات من آخر البناء الذي في الدور (دور العرابي) وهو الحد الشمالي لبناء المعتصم ويكون ذلك على بعد حوالي ٢٠ كيلومتراً من شمالي سامراء الحالية ويشاهد الزائر اليوم السور الضخم الذي يحيط بالمتوكلية والذي يبلغ مجموع طوله حوالي أربعة كيلومترات ونصف كيلومتر، أما مساحة الارض التي في داخل السور فتبلغ حوالي ٥٤٠ دونماً (مشاراة) وهناك سور آخر في جنوب المدينة بقليل يمتد بين ضفة القاطول الكسروي اليمنى ونهر دجلة فيفصل هذا السور الخارجي مدينة المتوكلية ومشملااتها عن مدينة سر من رأى التي في الجنوب تاركاً اياها في عزلة عن المدينة القديمة وفي هذا السور باب ضخم في وسط السور هو المدخل العام

للمدينة (١) .

ومما كتبه البلاذري بصدد انشاء مدينة المتوكلية قوله ﴿ أحدث المتوكل مدينة سماها المتوكلية وعمرها وأقام بها وأقطع الناس القطائع وجعلها فيما بين الكرخ المعروف بفيروز وبين القاطول المعروف بكسرى فدخلت الدور والقرية المعروفة بالمحوزة فيها . وبنى بها مسجداً جامعاً وكان من ابتدائه اياها الى ان نزلها اشهر ونزلها في أول سنة ست وأربعين ومائتين ثم توفي رحمه الله في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ﴾ .

ونقل المتوكل جميع الدواوين الى مدينته الجديدة (المتوكلية) وأقطع ولاية عهوده وسائر أولاده وقواده وكتابه وجنده والناس كافة ، فاتسع البناء في المنطقة الشمالية هذه التي تمتد بين آخر البناء في الدور (دور العرابي) من جهة وآخر الحدود الشمالية لمدينة المتوكلية من الجهة الاخرى مسافة حوالي خمسة عشر كيلو متراً .

ولتأمين المواصلات العامة بين مدينته الجديدة (المتوكلية) وبين مدينة المعتصم (سامراء) مد الشارع الاعظم (وهو شارع السريجة الاعظم الذي ينتهي الى دار اشناس في الكرخ وهي الدار التي صارت في هذا الدور للفتح بن خاقان) مقدار ثلاثة فراسخ (أي حوالي ١٥ كيلو متراً) الى قصوره في الشمال وجعل دون قصوره الثلاثة أبواب عظام جليلة يدخل منها الفارس برمحه وأقطع الناس يمنة الشارع الاعظم ويسرته وجعل عرض الشارع الاعظم مائتي ذراع وكذلك

(١) ري سامراء ج ١ ص ١٢٩ و ٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦

شق الدروب من جهتي الشارع الاعظم وكانت الدروب التي على جهة نهر دجلة تنتهي بالنهر هناك والدروب التي على الجهة الشرقية من الشارع تنتهي في آخر البناء من جهة الشرق (١) ولا تزال آثار هذا الشارع جلية تحدها الخرائب من الجهتين كما انه لا تزال آثار بناء الابواب المذكورة باقية ظاهرة تشهد في نهاية الشارع الاعظم وذلك في السور الخارجي لمدينة المتوكلية وقصورها وهو السور الذي يمتد بين ضفة القاطول الكسروي اليمنى ونهر دجلة .

وهكذا فقد اتصل البناء على ضفة نهر دجلة فيبدأ في أقصى الشمال من المتوكلية فالدور فكرخ أشناس فسر من رأى (ماراً الى الموضع الذي كان ينزله المعتز بن المتوكل ليس بين شيء من ذلك فضاء ولا فرج ولا موضع ولا عمارة فيه فكان مقداره ذلك سبعة فراسخ (حوالي ٣٤ كيلومتراً) .

ولتموين المدينة الجديدة بالمياه السيجية أخرج المتوكل نهرأ من ضفة دجلة اليسرى من نقطة تقع على بعد حوالي أربعين كيلومتراً من شمال مدينة تكريت ويسير هذا النهر على محاذات دجلة جنوباً مسافة حوالي ستين كيلومتراً حتى يصل الى المتوكلية ، وقد سمي (النهر الجعفري) وأنفق عليه ما يقرب من مليون دينار الا انه كان مشروعا فاشلا للأسباب التي سنبحثها في فصل آخر .

ويلاحظ ان المتوكل كان يشرف شخصياً على اعمال المدينة الجديدة في (الماحوزة) وعلى حفر النهر الذي يدها بالمياه فانتقل من سر من رأى وجعل مقره في قرية (الحمدية) ليكون قريباً من ساحة العمل فيسهل الاشراف عليه عن كشب أما موضع قرية الحمدية فيقول البلاذري انها قريبة من الماحوزة وانها كانت تعرف

(١) كتاب البلدان : للياقوت

د (الايتاخيه) نسبة الى ايتاخ التركي ثم سماها المتوكل الحمدية باسم ابنه محمد المنتصر وكانت تعرف أولاً بدير أبي الصغرة وهم قوم من الخوارج) غير ان ابن سرايون اعتبر الايتاخية والحمدية قريتين منفصلتين وقال انهما تقعان بالقرب من بعضهما على القاطول الاعلى الكسروي (الايتاخية في الشمال والحمدية جنوبها) وذلك على مسافة قليلة من صدره وأضاف بن سرايون الى ذلك قوله انه كان على القاطول جسر من الحجارة عند الايتاخية وجسر من الزواريق عند الحمدية .

وجاء ذكر الحمدية ايضاً فيما رواه الطبري عن مقتل ابي نصر في حوادث سنة ٢٥٦ هـ ومما قاله عن هذا الحادث ان ابا نصر قبل ان يتم قتله لجأ الى الحمدية فكتب المهتدي اليه يعطيه الامان على نفسه فوثق بذلك فرجع غير انه حبس على اثر عودته وقتل .

وقد روى اليعقوبي ان قطيعة ايتاخ كانت تقع في آخر شارع ابي احمد مما يلي وادي ابراهيم بن رباح اي في شمال الكرخ ودور عربايا وكان هذا الشارع على حسب قول اليعقوبي ينتهي الى باب البستان وقصور الخليفة ولعل قرية الايتاخية كانت من ضمن قطيعة ايتاخ المذكورة ويحتمل ان يكون قصر بستان الايتاخية الذي ذكره ياقوت الحموي وقال انه من جملة قصور المتوكل وان كلفة انشائه بلغت عشرة آلاف الف درهم احد قصور الخليفة التي روى اليعقوبي ان شارع ابي احمد كان ينتهي عندها .

اما الموضع الذي كانت فيه قرية الحمدية وقصور الحمدية بالنسبة الى الاطال المتبقية فلم يعثر الدكتور احمد سوسة على موضع تنطبق عليه الاوصاف

المتقدمة غير موضع التل المعروف باسم (تل الاصبعين) الواقع على الضفة اليمنى من القاطول الكسروي عند الكيلومتر (١٣ر٥٠٠) من صدره حيث تقع بالقرب من هذا التل في جهة الغرب اطلال عمران قديم ثم ان هناك تلا آخر يقع جنوبي تل (الاصبعين) عند الكيلومتر (١٨ر٣٠٠) من صدر القاطول يقال له (تل تمر) يقوم على الضفة اليمنى من القاطول ايضاً وفيه آثار قصر قديم وبالقرب منه على حافة القاطول تشاهد آثار قصر آخر كما ان هناك خرائب مجاورة تمتد غرباً حتى تنقل بالشارع الاعظم ويغلب على الظن ان قرية المحمدية كانت في احد هذين الموضعين اما اذا اخذنا بقول ابن سرايون وهو ان هناك قريتين تعرفان بالابتاخية والمحمدية فتكون هاتان القريتان في الموضعين المذكورين أي في جوار تل الاصبعين وتل تمر .

كما ان المتوكل انشأ في المتوكلية القصر الجعفري وبعض القصور الاخرى ذكرناها بصورة مفصلة في باب القصور العباسية في سامراء .

وتدل الروايات التاريخية المدونة على ان مشروع مدينة المتوكلية تم في أقل من عامين ، فقد شرع المتوكل في بنائها سنة ٢٤٥ هـ فآتمها في نهاية سنة ٢٤٦ هـ ويؤيد المؤرخون انه انتقل الى المدينة الجديدة في اليوم الاول من المحرم سنة ٢٤٧ هـ وقد تكامل السرور للمتوكل بعد ذلك ، فقال (الان علمت اني ملك اذ بنيت لنفسي مدينة سكنتها) .

وكان طبيعياً ان ينهري الشعراء فينظمون قصائدهم في وصف مدينة المتوكل الجديدة ومن أشهر ما قيل فيها قول البحري : -

ارى المتوكلية وقد تعالت محاسنها واكملت التماما

قصور كالكواكب لامعات يكذبن يضئن للساري الظلاما

ولبحثري قصيدة أخرى يصف في بعض آياتها التوكلية منها :

يهنيك في التوكلية انها حسن المصيف بها وطاب المربع

فيحاء مشرقة يرق نسيمها ميت تدرجها الرياح واجرع

وفسيحة الاكتاف ضاعف حسنها

بر لها مفض وبجر مترع

قدس فيها الاولياء اذا التقوا بغناء منبرها الجديد فجمعوا

فارفع بدار الضرب باقي ذكرها ان الرفيع محله من ترفع

ولكن الافدار واحكامها فما مضى عام واحد على انشاء هذه المدينة العظيمة

حتى فضت الافدار عليها بالموت والاقفار ، وكان ذلك على أثر قتل المتوكل في

٣ شوال من سنة ٢٤٧ هـ . ولما كان المتوكل قد انتقل الى التوكلية في اليوم الاول

من المحرم سنة ٢٤٧ هـ فيكون قد قضى فيها تسعة أشهر وثلاثة أيام فقط .

وقد هجرت المدينة وقصورها بعد مقتل المتوكل فوراً وعاد ابنه الخليفة

المنتصر والناس جميعاً الى سامراء .

النهر الجعفري

قد يكون من المفيد ، قبل أن نبحث في النهر الذي حفره المتوكل ان ننتبع منشأ المشروع وتاريخه القديم الذي يرجع الى ما قبل عهد المتوكل ، ولسكي يتسنى لنا أن نقف على ذلك علينا ان نستند أولاً الى الروايات التاريخية ، ثم الى الاثار والاطلال المتبقية والمناسيب وغير ذلك من المعلومات التي مهدنا الى حقيقة الوضع .

ومن الروايات التاريخية التي تؤيد رجوع المشروع الى ما قبل عهد العرب ما كتبه اليعقوبي في هذا الصدد حيث قال : (وعزم المتوكل أن يبني مدينة ينتقل اليها وتنسب اليه ويكون له بها الذكر فامر محمد بن موسى المنجم ومن يحضر بابه من المهندسين أن يختاروا موضعاً اختياريهم على موضع يقال له الماحوزة وقيل له ان المعتصم قد كان ينوي على أن يبني مدينة في الموضع الذي يقال له الماحوزة ويحفر نهراً قد كان في الدهر القديم فاعتزم على ذلك وابتدأ النظر فيه في سنة خمس واربعين ومائتين ووجه في حفر ذلك النهر ليكون وسط المدينة) والذي يؤيد صحة وجود هذا النهر في الدهر القديم هو ان المتارب المكونة من الحفريات الاخيرة وضعت على بعد بضعة امتار عن متارب الضفة الاصلية بحيث يمكن تمييز المتارب القديمة

من تلك التي تكونت من الحفريات الجديدة .

ويلاحظ أيضاً ان هناك عدة مجاري في صدر النهر يستدل منها على ان بعضها يرجع الى عهود قديمة تعود الى ما قبل عهد العرب ، كما ان هناك في بعض أقسام النهر مجار قديمة موازية للنهر الرئيسي . وبعض هذه المجاري يتقاطع مع المجرى الرئيسي بحيث يصبح قسم في الجانب الشرق ، والقسم الآخر في الجانب الغربي ، مما يدل على ان هذه المجاري ترجع الى عهد قديم يعود الى ما قبل زمن المتوكل . وعلى هذا نجد ان هناك تسميات مختلفة اطلقت على مختلف أقسام النهر ولا تزال تعرف هذه الاقسام بهذه التسميات ، كتسمية (النهر العتيق) للقسم الاعلى للنهر مثلاً وتسمية (الحفر) أي الحفر الجديد للقسم الآخر ، اما التسمية العامة التي يعرف بها النهر اليوم فهي (نهر نايفه) .

ويقول الدكتور أحمد سوسة ان منشأ النهر يرجع الى عهد الفرس أو الى ما قبل ذلك ، اي الى زمن الكلدانيين او الآشوريين ، ثم جاء المتوكل فاعاد حفره .

والفرق الذي نلاحظه بين النهر القديم وبين جدول المتوكل ينحصر في الغاية التي أنشئ كل منهما من اجلها ، فان الغاية الاساسية التي كان يستهدفها النهر القديم ارواء مساحة كبيرة من المزارع وهذه هي الاراضي السهلة الواقعة على ضفته اليسرى بين (بحيرة الشارع) ونهر دجلة ، اي المنطقة المعروفة بـ (حويجة سامراء) والاراضي الزراعية الواقعة على ضفته اليمنى ، بينه وبين نهر دجلة ، على حين ان الغاية من انشاء جدول المتوكل الذي اتبع نفس اتجاه النهر القديم هي اوصول المياه الى مدينة المتوكل سيحاً باي ثمن كان وبغض النظر عن مساحة الاراضي الزراعية

التي يمكن ارواءها من الجدول .

هذا واذا اختلف الاثنان في المرحى الذي يحققانه فانهما يتفقان في طريقة تصميم الجدول وذلك من حيث سحب المياه من نهر دجلة الى صدر الجدول ، ففي كلا العهدين (العهد القديم وعهد المتوكل) كان الجدول قد صمم على اساس سحب المياه من النهر دون قناطر أو سد على نهر دجلة لرفع مناسيب النهر في موسم الصيف ، والذي كان يساعد على ذلك هو ان صدر الجدول يقع على مسافة بعيدة من شمالي حدود الدلتا ، وبذا كان يسحب المياه من اعالي النهر حيث تكون المناسيب مرتفعة ، ويكون النهر في تلك الاقسام اكثر ثباتاً من تطور المناسيب ومن حيث تحول المجرى .

ومن الروايات المتواترة ، ان اميرة تسمى باسم نايفة قامت بحفر النهر فسمي باسمها .

وتذهب هذه الروايات الى ان الاميرة نايفة هذه كانت بنت الملك هطرون الذي كان له ابنتان : احدها الاميرة نايفة والثانية تسمى الاميرة فاخرة . ولما قام الملك بتقسيم ملكه على ابنتيه وقعت حصة الاميرة نايفة في القسم الجنوبي الذي يبدأ في جبل حميرن ويمتد الى الجنوب . اما الاميرة فاخرة فكانت حصتها في شمالي جبل حميرن .

وتقول هذه الروايات ايضاً ان اطلال هطرة كانت مدينة الملك هطرون كما كان التل المعروف بـ (تل مهبجير) الذي يقع على الضفة اليمنى لنهر دجلة امام قصر الجعفري مكان قصر اخيه هجرون . اما مبلغ الصحة في هذه الروايات فلا نستطيع الحكم عليه على انه قد يصح لنا ان نستدل منها بان النهر يرجع

الى ما قبل العهد العربي .

ويتفرع النهر الجعفري من الضفة اليسرى لنهر دجلة في نقطة تقع على بعد خمسة كيلو مترات تقريباً من جنوبي ناحية (بيحي) وحوالي ٣٨ كيلومتراً من شمالي تكريت و ٦٣ كيلومتراً من شمالي صدر القاطول الكسروي الذي يتفرع من نهر دجلة عند الدور وذلك من منتهى سفوح سلسلة جبل حميرن التي تقطع مجرى دجلة بالقرب من بيحي فتؤلف هناك مضيق الفتحة المعروف . ويسير الجدول من الشمال الى الجنوب محاذيا الضفة اليسرى لنهر دجلة من جهة الغرب ، وموازيا للمنطقة الجبلية المرتفعة من جهة الشرق ، وبعد ان يقطع مسافة عشرين كيلومتراً في هذا الاتجاه ، وينحرف الى الشرق قليلاً فيحاذي سفوح المنطقة المرتفعة ، مبتعداً عن نهر دجلة الى مسافات تتراوح من خمسة كيلو مترات الى ستة فيكون أمام تكريت عند الكيلومتر (٣٧) من الصدر ومقابل الدور (دور تكريت) عند الكيلومتر (٥٤ ر ٥) من الصدر وبعد ان يجتاز النهر الدور ويسير الى مسافة كيلومتر ونصف كيلو متر في جنوبها الى قل اصطناعي مرتفع يقع في وسط الجدول ويسمى (تل البنات) وهذا تل كبير يحوطه الجدول من كل اطرافه ، حيث ينقسم الجدول في هذا المكان الى فرعين الغربي يحيط بالتل من جهة الغرب والفرع الشرقي يحيط به من جهة الشرق ثم يعود الجدول فيتحد من جديد بالتقاء الفرعين بعد تحويطهما لموقع التل وجعله بشكل جزيرة يحيط بها النهر من كل جانب .

ويميل الدكتور احمد سوسة الى الاعتقاد بأن التل المذكور من اعمال المتوكل وقد انشئ في نفس الوقت الذي حفر فيه النهر . والارجح ان الغاية التي انشئ من اجلها هي نفس الغاية التي كان يستهدفها (تل العليق) الذي انشأه المتوكل شمالي

شرقي سامراء لتأمين تفرجه ورجال حاشيته من محل مرتفع على حلبة السباق التي انشأها هناك ، حيث يظهر لنا بأن المتوكل كان ينوي نقل حلبة السباق التي كان قد انشأها في سامراء الى هذا المكان ، اي الى الساحة الواسعة التي تمتد شرقي النهر الجعفري ، وذلك بعد اتمام حفر النهر الا ان الظروف لم تسمح له بتحقيق ذلك ، ويوجد فوق التل بناء اقتلع آجره مما يدل على أنه انشئت هناك مقصورات لجلوس الخليفة وحاشيته .

وبعد ان يجتاز الجدول (تل البنات) يقرب من نهر دجلة فيصبح على بعد اقل من كيلو مترين منه حتى اذا ما سار مسافة ستة كيلومترات من (تل البنات) انتهى الى مجرى القاطول الكسروي عند قنطرة الرصاصي الواقعة عند الكيلومتر (٧٥٠٠) من صدر القاطول المذكور . وهنا يتشعب القاطول على عبارتين تقع احدهما شمالي (قنطرة الرصاصي) بقليل وتمتد الاخرى فوق قنطرة الرصاصي نفسها ، اما الفرع الثالث فينصب في مجرى القاطول في اقصى الجنوب من جهة الشرق .

وكان الفرع الاخير يأخذ المياه الزائدة التي تتجمع في النهر فيصبها في القاطول وعلى هذا فقد انشيء ناظم في صدره لتنظيم المياه التي تصرف الى القاطول ، ولا تزال آثار هذا الناظم ماثلة يمكن مشاهدتها في صدر هذا الفرع في المكان الذي يتشعب فيه النهر الى الفروع الثلاثة المذكورة .

اما الفرعان اللذان يهبران مجرى القاطول فكانا ينتهيان الى حوض انشيء في الضفة اليمنى للقاطول لجمع مياه نهر الجعفري فيه ثم تحويلها الى السواقي التي تنتهي الى المدينة المتوكلية . فهناك فرع يتشعب من الحوض فيمد السواقي التي على جانبي

الشارع الاعظم بالمياه ، كما ان هناك فرعا آخر يتفرع من الحوض أيضاً فيسير غربا بين سور المتوكلية والقاطول الكسروي وبعد ان تتشعب عدة فروع منه تتجه نحو مدينة المتوكلية ينتهي الى بركة قصر الجعفري .

ويتضح مما تقدم ان طول النهر الجعفري بين صدره عند نهر دجلة ونهايته عند بركة قصر الجعفري يبلغ حوالي ٦٣ كيلومتراً .

ولنهر اربعة صدور قريبة من بعضها كلها تتفرع من نهر دجلة وليس في أي منها أثر لبناء او ناظم ، الا ان وضع مجرى النهر يدل على ان هذه الصدور كانت تمتد الى مسافة غير قليلة الى الشمال الغربي حين كان مجرى نهر دجلة يسير غربي اتجاهه الحالي ، ولما تحولت دجلة الى مجراها الحالي باتجاه الشرق أصبحت الصدور الاصلية للجدول في وسط مجرى دجلة فلم تترك لها اي أثر .

وخشية الاسهاب في هذا الموضوع نترك المواصفات والاثار التي كانت بالقرب من هذا النهر ولكن لا بد من الاشارة الى اسباب فشل مشروع النهر الجعفري وعوامله .

لقد اختلف المؤرخون في بحثهم عن مصير (النهر الجعفري) وعن العوامل التي أدت الى فشله فمنهم من قال ان النهر لم يتم حفره في عهد المتوكل وانه توقف العمل فيه بعد مقتله ، ومنهم من ذكر ان النهر قد تم حفره ، الا انه لخطأ ارتكب في التصميم لم يحقق الغاية المتوخاة فكان جريه ضعيفاً .

وكان ياقوت من بين الذين دانوا بالرأي الاول ، فذكر ان المتوكل اشتق نهرأ من دجلة (قدره للدخول الى الخير ﴿ الماحوزة ﴾) فمات قبل ان يتمم وحاول المنتصر تميمه فلقصر ايامه لم يتمم ثم اختلف الامر بعده فبطل وكان المتوكل

انفق عليه سبعمائة الف دينار) .

وقد أيد الطبري ذلك فذكر ان المتوكل عهد أمر النفقة على النهر الى دليل بن يعقوب النصراني كاتب بعا وقد بوشر العمل في شهر ذى الحجة من سنة ٢٤٥هـ وكان دليل لم يزل (يعمل فيه ويحمل المال بعد المال ويقسم عامته في الكتاب حتى قتل المتوكل فبطل النهر وأخربت الجعفرية ونقضت ولم يتم حفر النهر) (١) وكذا كان رأي ابن الاثير فقد ايد توقف حفر النهر بعد مقتل المتوكل ، وتفسير ذلك انه لم يتم حفره في عهد المتوكل .

واليك نص ما كتبه ابن الاثير في هذا الصدد قال :

﴿ في هذه السنة (سنة ٢٤٥هـ) أمر المتوكل ببناء الماحوزة وسماها الجعفرية واقطع القواد واصحابه فيها وجدفي بنائها وأنفق عليها فيما قيل أكثر من الف دينار وجمع فيها القراء فقرأوا واحضرها اصحاب الملاهي فوهب أكثر من الف درهم وكان يسميها هو واصحابه المتوكلية وبنائها قصرآ سماه لؤلؤة لم ير مثله في علوه وحفر لها نهراً يسقي ما حولها فقتل المتوكل فبطل حفر النهر وأخربت الجعفرية (٢)

ومن الذين خالفوا هذا الرأي يعقوبي ، ومع انه بين ان النهر لم يتم حفره على الشكل المنتظر فقد افاد في الوقت نفسه ان المياه جرت فيه في عهد المتوكل جرياً ضعيفاً .

وهذا ما كتبه بالنص قال : ﴿ قيل (للمتوكل) ان المعتصم قد كان على

(١) الطبري (٣ : ١٤٣٨) .

(٢) ابن الاثير الجزء السابع ص ٥٦

ان يبني مدينة في الموضع الذي يقال له الماحوزة ويحفر نهرآ قد كان في النهر القديم
فاعتزم على ذلك وابتدأ النظر فيه في سنة ٢٤٥ هـ . ووجه في حفر ذلك النهر ليكون
وسط المدينة ٠٠٠٠٠ الا ان النهر لم يتم امره ولم يجر الماء فيه الا جريا
لم يكن له اتصال ولا استقامة على انه قد انفق عليه شبيهاً بالف
الف دينار ﴿

ولولامشيئة الصدف التي قادت احمد بن يوسف الكاتب الى شرح تفاصيل
قصة النهر بمناسبة ذكر اخبار يعقوب بن اسحاق الكندي لبقى أمر فشل
هذا المشروع سرآ مجهولاً . وحلاصة القصة هي انه كان يعقوب بن اسحق الكندي
عظيم القدر عند الخلفاء العباسيين الذين عاصروهم لما كان له من منزلة علمية جليلة ،
وقد اشتهر في اضطلاع به علم الحساب والهندسة وطبائع الاعداد عدا العلوم الاخرى
كالفلسفة والمنطق وعلوم النجوم والطب ، ولم يكن ينافسه على الشهرة التي حازها
بالنسبة الى علم الهندسة والحساب غير ابي معشر ، وهو جعفر بن محمد البلخي ،
ولكنه لما دخل في المباراة مع الكندي فشل فاضطر الى العدول الى علم آخر غير
علم الهندسة .

وقد شاءت الظروف ان تفسح للانانية الشخصية المجال لان تلعب دورها
فانبرى شخصان من الحساد المتطفلين هما محمد واحمد ابنا موسى فدبرا مكيدة للكندي
حتى غضب المتوكل عليه فضربه واخذ محمد واحمد كتبه باسرها وافرداها في
خزانة سميت السكندية ، كما انها دبرا في الوقت نفسه مكيدة لسند بن علي الذي
كان اختصاصيا في علم الهندسة أيضاً فاشخصاه الى بغداد وباعدها
عن المتوكل .

ويمكن هذا لها ان يحتكرا الادعاء بعلم الهندسة رغم كونها بعيدتين كل البعد عن معرفة اصوله وتفرعاته ولما قرر المتوكل حفر النهر لايصال المياه به الى مدينته الجديدة المتوكلية كان طبيعياً ان يتقدم الى محمد واحمد بحفره ، ولما كانا مفتقرين الى الكفاءة الفنية لانجاز مثل هذا المشروع الجسيم اسندا امره الى أحمد بن كثير الفرغاني .

الذي لم يكن اوفر حظاً منهما في قابلية انجاح مثل هذا المشروع ، فارتكب اغلاط فنية أدت من حيث الاساس الى فشل المشروع حيث لم تدخل المياه الى النهر في غير أوقات الفيضان حين ارتفاع مناسيب مياه دجلة فقط ولما بلغ امر هذه الاغلاط مسمع المتوكل احضر سند بن علي من بغداد فصارحه في امر مكيدة محمد واحمد عليه وطلب اليه ان يجري التحري على النهر الذي عهد أمر حفره اليهما وان يبين الخطأ الذي ارتكب فيه ليقوم باعدام محمد واحمد بعد الاستماع الى شهادته الفنية والتأكد من وقوع الخطأ الذي سبب انفاق الاموال الطائلة من دون جدوى . ولما تحقق لمحمد واحمد ان مصيرهما غداً معلقاً على حكم سند في الموضوع لاذوا به متوسلين اليه ان يعفوا عنها او ينقذها من الموت ، فاشترط سند قبل النظر في الامر ارجاع مكتبة الكندي فاجيب الى هذا الطلب في الحال ، ثم دبر سند خطة ينقذ بها محمد واحمد من المصير المحتتم بعد ان ثبت لديه خطأهما ، وهي ان يخبر المتوكل بانه لم يقع أي خطأ في حفر النهر لأن الخطأ لا ينكشف الا بعد هبوط مستوى ماء نهر دجلة في الصيف ، ولما كان الموسم موسم فيضان فقدر المدة التي يسحب فيها النهر المياه من دجلة اربعة اشهر ، اما بعد ذلك فلا بد من ظهور الخطأ بانقطاع المياه عن النهر ، فاذا بقي المتوكل في قيد الحياة اوقع بثلاثتهم وان صدق

المنجمون بانه لم يدم الى هذا الحد افلتوا ثلاثتهم من العقاب . وهكذا فعل سند فأخبر المتوكل انه لم يكن هناك خطأ في حفر النهر بدليل جريان المياه فيه ، وكان ان قتل المتوكل بعد شهرين فهجرت المتوكلية ومعها النهر فنجوا من العقاب .
ولا نكون مباغين اذا قلنا ان فشل هذا المشروع قد أدى الى نتائج خطيرة بالنسبة الى مركز الامبراطورية العباسية في ذلك العهد ، ولعله كان من أقوى الاسباب التي حملت المنتصر على ترك مدينة المتوكلية بعد مقتل المتوكل والرجوع الى سامراء ، الامر الذي أدى اخيراً الى نقل العاصمة الى بغداد .

ونظراً لما لهذه الرواية من أهمية تاريخية فيما يختص بمصير (مشروع النهر الجعفري) ونتائج الخطيرة اذ تأينا ضرورة نقلها بكامل نصها ليتسنى للقاري ان يقف على تفاصيلها كما جاءت في النص الاصيل ، وهذه هي (قال ابو جعفر أحمد بن يوسف بن ابراهيم في كتاب حسن العقبي حدثني ابو كامل شجاع بن اسلم الحاسب قال كان محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر في أيام المتوكل يكيدان كل من ذكر بالتقدم في معرفة فاشخصا سند بن علي الى مدينة السلام وابعدها عن المتوكل ودبرا على الكندي حتى ضربه المتوكل ووجهها الى داره فاخذنا كتبه باسرها وافرداه في خزانة سميت الكندية ومكن هذاهما استهتار المتوكل بالآلات المتحركة (١) وتقدم اليهما في حفر النهر المعروف بالجعفري فاسند أمره الى أحمد بن كثير الفرغاني الذي عمل المقياس الجديد بمصر وكانت معرفته أوفى من توفيقه لانه ماتم له عمل قط فغلط في فوهة النهر المعروف بالجعفري وجعلها اخفض من سائر فصار ما يعمر الفوهة لا يعمر سائر النهر فدافع محمد وأحمد ابنا موسى في أمره واقتضاهما المتوكل

(١) الآلات المتحركة : هي الات رصد النجوم المعروفة بالاصطرلاب

فسمي بها اليه فيه فانفذ مستحجاً في احضار سند بن علي من مدينة السلام فوافي فلما
تحقق محمد وأحمد ابنا موسى ان سند بن علي قد شخص أيقنسا بالهلكة ويأسا من
الحياة فدعا المتوكل بسند وقال له ما ترك هذان الرديان شيئاً من سوء القول الا
وقد ذكرك عندي به وقد اتلفا جملة من مالي في هذا النهر فاخرج اليه حتى تتأمله
وتخبرني بالغلط فيه فاني قد آليت على نفسي ان كان الامر على ما وصفت لي اني
أصلبها على شاطئه وكل هذا بعين محمد وأحمد ابني موسى وسمعهما فخرج وهما معه
فقال محمد بن موسى لسند يا أبا الطيب ان قدرة الحر تذهب حفيظته (١) وقد
فرغنا اليك في انفسنا التي هي انفس اعلاقتنا (٢) وما ننكر انا أسأناً والاعتراف
يهدم الاعتراف فتخلصنا كيف شئت قال والله انكما لتعلمان ما بيني وبين الكندي
من العداوة والمباعدة ولكن الحق أولى ما أتبع أكان من الجميل ما أتيته اليه من
أخذ كتبه والله لا ذكرك كما بصالحه حتى تردا عليه كتبه فتقدم محمد بن موسى في حمل
الكتب اليه وأخذ خطه باستيفائها فوردت رقعة الكندي بتسلمها عن آخرها فقال
قد وجب لكما عليّ ذمام (٣) برد كتب هذا الرجل ولكما ذمام بالمعرفة التي ترعاها
في الخطأ في هذا النهر يستتر اربعة اشهر بزيادة دجلة وقد اجمع الحساب على ان
أمير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى وانا اخبره الساعة انه لم يقع منكما خطأ في هذا النهر
ابقاءاً عليّ أرواحكما فان صدق المنجمون أولتنا الثلاثة وان كذبوا وجازت مدته
حتى تنقص دجلة وتنضب أوقع بنا ثلاثاً فاشكر محمد وأحمد هذا القول منه

(١) الحفيظة : الغضب المكتوم في النفس

(٢) الاعلاق : الدخائر النفائس

(٣) الذمام : الدمة والحفي

واسترقها (١) به ودخل على المتوكل فقال له ما غلطا وزادت دجلة وجرى الماء في النهر فاستتر حاله وقتل المتوكل بعد شهرين وسلم محمد وأحمد بعد شدة الخوف مما توقعوا ﴿ (٢) .

نستخلص من الراوية هذه الأمور المهمة التالية : - ان النهر تم حفره وجرت المياه فيه لمدة شهرين وكان ذلك في موسم الفيضان قبيل مقتل المتوكل مباشرة . ولما كان قد وقع مقتل المتوكل في ٣ شوال ٢٤٧ هـ . فتكون مياه الفيضان قد جرت في النهر خلال شهرين شعبان ورمضان من سنة ٢٤٧ هـ . وهذا ولما كان قد بوشر بحفر النهر في شهر ذي الحجة من سنة ٢٤٥ . وجرت المياه فيه في أوائل شعبان من سنة ٢٤٧ هـ كما تقدم فتكون المدة التي استغرقها العمل على حفر النهر تسعة عشر شهراً .

(١) استرقه : استعبده وجعله رقيقاً كالرقيق

(٢) جاء النص نفسه في كتاب (عيون الانباء في طبقات الاطباء)

قناة المتوكل

قبل ان نتطرق الى قناة المتوكل قد يكون من المفيد ان نعرض صورة لنظام ري الكهاريز وهو النظام الذى أنقذه الاقدمون من آشوريين وكلدانيين وفرتيين وساسانيين ومن بعدهم العرب فطبقوه في منطقة ساءراء كما طبقوه في المناطق الشمالية .

والكهريز مجرى على شكل نفق تحت الارض لسحب المياه الجوفية التي تنبع من العيون هناك واسالتها الى الاراضي الزراعية سيجاً . والعادة ان تحفر آبار على مسافة معينة على طول النفق لرفع أتربة المجرى بواسطتها ، ثم تستعمل هذه الآبار كمنافذ هوائية الى النفق كما تستعمل أيضاً للنزول منها الى النفق اذا ما اقتضى نزحه أو تنظيفه من الترسبات والعوائق التي قد تحول دون جريان المياه فيه . وتغطي عادة هذه الآبار ببناء ذى باب عند فوهتها على الارض لمنع تسرب الأتربة الى المجرى الذى تحت الارض فتفتح الابواب للنزول الى المجرى عند اللزوم . وتختلف المسافات بين بئر واخرى حسب طبيعة الارض ، فهي تتراوح من خمسة امتار الى عشرة امتار وتمتد الى عشرين متراً فى بعض الاحيان . وتسير هذه الآبار في اتجاه واحد الى مسافة طويلة وهي تدل على اتجاه الكهريز وطوله .

ويطبق عادة هذا النظام في الاراضي الجبلية المتكونة من مواد متماسكة
كلاحجار المتصلبة والصخور المتمزجة مع المواد الصلبة حيث تحول هذه المواد المتصلبة
دون انسداد المجرى الجوفي (١) .

أما الاراضي الجبلية المتموجة التي ترتفع تارة وتنخفض طوراً ، فيسير المجرى
فيها على شكل نفق تحت الارض في الاقسام المرتفعة من الاراضي ثم يظهر على سطح
الارض على شكل جدول مكشوف في الاراضي المنخفضة .

والكهريز تسمية محلية ، ولعلها أعجمية ، اطلقت في العراق على المجرى الجوفي
مدار البحث اما العرب فقد اطلقوا عليه اسم (القناة) وأطلقوا على الآبار التي
على طول القناة (فقر) ومفردها (فقير) . وقد جاء في (المرصد) ان القناة وجمعها
القننا آبار ينحرف بعضها الى بعض حتى يظهر ماؤها على جميع الارض ، ويظهر ان
تسمية (قناة) فارسية الاصل حيث لا تزال هذه التسمية حتى الان مصطلح عليها
في ايران للدلالة على الكهريز .

ومن المعروف ان بلاد فارس تعد موطن هذا النوع من المجاري الجوفية الا
أننا نجد بان النظام نفسه متبع اليوم في سوريا ، وفي شرقي الاردن و عدن وقبرص
كما هو متبع في المناطق الشمالية من العراق ، على انه علينا ان نقول بان تاريخ تطبيق
هذا النظام يرجع الى اقدم اطوار المدينة الفارسية ، وان أعظم منظومة من هذه
المجاري الجوفية القديمة تقع في نواحي مدينة (يزد) الايرانية حيث يبلغ طول هذه
المنظومة ما يربو على مائة وعشرين كيلومتر ، ومما يلفت النظر ان هذا المجرى يقع

(١) ري سامراء ج ١ ص ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩

في بعض الاماكن على عمق يقرب من مائتين وأربعين متراً عن سطح الارض الطبيعية .

وعلى الرغم من محاولة الدعاة الايرانيين لنظام الري المكشوف ومساعدتهم لاتخاذ هذا النظام كأساس للتوسع الزراعي في المستقبل ، فان نظام المجاري الجوفية لا يزال هو النظام الرئيسي المعول عليه في الزراعة هناك في الوقت الحاضر ، وان معظم الاراضي الزراعية في ايران تروى اليوم بواسطة المجاري الجوفية (الكهاريز) . ومن جملة الاضرار التي يشير اليها دعاة نظام الري المكشوف هو ان نظام الري الجوفي ، أي نظام ري الكهاويز ، قديم لا يمكن معه تطبيق نظام الري الحديث والسيطرة على المياه التي تجري في الكهايز ، فهي تسيل دوما دون انقطاع وبذلك تحدث أضراراً جسيمة في الاوقات التي لا توجد فيها حاجة الى المياه ، فتولد المستنقعات والاهوار وتضعف خصوبة الارض بتراكم الاملاح فيها .

ويدلنا التاريخ على ان العرب كانوا قد برعوا في الاعمال الهندسية منذ أقدم الازمنة ، وهناك ما يدلنا على اهمهم ثبتوا في كتبهم القواعد الاساسية لعلم الري والمساحة . ومن جملة كتبهم عن هندسة الكهايز واستنباط المياه كتاب ﴿ انبساط المياه الخفية ﴾ تصنيف أبي بكر محمد حسن الحاسب الكرخي (٥٤٠٧ - ١٠١٦ م) الذي يبحث في الامور المتعلقة بهندسة الكهايز وبعلم المساحة والتسوية . ومن عجيب ما يلاحظه المرء في هذا الكتاب ان الاصول التي كانت متبعة في ذلك العهد لا تختلف بشيء عن الاصول المتبعة في أيامنا هذه الا بالوسائط والآلات التي انتجها التقدم العصري .

فالكتاب المتقدم ذكره يحتوي على معلومات قيمة عن كيفية حفر الكهايز

وصيانتها وسائر الامور المختصة بالهيدرولوجية (علم خصائص الماء) . ويلاحظ
القاريء في هذا الكتاب مصطلحات فنية غريبة أغلبها يرجع الى اصل فارسي .
وأهم ما نستدل به على اهتمام العرب بمشروعات الكهارجز واستنباط المياه
الجوفية ما كتبه مؤلف الكتاب في مقدمة كتابه قال : ﴿ است اعرف صناعة اعظم
فائدة واكثر منفعة من انباط المياه الخفية التي بها عمارة الارض وحياء اهلها والفائدة
العظيمة منها ﴾ .

ويختلف نظام الكهارجز الذي كان متبعاً في منطقة سامراء عن نظام الكهارجز
الاعتيادي الذي تقدم وصفه في كون المصدر الذي كانت كهارجز سامراء تستقي منه
المياه هو نهر دجلة وليس المياه الجوفية (العيون والينابيع) ، لذلك نجد أن
الكهارجز المذكورة أقرب الى الجداول منها الى الكهارجز . من حيث اختلاف
مناسيب المياه في النهر الذي يستمد منه الكهارجز ايراده المائي في مختلف المواسم ومن
حيث توافر الطمي والدهلة في موسم الفيضان .

وعلى هذا الاساس انشأ المتوكل قناته على شكل كهارجز بن ، احدها ، وهو
الكهارجز الاسفل ، يستعمل في موسم الفيضان عندما تكون المياه مرتفعة ومشحونة
بالطمي والاطيان الغرينية ، والآخر وهو الاعلى يستعمل في موسم الصبهود حين
يهبط منسوب المياه في النهر ، وللتخلص من المياه الزائدة في موسم الفيضان بغية
المحافظة على الكهارجز الشتوي من الانهدام من جهة ، والوقاية ضد اخطار الغرق من
الجهة الثانية ، انشأ مصارف خاصة لهذا الغرض ، فان القسم الاعلى من الكهارجز
الذي كان يمر بموازاة القاطول الاعلى الكسري كان يصرف المياه الزائدة في الضفة
اليسرى من القاطول المذكور ، فلما في القسم الجنوبي اي بعد ان يعبر الكهارجز

مجرى القاطول فان المياه الزائدة تصرف في الضفة اليسرى لنهر دجلة . وللتخلص من الاطيان والدهلة أنشأ المتوكل أحواضاً واسعة على نمط جدول كبير مكشوف بين مسافات معينة على طول الكهريز الشتوي بغية حصر ترسب الدهلة فيها حيث يسهل رفعها من القعر الى سطح الارض . وتعرف هذه الاحواض بالانكازية في علم الري باسم :

[SILT TRAPS]

أي صيادات الطمي ، أما في سامراء اليوم فيسمونها (دحاير) مفردها دحدورة أي الحفائر التي تنحدر اليها المياه ويمكن مشاهدة هذه الاحواض على طول القناة الشتوية وان الاتربة التي على اطرافها المتكونة من الحفريات الاصلية ومن تطهيرات الدهلة تؤلف تلوفاً عالية جداً مما يدل على كثرة الترسبات التي كانت ترفع منها بعد كل موسم من مواسم الفيضان .

يتضح مما تقدم ان الطريقة التي اتبعت في انشاء قناة المتوكل هي الطريقة المزدوجة حيث اتبعت الطريقتان - طريقة الري المكشوف وطريقة الري الخفي - في انجازها ، على ان ذلك لا ينفي كون القناة اشبه بالجدول المكشوفة منها بالكهريز الخفية على الرغم من انها اعتبرت من المنشآت الجوفية وسميت بالقناة .

وتوجد هناك قناة قديمة من نوع قناة المتوكل في منطقة سامراء ذاتها الا أنها تعود على ما نعتقد الى عهد قديم جداً ولعلها ترجع الى ما قبل عهد الفرس . وهذه كانت تتفرع من نهر دجلة ايضاً في نقطة تقع قرب (الفتحة) على بعد حوالي مائة كيلو متر من شمالي سامراء ، فتسير شرقي دجلة الى مسافة طويلة على شكل كهريز حتى اذا ما اجتازت الاراضي المرتفعة ووصلت الى امام مدينة

تكريت ظهرت على شكل جدول مكشوف مسافة قليلة ، ثم تعود فتجري على شكل
كهريز تحت الارض الى مسافة طويلة في تلك المنطقة حتى تنتهي الى الاراضي السهلة
المجاورة الى الملح في الحد الغربي من بحيرة الشارح . ويمكن تتبع آثار هذه القناة
الى مسافة طويلة على الرغم من انها تختفي في كثير من اقسامها وهذا ما يؤيد بانها
من أقدم الكهريز التي اُسِّتت في هذه المنطقة .

ولاشك في ان مشروع قناة المتوكل يعد من اعظم مشاريع الري ، التي
اُسِّتت على عهد العباسيين في منطقة سامراء ، ان لم يكن اعظمها . ويكفي ان
تشاهد سعة القناة وهي تمر في الاقسام التي تظهر به على سطح الارض على شكل
جدول مكشوف ليتسنى لنا ان نتصور جسامته هذا المشروع فان الجدول الذي يظهر
على سطح الارض شمالي (الدور) وهو جزء من الكهريز الشتوي لا يقل حجمه
عن حجم النهر وان نفسه ، كما ان المصرف الذي يصرف مياه الفيضان من القناة
الى دجلة قرب (سور أشناس) لا يقل حجماً عن حجم أي جدول واسع . أما
طول القناة التي تمتد به على شكلها المزدوج فبلغ حوالي خمسين كيلومتراً .

تبدأ قناة المتوكل على شكل كهريزين يتفرعان من الجانب الشرقي لنهر دجلة
في نقطة تقع على بعد نحو اربعين كيلومتراً من شمالي سامراء ، ويسير هذان
الكهريزان مسافة بضعة كيلومترات موازيين الى نهر دجلة ، ثم يظهر الكهريز الشتوي
على شكل جدول واسع مكشوف مسافة كيلو مترين تقريباً من (الدور) عاد فاخترني
واستمر في مجراه الى جانب الكهريز الصيفي ويخترق الكهريزان بعد ذلك
(ناحية الدور) ثم يسيران جنوباً بموازية ضفة القاطول الكسروي الشرقية جنوباً
حتى اذا ما بلغا مسافة نحو عشرين كيلومتراً من جنوبي (الدور) ظهرا على شكل

الارض على شكل جدولين مكشوفين ، فيسيران على هذا الشكل بضعة كيلومترات ثم ينعطفان الى الغرب فيتحدان عند الكيلومتر (٢٢) من القاطول الكسروي في نقطة تقع امام سور اشناس من الشرق ويعبران في المكان المعروف بـ (فكة مير) أو (المفك) من فوق القاطول على عبارة موحدة تنتهي الى حوض واسع على ضفة القاطول الغربية . وفي هذا الحوض شعبة تقاسيم مهمة تبدأ منها تفرعات كثيرة أهمها القناة الرئيسية التي توصل المياه الى سامراء ، وهذه تسير على شكل كهرزبن أيضاً حتي تنتهي الى سامراء ، ويتفرع من هذا الحوض ايضاً مصرف واسع يبلغ عرضه حوالي ٢٠ متراً يعرف باسم نهر (مير) فيصرف مياه القناة الزائدة الى دجلة في موسم الفيضان .

ويسير هذا المصرف باتجاه الغرب فيترك (سور اشناس) الى يمينه ثم ينتهي الى نهر دجلة . أما طول المصرف بين حوض التقسيم ودجلة ، فيبلغ حوالي ثلاثة كيلومترات بين صدره عند حوض التقسيم و (سور اشناس) . ويبلغ منسوب قعره في الصدر ، أي عند حوض التقسيم ، ٦٠ ر ٧١ متراً فوق سطح البحر ثم يهبط عند نهايته عند سور اشناس الى ٦٨ ر ٧٠ متراً . ويستدل من الآثار المتقدمة على انه كان صدر هذا المصرف ناظم تنظم بموجبه كمية المياه التي تصرف الى دجلة حسب مقتضي الظروف . ويظهر مما ورد في وصف البحثري أن المصرف المذكور كان يعرف بـ (الخنديق) .

والاعتقاد السائد أن مصرف (مير) هذا صدر من صدور النهران أي انه يتفرع من نهر دجلة ويصب في القاطول الكسروي ، في حين ان المناسيب تثبت المختصين بالرى بانه ينحدر من القاطول نحو دجلة بانحدار في ١ في ٣٠٠٠ كما يتضح من المناسيب

المذكورة ، ولعل السبب الذي أدى الى هذا الاستنتاج هو ان المصرف يبلغ من السعة في الحجم والارتفاع في الضفاف ما يضاهي بهما جدول النهر وان نفسه ، وفضلا عن ذلك أن صلة هذا المصرف بقناة المتوكل لم تخطر على البال .

والغريب ان الخرائط الانكليزية سمت هذا المصرف (نهر حلوة) وقد نقلت خرائطنا العربية هذه التسمية ايضاً ، في حين انه لا يوجد مثل هذا الاسم في كل هذه المنطقة . وتدل المستويات التي رصدت في هذا المكان على ان منسوب قعر مجرى القاطول الكسري في المكان الذي تعبر من فوقه عبارة القناة يبلغ ١٨ ر ٦٨ متراً فوق سطح البحر نستلخص من مناسيب قعر القناة في القسم الذي تظهر فيه على شكل جدولين مكشوفين قبل اجتيازها العبارة أن منسوب قعر العبارة التي كانت تعبر عليها القناة من فوق القاطول يبلغ حوالي ٥٠ ر ٧١ متراً ٧٢ متراً فوق سطح البحر ، أي أن منسوب قعر العبارة كان اعلى من منسوب قعر القاطول بحوالي ٥٠ ر ٣ الى ٤ أمتار .

أما القناة التي كانت تتفرع من الحوض وتتجه نحو سامراء فكانت تمون مسجد الملوية بالمياه كما انها كانت تمون حلبة السباق أو ساحة الفروسية في منطقة الخير بالمياة عن طريقة الخندق الذي يحيط بـ (تل العليق) وهو التل الاصطناعي المرتفع الواقع شمالي سامراء والذي كان يشرف على الحلبة ، وأخيراً كانت القناة تمون بركتي قصر الخليفة بالمياه ايضاً ولتحقيق هذه الاهداف شقت كهاريز فرعية من القناة الاصلية تتصل بكل من هذه الاماكن لا يصلح المياه اليها .

أما الكهريز الفرعي الذي ينتهي الى (تل العليق) فيتشعب من شرقي القناة الرئيسية في نقطة تقع على مسافة نحو ثلاثة كيلومتراً من جنوبي حوض التقسيم

ويتجه الى الجهة الجنوبية الشرقية حتى ينتهي الى الجهة الشمالية الغربية من الخندق الذي يحيط بـ (تل العليق) وهو التل الذي يقع في الجهة الشمالية من جامع الملوية ، والجهة الشمالية الشرقية من بيت الخليفة .

ويشاهد كهريز فرعي آخر يخرج من الخندق الذي يحيط بالتل من الجهة الجنوبية الغربية منه فيسير باتجاه الجنوب الغربي حتى ينتهي الى القناة الرئيسية . ويظهر ان هذا الكهريز كان يعيد المياه الزائدة التي تتجمع في الخندق الى القناة الرئيسية .

وكانت القناة الرئيسية التي تتجه نحو سامراء تمر من قرب (بيت الخليفة) من شرقيه فتمون بركتيه بالمياه . وتقع البركة الاولى في الجهة الشرقية الخلفية من (بيت الخليفة) في اتجاه محور الايوان الكبير على بعد نحو ستمائة متر منه . وقد سميت هذه البركة باسماء مختلفة منها (الزندان) و الهبية) أي الهاوية و (هاوية السباع) وهي تتألف من حفرة مربعة منقورة في الصخر يبلغ عمقها اكثر من عشرة امتار ، وطول ضلعها نحو واحد وعشرين متراً ، ويتوسط هذه الحفرة بركة كبيرة مستديرة تستمد مياهها من الكهريز الفرعي ، الذي يتشعب من القناة الرئيسية ، وعلى الارجح ان الحفرة كانت مسقفة فنظمت على شكل سرداب بغية منع دخول الشمس والهواء الحار اليها وقد نقرت في كل ضلع من اضلاع الحفرة الاربع ثلاثة أو اربعين نقشات على جدرانها نقوش جصية جميلة ، وكل هذه الاوابين تطل على البركة التي في وسط السرداب ، وكان المدخل الى السرداب مؤلفاً من درجين منتظمين متصلين بدھليز منتظم وكان يقع هذا المدخل في غرفة جميلة نقشت على جدرانها سلسلة جمال ، وكانت هذه الغرفة

جزء من الاواوين التي تحيط بالسرداب من جهاته الاربع .

وكيف كان فان الدكتور سوسة يميل الى الاعتقاد بان هذه البركة انشئت لتحقيق غايتين اولاهما تأمين حوض سباحة للخليفة والآخرى تأمين ملجأ صيفي يقضي فيه ساعات الحر في ايام الصيف المحرقة .

والظاهر ان المتوكل لم يكتف بهذا الخبأ الذي اقتصر استعماله على اوقات النهار فاعتزم انشاء بركة اخرى على شكل بركة ليلية مكشوفة يقضي فيها جلساته الغروبية والليلية . وقام بذلك فعلا فانشأ بركة أوسع وأعمق من بركة السباع المغطاة وذلك في الجهة الشمالية الغربية منها ، وهذه البركة المكشوفة منقورة في الصخر ايضاً وتقع في وسط حفرة مدورة يبلغ قطرها نحو مائة وخمسة عشر متراً ، اما قطر البركة فيبلغ نحو ثمانين متراً .

وكانت هذه الحفرة على ما يظهر من الآثار المتبقية محاطة بنايات كثيرة التقسيمات ، ويعتقد هر تسفلد ان البناية التي في الزاوية الشمالية الشرقية من الحفرة كانت الخزانة العامة . وكانت البركة تستمد مياهها من بركة السباع في كهريز يمتد بينهما ، وتشاهد بين البركتين بئر مربعة الشكل تتصل بالكهريز المذكور لعلها كانت منفذاً للدخول منه الى الكهريز لتنظيفه عند الحاجة أو للوقوف على مستوى المياه في الكهريز منها والارجح انها انشئت بقصد استقاء الماء منها لغرض الشرب أو لحاجات اخرى تتطلبها اعمال القصر . لأن شكلها المربع يجعلها تختلف عن المنافذ الاعتيادية التي على خطوط الكهريز . اما المياه الزائدة التي كان لابد من صرفها الى مكان واطي فكانت تصرف الى نهر دجلة في كهريز آخر يبدأ من حافة البركة

الاخيرة ويشتهي الى دجلة (١) .

والظاهر ان قناة المتوكل لم تقف عند حد قصر الخليفة لان آثارها تدل على انها كانت تسير نحو سامراء فتمون المسجد الجامع الكبير الذي يقع شرقيها ، ومن ثم تمتد بـكهريز بها المزدوجين الى (المطيرة) جنوبا ومنها الى جهة مجرى القائم الى مسافة غير قليلة بموازاة الضفة اليسرى من ذلك المجرى .

ولا تزال الكهاريز التي كانت تمر من مدينة سامراء عامرة معظمها يقع تحت بيوت سامراء الحالية ويستعمل أهالي سامراء بعض هذه الكهاريز لصرف مياه الامطار فيها او صرف بعض المياه القذرة في بعض المحلات .

ولعل القصد من تمديد القناة الاخير اىصال المياه الى حير الحيوانات الذي اعتمز المتوكل انشاءه بين القاطول الاعلى الكسروي ومجرى القائم ثم عدل عن ذلك بعد ان اتضح له امكان احياء نهر القادسية القديم الذي يتفرع من القاطول الاعلى الكسروي وايصال المياه الى هذه المنطقة سيعباً ، وهو النهر الذي قام باحيائه فعلا فسمي (نهر نيزك) وكان عدا قناة سامراء الذي تبدأ من حوض التقسيم عند فكة مرير وتنتهي في جنوبي سامراء نهران صغيران يتفرعان من نفس الحوض احدهما يسير غربا لمسافة حوالي كيلومترين في اتجاه (سور اشناس) وهو يلاصق الحافة اليمنى لمصرف مرير ، والثاني يسير شرقا على محاذاة الضفة اليمنى لمجرى القاطول الاعلى الكسروي وملاصق لها ثم ينتهي عند صدر نهر القادسية القديم الذي يتفرع من القاطول عند الكيلومتر (٣٠) منه . ويقع عند الكيلومتر (٥٥٠٠) من النهر الثاني قصر مرتفع يعرف موضعه اليوم باسم (الدكة) وقد بني هذا القصر

(١) ري سامراء ج ١ ص ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤

على حافة القاطول الكسروي اليمنى فيطل على القاطول من جهة ويشرف على
سامراء من الجهة الثانية . أما النهر الذي يقع القصر عليه فكان يمر من تحت القصر
في عقادة من البناء . وتوجد آثار قنطرة تين على النهر ، قنطرة شرقية وقنطرة غربية
يقع كل منها على مسافة خمسين متراً من القصر كما انه توجد بركة صغيرة أمام
القصر من الجنوب تعرف اليوم باسم (المكن) كانت ولاشك تستمد مياهها من
النهر نفسه .

وكان أمام هذا القصر ساحة واسعة محاطة بسور مستطيل لاتزال آثاره
ماثلة للعيان فيبلغ طول ضلعه الطويلة كيلومترين ونصف كيلومتر وطول ضلعه القصيرة
كيلومتر ونصف كيلومتر .

وفي النهر المذكور الذي ينتهي في القصر انحدار شديد فيبلغ انحداره من واحد
في الألف ، وقد دلت التحريات التي قام بها الدكتور سوسه ان منسوب قعره في آخر
الكيلومتر الاول منه يبلغ ٦٠ر٧١ متراً فوق سطح البحر ثم يهبط الى ٢٠ر٦٥ متراً عند
الكيلومتر الثامن منه .

البركة الجعفرية

من الاعمال الجليلة التي قام بها جعفر المتوكل (البركة) التي تقع امام قصر الخير الذي تقدم ذكره والبركة هذه تسمى (البركة الجعفرية) التي وصفها البحرى في قصيدته المشهورة التي يقول في مطلعها (يا من رأى البركة الحسناء) :
وتعد هذه القصيدة في وصف البركة الجعفرية من أشهر وأبلغ المنظوم في تاريخ الادب العربي حتى قيل انه سمع عبد الله بن المعتز يقول (لو لم يكن للبحر من الشعر الا قصيدته (١) السينية في وصف ايوان كسرى وقصيدته في وصف البركة لكان أشعر الناس في زمانه) وفيما يلي ما أنشده البحرى في صفة البركة قال : (٢)

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها	والآنسات اذا لاحت معانيها
بحسبها أمها في فضل رتبها	تعد واحدة والبحر ثانيها
ما بال دجلة كالغبرى تنافسها	في الحسن طوراً وأطواراً تباهاها
أمارأت كاليه الاسلام يكلاًها	من ان تعاب وباني المجد بينها
كان جن سليمان الذين ولوا	ابداعها فادقوا في معانيها

(١) مقدمة تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي ص ٩١ : المطبعة الفرنسية - ١٩٠٤

(٢) ري سامراء ج ٢ ص ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٣

فلو تمر بها بلقيس عن عرض
 تنصب فيها وفود الماء معجلة
 كأنما الفضة البيضاء سائلة
 اذا علتها الصبا أبدت لها حبكا
 فخاجب الشمس أحيانا يضحكها
 اذا النجوم تراءت في جوانبها
 لا يبلغ السمك المحصور غايتها
 يعمن فيها بأوساط مجنحة
 لهن صحن رحيب في اسافلها
 صور الى صورة الدلفين يؤنسها
 تغني بساكنها القصى برؤيتها
 كأنها حين لجت في تدفقها
 وزادها رتبة من بعد رتبها
 محفوفة برياض لا تزال ترى
 ودكتين كمثل الشعرتين غدت
 اذا مساعي أمير المؤمنين بدت
 للواصفين فلا وصف يدانيها

وقد وصف لنا البحرى أيضاً في مكان آخر من قصائده الدوايب التي
 كانت على البركة فيديرها النعام ، فقال وهو يشير الى الجدول الذي ينتهي عند البركة

واذا ما توسط البركة الحسناء القت عليه صبغ الرخام
 فتراه كأنه ماء بحر يخذع العين وهو ماء غمام

والدوايب ان يدرون ولا ناضح
بدع انشئت لأولي عباد الله
يمشي بهن غير النعام
بالركن والصف والمقام
وقد تطرق البحترى الى دكتي البركة والقصر الذي خلفها في قصيدة اخرى
يمدح بها المتوكل قال :

وأرى الدكتين بينهما أطراف روض كالوشي في الوانه
في ضروب من حسن نرجسه الغض ومن آسه ومن زعفرانه
ذاك قصر مبارك تقصر الاعين دون الرفيع من بنيانه
فيه نال الامام تكرمه الله وفضل العطاء من احسانه
نسأل الله ان يتم فينا حسن أيامه وطيب زمانه
نستلخص من وصف البحترى الحقائق المموسة التالية :

- ١ - ان البركة كانت تسمى (البركة الجعفرية) نسبة الى منشئها جعفر المتوكل وقد اطلق البحترى عليها اسم (البركة الحسنة) .
- ٢ - ان البركة كانت على مسافة قريبة من دجلة وكانت محفوفة بستاتين ورياض تتناجى فيها الطواويس على اغصان الاشجار التي كانت في الحديقة .
- ٣ - كان للبركة حوض راسع (صحن رحيب) في أسفلها وكان يطل على هذا الحوض بهو مرتفع .
- ٤ - ان تمثالا للدلفين (دابة بحرية) كان منصوبا على احد جوانبها والارجح انه كان أمام الصحن .
- ٥ - كانت في البركة دكتان محاطتان بالاشجار تقع الواحدة ازاء الاخرى كما كان هناك مغان (مقصورات) تطل على البركة .

٦ - كان على البركة دواليب تديرها النعام

٧ - كان في البركة أسماك (الارجح انها اسماك زينة ملونة) .

٨ - كان هناك نهر يسمى (نهر نيزك) يدخل البركة من وسطها فيغذيها بالمياه . والمياه كانت تجري فيها بسرعة متناهية كالخيل التي في حلبة السباق ، وكذلك يدل على انه كان مخرج للمياه يساعد على احداث هذا الجريان السريع واستمراره .

٩ - كان هناك قصر ملكي يطل على البركة .

وإذا تتبعنا تفاصيل تصميم البركة من آثارها المتبقية ، نجد انها تتكون من منخفض (١) اصطناعي مربع الشكل ، يبلغ طول كل من اضلاعه زهاء مائتى متر ، وعمقه عن مستوى الارض المجاورة ثلاثة أمتار على وجه التقريب . ويحد المنخفض من الغرب والشرق تلان اصطناعيان مرتفعان يمتدان على طول الضلعين الجانبيين بعرض يتراوح من ٣ الى ٥ امتار ، والظاهر ان أربعة هذين التلين حملت من حفريات البركة فتألف منها كتفان عاليان للمنخفض مما زاد في جمال منظر البركة وتنسيقها ويحد المنخفض من الجنوب القصر الذى تقدم وصفه . اما من جهة الشمال فيتوسطه نهر نيزك الذي ينحدر من الشمال وينتهى عنده بعد ان يحترق حديقه الحيوانات من وسطها وفي داخل البركة تقسيمات تتكون من احواض متناسقة تمتد على عرض البركة بصورة متوازية كانت على ضفافها الاشجار المظللة . كما نجد في داخل البركة ايضا دكات للجلوس تمتد على عرض البركة من الجانبين (الجانب الغربي والجانب الشرقي) عددها في الجانب الشرقي أربع وفي الجانب الغربي ست

(١) القول للدكتور احمد سوسة

وأخيراً الصحن الواسع في أسفل البركة الى الجنوب . ويشاهد في مدخل البركة من جهة الشمال نهر نيزك يتوسط البركة فيجري في وسطها والاحواض تنفرع من جانبيه حتى تنتهي الى الصحن الاسفل . كما تشاهد الدكتان المتقابلتان اللتان ذكرهما البحري فيبلغ عرضهما ٣٥ متراً وطول كل منهما تسعين متراً . ويشاهد ايضاً الصحن الواسع الذي في أسفل البركة . وهو الصحن الذي أشار اليه البحري متكوناً من حفرة عميقة يبلغ عرضها ٧٥ متراً وطولها مئة متر تقريباً . كما يشاهد البهو الذي ذكره البحري في أعالي الصحن من الجنوب وهو يقع أمام القصر بين البركة والقصر ، ويبلغ عرضه خمسين متراً وطوله ١٢٥ متراً على وجه التقريب ، وهناك ايضاً آثار المقصورات التي نوه عنها البحري وهي تقع على الحد الشمالي للبهو فتشرف على الصحن الاسفل للبركة ومن المهم ان نشير أخيراً الى التنظيمات الخاصة بصرف المياه من البركة ، وهي التنظيمات التي كانت تحقق جريان المياه بالسرعة التي نوه عنها البحري ، لأن مسيل المياه بمثل هذه السرعة لا يمكن ان يتم الا اذا توفر مخرج ذو انحدار كبير يصرف مياه البركة . وهذه التنظيمات كما نشاهد آثارها المتبقية ، تتكون من كهريزين يخرجان من قعر البركة من حدها الجنوبي فيسير أحدهما بموازية الجانب الغربي لساحة التل جنوبي القصر مخترقاً قطعة رجال حاشية القصر في تلك الجهة ثم ينصب في الضفة اليسرى من نهر القائم ، ويسير الثاني بموازية الجانب الشرقي لساحة التل مخترقاً القطيعة التي في ذلك الجانب ثم ينصب في نهر القائم ايضاً .

ويمكن تتبع المجرى الذي تحت الارض في الكهريز الاول لمسافة مائة متر تقريباً وذلك من جهة مصبه في نهر القائم حيث جرفت السيول بعض الأتربة من

فوقه فأنكشف معظمه في ذلك القسم وأخذت مياه السيول تجري فيه فتنصب في نهر القائم .

وإذا تمنع المرء في تقسيمات هذه البركة وتنسيقها ، وتصور في مخيلته موقعها الجميل في وسط تلك الحدائق والمستملات الأخرى كالدوايب التي يديرها النعام والاسماك الملونة في وسط مياه البركة والدكات ذات الأشجار المظلمة والطواويس تتناجى فوقها والحديقة الواسعة ذات الأشجار المتشابكة بحيواناتها الوحشية على مختلف أنواعها بعضها سجين في الأقفاص والبعض الآخر حر طليق ثم يتصور نهر نيزك وهو يتوسط هذه البقعة الجميلة المحاطة بسورها الطويل احاطة السوار بالمعصم ، تجلت له عظمة الفن الهندسي وانكشفت أمامه قابلية الانسان في تدليل الصعاب واتضح له ما يستطيع ان ينتجه المرء من اعمال الابداع والابكار في تحقيق التمنيات .

جامع أبي دلف

تعد بقايا (جامع أبي دلف) القائمة الى الجنوب من منطقة دار الخلافة في الحد الشمالي من الشارع الاعظم من ابرز الخرائب في منطقة المتوكلية ، على ان الآراء اختلفت في تعيين تاريخ انشاء هذا الجامع ، فهل كان تابعاً لمدينة المتوكلية فيكون قد أقامه المتوكل أو كان قد انشئ قبل عهد المتوكل .

أما الجامع فيشبه المسجد الجامع الكبير الذي بناه المتوكل في سامراء في أول طريق الخير شهاً كبيراً ، فهو مستطيل الشكل أيضاً طول ضلعه الكبرى (الممتدة من الجنوب الى الشمال) ٢١٦ متراً و ضلعه الصغرى (الممتدة من الشرق الى الغرب) ١٣٨ متراً فتكون مساحته السطحية زهاء (٣٠٠٠٠) متر مربع وفي وسط الجامع صحن مكشوف مستطيل أيضاً طول ضلعه الكبرى (١٥٦) متراً و ضلعه الصغرى (١٠٢) أمتار فتكون مساحته السطحية (١٦٠٠٠) متر مربع .

وتحيط بالصحن من جوانبه الاربعة اروقة ، وقد انشئت الى جانبه مثناة ملوية الشكل أيضاً ذات مرقاة خارجية يبلغ ارتفاعها عن مستوى التبليط حتى القمة المتهدمة نحو ١٩ متراً ، اما ارتفاعها قبل ترميمها فيبلغ نحو (٢٥) متراً .

(١) ري سامراء ج ٢ ص ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ .

ويبلغ عدد الاروقة في القسم القبلي سبعة عشر رواقاً في كل راق خمسة أقواس تتجه من الجنوب الى الشمال كما يبلغ عدد الاروقة في الضلع الشمالية المقابلة للقسم القبلي سبعة عشر رواقاً أيضاً يتألف كل رواق من ثلاث أقواس تمتد نحو الجنوب والشمال . ويبلغ عدد الاروقة في كل من الضلع الشرقية والضلع الغربية تسعة عشر رواقاً في كل رواق قوسان تمتد نحو الشرق والغرب .

ويبلغ عدد الابراج في جدران الجامع ٤٢ برجاً منها أربعة أبراج مستديرة تقع في الاركان الاربعة للجامع يبلغ قطر كل منها ٣٦٠ متراً . وفي الجدران ثمانية عشر باب تختلف سعة كل منها باختلاف الموقع من الحيطان ، فتبلغ سعة اكبرها ثلاثة أمتار وسعة أصغرها متراً واحداً ومن هذه الابواب ثلاثة في الضلع القبلي وثلاثة في الضلع الشمالية المقابلة للضلع القبلي وستة أبواب متناظرة في كل من الضلعين اللتين في الشرق والغرب .

ويحيط بالجامع سور خارجي يفصله عن جدران الجامع فضاء واسع في الشرق والشمال والغرب عرضة (١٠٨) أمتار أما في الجنوب فينخفض عرض الفضاء الى ٣٠ متراً تقريباً والسور مشيد باللبن ومكسو من وجية الداخل والخارج بكساء من الجص مخين ومدعم بابراج نصف دائرية مشيدة باللبن والآجر ومكسوة بالجص أيضاً ، أما مخن السور فيتراوح من ١٦٠ الى ١٨٠ متراً .

وقد دلت تحريات هرسفد في سنة ١٩١٤ - ١٩١٣ ان الضلع الكبرى تبلغ ٣٦٢ متراً والضلع الصغرى ٣٥٠ متراً فتكون بذلك مساحة المسجد والزيادات التي في خارجه تربي على خمسين دوماً عراقياً .

وقد تداعى معظم هذا السور واصبح بهيئة خطوط من كشبان الا

السور الشمالي الذي تقع أمامه المئذنة الملوية فانه لا يزال قائماً يصل علوه في بعض النقاط الى نحو سبعة امتار .

وتوجد داخل هذا السور بين جدران المسجد وبين السور آثار ابنية قديمة تدل على انه كانت حوالي المسجد ابنية للمدارس الدينية ولسكنى الطلبة الذين كانوا يسكنون هناك مثل الابنية التي شيدت في خارج مسجد سامراء بين السور الخارجي وجدران المسجد . وتشاهد آثار بناية واسعة مشيدة بالآجر واقعة خلف المحراب مباشرة يحتمل انها من جملة الابنية المخصصة للغرض المذكور .

وقد اختلف المؤرخون في تعيين تاريخ انشاء هذا الجامع ، غير انه من المعلوم ان المنطقة التي يقع فيها كانت خالية من البناء في زمن المعتصم . كما انه من المعلوم أيضاً ان الجامع يقع داخل مدينة المتوكلية في موضع متوسط بين ابنية دار الخلافة وقصور الخليفة من جهة وبين القطائع والدور من الجهة الاخرى ، وهو بذلك أقرب الى دار الخلافة منه الى انحاء المدينة فليس من المنطق اذن ان يكون قد أنشيء هذا الجامع في زمن غير زمن المتوكل لانه يكون جزء لا يتجزأ من مدينة المتوكلية الجديدة ، ولا شك انه انشيء ليحل محل جامع سامراء الكبير بعد ان تقرر نقل العاصمة الى المتوكلية . وكان ذلك امراً طبيعياً تدعو اليه الضرورة الماسة نظراً لبعده المسافة بين جامع سامراء الكبير ومدينة المتوكلية الجديدة البالغة حوالي ٢٥ كيلومتراً اذا ما قيست بين جامع سامراء واقصى الحدود الشمالية لمدينة المتوكلية حيث تقع دار الخلافة وقصور الخليفة .

والدليل على ان جامع أبي دلف شيد في نفس الوقت الذي شيدت فيه

مدينة المتوكلية ليحل محل جامع سامراء الكبيران هناك شارعاً واسعاً موازياً الشارع
الاعظم من الغرب يبدأ من الحدود الجنوبية لمدينة المتوكلية . وبعد ان يخترق
أبقيتها ينتهي الى الجامع المذكور . كما ان هناك ساحتين واسعتين الى الشمال والجنوب
من الجامع تنفرع منهما الشوارع الى الشرق والغرب والشمال والجنوب مما يدل على
ان الجامع كان جزءاً من تخطيط مدينة المتوكلية التي انشأها المتوكل .

ومما يؤيد ذلك أيضاً قول البلاذري ان المتوكل احدث المتوكلية (وجعلها
فيما بين الكرخ المعروف بفيروز وبين القساطول المعروف بكسرى فدخلت الدور
والقرية المعروفة بالماحوزة فيها ، وبنى بها مسجداً جامعاً) فيستدل من ذلك ان
مدينة المتوكلية كانت تشمل كل المنطقة التي على محاذة نهر دجلة بين الدور (دور
العرابي) من الجنوب وبين آخر حدود دار الخليفة من الشمال . ولما كان جامع
ابي دلف يتوسط هذه المنطقة فلا مجال لتغيير الرأي القائل بان جامع أبي دلف من
عمل المتوكل ، وهو نفس الجامع الذي يشير اليه البلاذري ، ولا سيما ان الدكتور
احمد سوسة لم يعثر أثناء تحرياته للابنية الواقعة داخل السور الذي يضم دار الخليفة
وقصور الخليفة على أي اثر للجامع أو مئذنة هناك (١).

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان الباحث لما وصف مدينة المتوكلية أشار
ضمنها الى وجود جامع فيها والى وجود منبر في الجامع اعتبره جديداً لانشاءه ، وان الاولياء
كانوا يلتقون في فناء ذلك المنبر أثناء صلاتهم ايام الجمع فقال وهو يصف المتوكلية :

وفسيحة الاكشاف ضاعف حسنها بر لها مفض وبجر مترع
قد سر فيها الاولياء إذ التقوا بفناء منبرها الجديد فجمعا

(١) ري سامراء ج ٢ ص ٦٠٥

ومما يؤيد ان الجامع المذكور هو جامع أبي دلف نفسه ان دائرة الآثار العراقية اهدت اثناء تنقيباتها في ابنية الجامع الى وجود محرابين هناك يقع احدهما على ظهر الآخر وعلى رأيها انه يحتمل ان الاول مشيد عند التأسيس وبعد اكمال تشييد الجامع وجدت ضرورة لتصغيره حيث انشيء منبر جديد يشغل جزء من المحراب الاول . ولعل ذلك هو السبب الذي حمل البحثري على أن يطلق على المنبر اسم (المنبر الجديد) باعتبار انه انشيء بعد مضي بعض الوقت على انشاء الجامع .



كرخ سامراء

لما بنى المعتصم مدينة سامراء قسمها الى احياء وقطائع أسكن في كل حي صنفاً من جيشه وعني بعزل الجيش ودواوين الحكومة عن الاهلين .
ويدل تخطيط المدينة على براعة فائقة في هندسة تخطيط المدن كما ان فيه كثيراً من الابتكار كما يتجلى ذلك في تنظيم الشوارع والمسكن وتنسيق الابنية العامة والاسواق والمتاجر والمساجد والارصفة وغيرها . وقد بلغ طول البناء الذي اقيم في زمن المعتصم زهاء اربعة فراسخ (١٩ كيلومتر) فرسخان من شمال مكان مدينة سامراء الحالية وفرسخان (١٠ كيلومترات) من جنوبه وقد مدت عدة شوارع عامة متوازية على طول هذه المسافة كما مدت دروب عدة عن يمين ويسار هذه الشوارع للاتصال بين شارع وآخر وأقيمت البنايات والدور والقطائع والاسواق والعارات بين الشوارع العامة . وعزل المعتصم قطائع الأتراك عن قطائع الناس جميعاً وجعلهم معتزلين عنهم ولا يجاورهم الا الفراغة ، واقطع اشناس واصحابه في آخر البناء من الشمال في الموضع المعروف بـ (الكرخ) أو (كرخ سامراء) ولا تزال آثار هذه القطيعة وبقايا ابنتها يمكن مشاهدتها على بعد حوالي عشرة كيلومترات من شمال مدينة سامراء الحالية حيث لا يزال سور فخم من اللبن يعلو نحو خمسة

امتار ويعرف به (سور اشناس) قائماً في ذلك المكان ويضم آكاما يستدل من تناسب مظهرها أنها بقايا قصر كان قد انشيء ضمن السور . وقد ذكر ياقوت في معجمه ان الموضع (كان يقال له كرخ فيروز بن بلاش بن قباد الملك وهو اقدم من سامراء فلما بنيت سامراء اتصل بها وهو الى الان باق عامر وخرت سامراء كان الاتراك الشبلية ينزلونه في أيام المعتصم وبه قصر اشناس مولى المعتصم وهو موضع مدينة قديمة على ارتفاع من الارض ، وزعم بعضهم انه كرخ باجدا ومنه الشيخ معروف بن الغيرزان الكرخي الزاهد) .

ويلى هذا السور سور يمانله يقع في الجهة الشمالية الغربية منه يعرف باسم (سور الشيخ ولي) وفي داخل هذا السور بقايا بعض البناء وتسمى البقعة التي يقوم فيها السور باسم (الزنكور) وكلمة زنكور فارسية معناها (مقام النساء) فاذا جاز لنا ان نبني على هذا المعنى رأياً حول هذا المكان القول انه كان يشتمل على الابنية لعوائل القواد والجيش .



الدور

الدور . جمع دارة . والدارة . المحل والقبيلة ، وكل أرض واسعة بين جبال والدار الحد الشمالي لمدينة سامراء العباسية ، وكان يعرف بـ (دور العرباني) أو (دور عربايا) مساكن العرب : لتمييزه عن مكان آخر يقع في نفس المنطقة ومعروفة باسم الدور أيضاً والأخير يقع على بعد عشرين كيلومتر تقريباً من دور العرباني شمالاً ، وقد ذكره المؤرخ الروماني اميانيس في اخبار تقهقر الجيش الروماني بعد مقتل جوليان بقيادة الانبراطور جوفيان الذي اعقبه واطلق على هذا المكان اسم (دورا) وهي من الالفاظ الآشورية البابلية التي تعني القلعة او الحصن ، وسماه ابن سرايون دور الحارت كما سماه ياقوت الحموي دور تكريت لتمييزه عن دور العرباني وقد اطلق ياقوت على مكان دور تكريت أيضاً اسم (الدور الاعلى) وذكر انه معروف بالخربة وهو اسفل قرية هاطري الواقعة جنوب تكريت ، غير ان ابن حوقل اعتبر ان هناك مكانين قرييين من بعضهما أولهما يسمى (دور العرباني) والثاني (دور الخرب) وذكر البلاذري (ان أمير المؤمنين المعتصم بالله انزل اشناس مولاة فيمن ضم اليه من القواد كرخ فيروز ، وانزل بعض قواده الدور المعروفة العرباني) وقد أشار المقدسي الى مكان آخر في سامراء باسم الدور أيضاً

سماه (الدور الجامعين) من مدن سامراء ولعل هذا المكان هو (دور العراباني) الذي في كرخ سامراء . وقد ذكر محب الدين ابن الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني في كتابه (شرح القاموس المسمى تاج العروس الجزء الثالث صفحة ٣١٧) هذا المكان باسم (دور سامراء) و (الدور العليا) و (دور عراباني) أما الخطيب البغدادي فقد ذكر هذا المكان في تاريخه باسم (دور عرابان) و (دور سرمن رأى) وقد أشار ياقوت الحموي الى مكان آخر (١) باسم (دور بني اوقر) وهو من مدن دجيل يقع على بعد خمسة فراسخ من بغداد وكان الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة بنى فيه جامعاً ومنارة . ويظهر من كتابات لي سترانج انه كان يظن بان دور العراباني ودور تكريت ودور الحارث كلها تشير الى مكان واحد وهو مدينة دور الشمالية التي زعم ان قبر الامام محمد الدور فيها . على حين ان دور العراباني تقع خلف قطعة اشناس وقد اطلق عليها اسم الدور في عهد المتوكل ايضاً .

ويظهر ان المنطقة التي تقع فيها الدور (دور العراباني) كانت منذ القديم مأهولة حيث ذكر ياقوت الحموي بان هناك ديراً يعرف باسم دير الطواويس وجد في هذه المنطقة في زمن الفرس ، وقد كان قبل ذلك منظره لذي القرنين أو للاكاسرة وقد تقدم ذكر هذا الدير في باب الديارات في سامراء .

حلبات السباق

في الربع الاول من القرن الثالث للهجرة بلغت العناية باقامة وانشاء الحلاب وميادين الفروسية وساحات لعبة الصوالج (الصولجان) عناية فائقة ، فوصلت أوج مسجدها وعزها على أيدي الخليفين العباسيين المعتصم وابنه المتوكل بسر من رأى (سامراء) (١) حيث نرى سوح الفروسية وحلبات السباق بسامراء بلغ عددها حدا لم تبلغه أية مدينة أو حاضرة من الحواضر الاسلامية في جميع أرجاء الامبراطورية العباسية المترامية الاطراف هذا مضاف الى السوح والميادين في القصور الخاصة او في ميادينها ، فقد ذكر ان الخلفاء كانوا يلعبون بالصوالجة في ميادين خاصة بهم .

ويحكى انه في سنة ٢٦٣ هـ دخل الوزير ابو الحسن عبد الله بن يحيى بن خاقان ميدانا في داره يوم الجمعة لضرب الصوالجة فركب ولعب فصدمه خادمه وسقط عن دابته ميتا ، وكان اللاعبون يدخلون الحمام الساخن وبدلكون (٢) .

(١) الاستاذ سالم الالوسي مجلة الاقلام ج ٣ السنة الاولى ص ١٠٥ - ١١٤ . سنة ١٩٦٣

(٢) آدم مئز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٥٦

وقد حذت حذو سامراء الكثير من المدن الاسلامية ومن اشهرها ميدان ابن طولون وميدان بيمرس بمصر وميادين الحكم في الاندلس ، فقد ذكر المقرئزي في خطه أن احمد بن طولون قد بنى قصرأ ووسعه وحسنه وجعل له ميداناً كبيراً يضرب فيه بالصوالمجة فسمي القصر كله بالميدان (١) ولا غرابة في ذلك اذا ما عرفنا ان احمد بن طولون قد نشأ (٢) وترعرع في سامراء وتأثر باحوالها والنظم التي سادت فيها فبهرتة عظمتها فحاول عندما تولى مصر (٢٥٤ - ٢٧٠ هـ) اقتباس الكثير من المظاهر الحضارية وادخال فنون الرياضة التي كانت شائعة في سامراء في مصر ، من ذلك بناؤه الجامع الطولوني بمأذنته الملوية على غرار المسجد الجامع ومأذنته الملوية بسامراء ، وأنشأ ابنه خماروية حلبة للسباق وكانت هذه الحلبة تقوم مقام الاعياد (٣) وكذلك فعل الاخشيديون . حيث ذكر انه في عام ٣٢٤ هـ شرع الاخشيد في اجراء حلبة السباق على رسم ابن طولون (٤) .

اما ساحات الفروسية (الخلائب) في سامراء فلم يكن يعرف تفاصيلها ومواقعها بسامراء الشيء الكثير الى ما قبل الحرب العالمية الاولى بالرغم من قيام بعثة المانية برئاسة الاستاذ الدكتور أرنت هرتسفلد عام ١٩١١ وقد سبقه المهندس الفرنسي هنري فيوله في التنقيب بدار الخليفة بسامراء في صيف عام ١٩١٠ وكان السبب

(١) خطط المقرئزي : ج ١ ص ٣٠٣ وما بعدها

(٢) كان ابوه طولون قائد حرس المعتصم وقد نشأ احمد نشأة عسكرية قاسية وخدم في طوروس على حدود البرنطية فاعجب فيه الخليفة المستعين (٢٤٨ - ٢٥١ هـ) وعظمت منزلته عنده فولى مصر فأسس الدولة الطولونية .

(٣) آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٥٣

(٤) نفس المصدر ص ٢٥٣

في ذلك هو كثرة التلول والآكام القممة هنا وهناك حيث يصعب على من يجول بينها ان يكون فكرة واضحة عن اشكلها واتجاهاتها .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى في عام ١٩١٨ شرعت السلطة المحتلة بعملية مسح عام واستخدموا كافة الوسائل لتحقيق هذا الأمر . وقد ساعدت الصور الجوية على تدليل كثير من الصعوبات في سامراء وخرائبها واطلالها فرسموا الخرائط الخططية (الطوبوغرافية) الدقيقة ، وأظهرت الصور الجوية الملتقطة للمنطقة الواقعة شمالي المسجد الجامع والمحصورة بينه وبين تل العليق (تل الخالي) وبيت الخليفة أشكالا هندسية كان من بينها شكل فريد غريب في نوعه وهو يتكون من حيث الاساس من اجماع أربع دوائر أو حلقات كبيرة حول مربع مركزي ، وقد اخطأ الكثير باعتبارهم ذلك الشكل الهندسي الغريب حديقة فسيحة الارعاء غير ان التنقيبات العلمية التي قامت بها مديرية الآثار العامة على عهد مديرها الاستاذ ساطع الحصري عدة سنوات (١٩٣٦ - ١٩٤٠) أثبتت خطأ هذا الظن واوضحت الكثير من الغموض الذي يكشف هذا الشكل حيث يوجد هناك عدة حلقات نذكرها هنا بصورة مفصلة .

١ - الحلبة الاولى (حلبة القصر)

وهي أصغر الحلقات في سامراء وتقع في آخر دار الخليفة وهو القصر المعروف في المصادر التاريخية بدار العامة ، في الجهة الشرقية منه ، خلف الحفرة المعروفة بهواية السباع أو السرداب ولهذا يمكننا أن نطلق عليها اسم (حلبة القصر) والحلبة هذه على هيئة مستطيل يمتد من الشمال الى الجنوب بطول (٥٣٠) خمسمائة وثلاثين متراً وعرض (٦٥) خمسة وستين متراً ومن يلق نظرة على مخطط القصر الذي

شمال



تل العليق

الحلبة الثالثة

الحلبة الاولى

حلبة القصر

بيت الخليفة

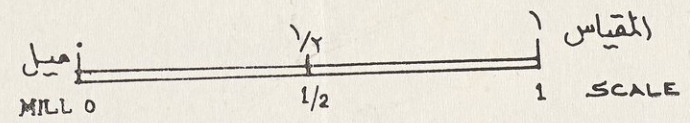
بركة السباع

الحلبة الثانية

آثار بناية

الحاوي

حُلبات الفروسيّة في سائر



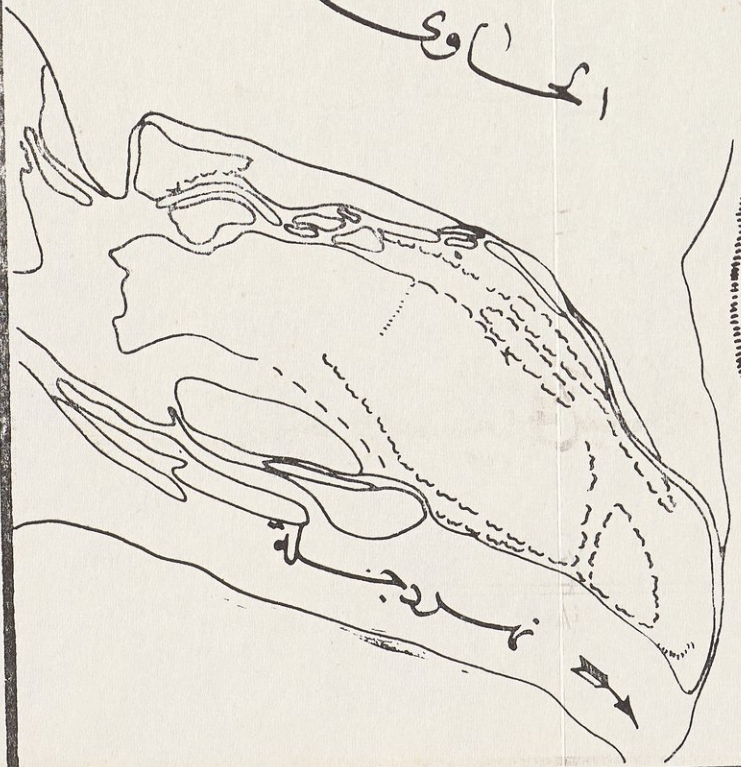
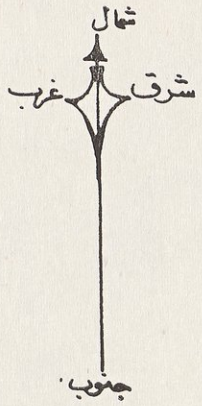
الحلبة الرابعة

موسى

الموتى

جامع الجمعة

نهر دجلة



خبر

رسمه هنري فيوله عام ١٩٠٩ وهر تسفلد من بعده ، يلاحظ ان هذه الساحة لا تقطع محور القصر (دار الخليفة) بصورة عمودية بل تنحرف عن اتجاه العمود بعض الانحراف ، وهناك دلائل ترجح كون هذه الساحة المسورة حلبة للسباق ، منها بقايا البناية المرتفعة الواقعة في منتصف القسم الخلفي من سور هذه الساحة . ويظهر ان هذه البناية أو الدكة كانت معدة للتفرج بالنظر الى الالعب ، مثل لعبة الصولجان والمسابقات الاخرى التي كانت تجري داخل حلبة القصر . وتطل هذه البناية كذلك على الحلبة الثانية التي تمتد خلف القصر من جهة أخرى (١)

٢ - الحلبة الثانية :

وتقع في النهاية الشرقية لدار الخليفة وتتكون من حلقة مستطيلة على هيئة مقطع الكثرة وتمتد طولاً الى مسافة ٥٥ خمسة كيلومترات ونصف لكل من جانبيها وتنتهي بالقرب من الضفة اليمنى لنهر القاطول (٢) وعلى هذا تقدر الدورة الكاملة بـ «١١» احد عشر كيلومتراً . يبدأ داخل الحلبة ضيقاً من عند القصر غرباً ثم تأخذ بالتوسع بالتدرج على طول الحلقة حتى تبلغ أقصى سعتها في الطرف الثاني شرقاً .

٣ - الحلبة الثالثة

وتبتدي هذه عند تل العليق الواقع الى الشمال الشرقي من الملوية ، وشكلها على هيئة مثلث متساوي الساقين رأسه في تل العليق وقاعدته منحنية . وهذه

(١) سامراء نشرة دائرة الآثار المطبوعة سنة ١٩٤٠ ص ٥٩

(٢) ري سامراء ج ١ ص ١١٧

الحلبة تمتد باتجاه الجنوب مخترفة في امتدادها نحو الطرف الغربي للحلبة الثانية حتى تنتهي أمام المسجد الجامع والملوية من جهة الشرق ، ولم يبق من معالم هذه الحلبة الثالثة الا الجانب الشرقي منها الممتد الى مسافة تقدر باكثر من (٥) خمسة كيلومترات تقريباً ، الى شرقي الملوية والمسجد الجامع . أما الجانب الغربي فقد اندثرت معالمه وتلاشت من جراء انشاء حلبة سباق جديدة (الحلبة الرابعة) في هذا المكان وبقيامها توجي الينا انها كانت بالغة الطول ، وبعد تل العليق يعرف عند اهالي سامراء (بتل العليج) الذي يبلغ ارتفاعه عن مستوى السهل المحيط به (٢٥) خمسة وعشرين متراً ، المكان الذي كان الخليفة العباسي يجلس فوقه مع حاشيته للتفرج بالنظر الى السباقات .

٤ - الحلبة الرابعة

وتقع في السهل الفسيح الممتد شمالي المسجد الجامع والملوية . وقد صممت هذه الحلبة على شكل هندسي مبتكر بديع يعد انجازاً هندسياً رائعاً فريدآ في بابه يستحق كل تقدير و اعجاب .

يتكون شكل الحلبة الرابعة من حيث الاساس من اجماع اربعة اطواق او اربع حلقات (دوائر) متماسة ، حول مربع كبير مركزي . وكل حلقة من هذه الحلقات الاربعة تتألف من طوقين متوازيين يدوران بهذا الشكل الجميل تاركين بينهما مسافة (٨٠) ثمانين متراً . وهذه الاطواق تلتوي حول المربع المركزي اربع مرات (مرة واحدة في كل دائرة) دون ان تنقطع من اي محل . والمربع المركزي للبحوث عنه يكون دكة أو مصطبة تظهر عليها آثار بناية من الآجر قد تكون المكان المعد لجلوس الخليفة وتفرجه مع وزرائه .

ان طول الدورة الكاملة في هذه الدوائر الاربع المتتالية يزيد على (٥) خمسة كيلومترات في حين ان البعد الأعظم عن الدكة المركزية على طول هذه الدورة لا يقل عن «٦٠٠» ستمائة متر ، فيستطيع المتسابقون ان يقطعوا هذه المسافة البالغة خمسة كيلومترات او اضعافها دون ان يتباعدوا عن أعين الخليفة اكثر من «٦٠٠» ستمائة متر في اكثر الاحوال .

وكانت هذه الساحة مراكز للمظاهرات تجتمع فيها الجموع والمواكب في الثورات المحلية كما كانت تقام فيها المناورات العسكرية وما اشبهها ، وكثيراً ما كان يعسكر فيها الجنود في مثل هذه الحالات . ففي عهد الفتن التي وقعت في عهد الخليفة المهتدي . عسكر المهتدي مع جنوده في هذه الساحة وقد أورد الطبري خبر ذلك حيث قال ﴿ ان المهتدي بعد ان خرج من الجوسق عسكر في ساحة الخير بالقرب من موقع الحلبة وأمر أن تخرج الخيام والمضارب في الخير ﴾

٥ - الحلبة الخامسة :

وتقع هذه الحلبة في الشمال الشرقي من المدينة المتوكلية الواقعة على بعد «٢٠» عشرين كيلومتراً من شمال مدينة سامراء الحديثة . وكان الخليفة العباسي المتوكل على الله قد ابتداء بعمرها سنة ٢٤٥ هـ واتمها بنهاية سنة ٢٤٦ هـ أي في مدة تقل عن العامين . وقد دفن فيها بعد مقتله عام ٢٤٧ هـ .

وقد شق المتوكل النهر الجعفري لاسقاء مدينة المتوكلية ومن هذا النهر شق قناة أو نهراً تسمى بقاياها الآن نهر (الحديد) تصغير الحد يسير بصورة مستقيمة باتجاه الجنوب الشرقي لمسافة ٢١ كم ثم ينعطف بزاوية قائمة باتجاه الجنوب الغربي لمسافة «١٠» كيلومترات ليتهيء الى الضفة اليسرى من نهر القاطول الكسرى

فيكون مثلثاً قائم الزاوية شرق النهر الجعفري تبلغ مساحته زهاء مائة كيلومتر مربع «٤٠٠٠» مشاركة . ولا شك أن وراء تهئية هذه الساحة واحاطة مياه نهر الحديد بها من جهتين والنهر الجعفري من جهة الثالثة مشروع جسيم كان المتوكل ينوي انشاء حلبة للسباق فيها على ان يكون تل البنات - الواقع على مسافة أقل من كيلومترين من ناحية الدور الحالية - الموقع المرتفع الذي يشرف منه عليها «١» ومن الملاحظ ان تل البنات يقع بازاء الزاوية القائمة لمثلت المساحة تماماً وذلك مما يدل على أنه انشئ للتفرج بالنظر الى ساحة السباق التي كانت النية متجهة الى جعلها على شكل مثلث أو مربع وأبعد مسافة على عرض الساحة التي بين النهر الجعفري ونهر الحديد زهاء «١٦» احد عشر كيلومتراً . وبما يؤيد ذلك العثور على بقايا أبنية فوق تل البنات كما هو الحال في تل العليق ربما كانت مقصورة معدة لجلوس الخليفة وحاشيته .

ويظهر ان المتوكل كان ينوي نقل حلبة السباق التي كان أنشأها في سامراء الى هذا المكان أي الى الساحة الواسعة التي تمتد شرقي النهر الجعفري وذلك بعد اتمام النهر الا ان الظروف لم تسمح له بتنفيذ ذلك «٢» .

ويعد ما أنشده الباحث في وصف الحلبة من ارق شعره فقال وهو

يمدح المتوكل :

ياحسن مبدى الخيل في بكورها	تلوح كالانجم في ديجورها
كأنما أبدع في تشهيرها	مصور حسن من تصويرها

(١) ري سامراء ج ١ ص ١٢٠ - ١٢٣

تحمل غرباناً على ظهورها في البيرق المنقوش من حريها
 إن حاذر النبوة من نفوذها أهووا بأيديهم الى نحورها
 كأنها والحبل في صدورها أجادل تنهض في سيورها
 مرت تباري الريح في مرورها والشمس قد غاب ضياء نورها
 في الزهج الساطع من تنويرها حتى اذا أصغت الى مديرها
 وانقلبت تهبط في حدودها تصوب الطير الى وكورها
 صار الرجال شرفاً لسورها اعطى فضل السبق من جمهورها

ولمحمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان (١) قصيدة عامرة يصف

بها الحلبة وسباق الخيل ، يقول في بعض ابياتها

شهدنا الرهان غداة الرهان بمجموعة ضمها الموسم
 نقود اليها مقاد الجميع ونحن بصنعتها أقوم
 وربك بالسق عن ساعة من الناس كلهم أعلم
 ومن لا يعد للحلاب الجياد وشيك لعمرك ما يندم

ومن الممكن اعتداد المعدل لطول دورة السباق « المسافة » التي تقطعها

الخيول في هذه الحلبات « عدا الاولى » كان ما بين « ١٠ - ١١ » كيلومتر .
 فطول الدورة في كل من الحلبتين الثانية والثالثة « ١١ » كيلومتراً ، أما في الحلبة
 الرابعة « ذات الاطواق الاربعة » فالظاهر أن الخيول تقطعها مرتين لاتمام الدورة
 « في كل مرة أكثر من « ٥ » كيلومترات .

أما الحلبة الخامسة « المقترحة » في المتوكلية فان طول الساحة يبلغ « ١١ » كيلومتر

وقد وقع الكثير من علماء الآثار بخطأ وذلك باعتبارهم الحلقة الرابعة « ذات الاطواق الاربعة » بشكلها ومساحتها آثار حديقة زينة فسيحة الارزاء وقد استبعدت دائرة الآثار ذلك بنشرتها عن « سامراء سنة ١٩٤٠ ص ٦٣ » وجود الماء كشرط لاعتدادها ساحة فروسية . ﴿ ٠٠٠ ﴾ ولا يوجد داخل هذه الساحة أحوالها شيء يشبه قنوات المياه يسوغ فرضية حديقة الزينة ﴿ . بينما ثبت واقع الحال عكس ذلك اذ نرى أن وجود الماء وتوفره في حلبات السباق من أوجب الضرورات وأزماً للشرب ولأرواء الحيوانات والخيول ولرش الطريق الذي تسلكه الخيول المتسابقة وما تولده من غبار ٠٠

وأسوق فيما يلي من الأدلة التي تؤيد ما ذهبنا إليه :

أ - في الحلقة الأولى « حلبة القصر » :

يرجح ان تكون الحفرة أو الموضع المعروف بهواية السباع « الهيمية » بشكله ومساحته والغرف المتعددة المنحوتة في جوانبه ، مكاناً لا يواء الخيول قبل السباق وبعده وذلك بدلالة البركة الموجودة في وسط الحفرة وكذلك الغرف الجانبية . ولو ألقينا نظرة فاحصة على مخطط القصر الذي رسمه هر تسفلد نجد في الجدار الفاصل ما بين الحلقة الأولى وهواية السباع باباً واسعاً . والبركة كانت تمون بالماء

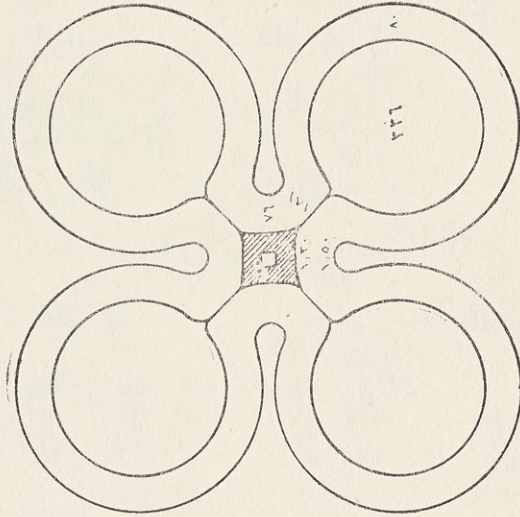
ب - الحلقة الثانية :

كانت تمون من قناة المتوكل التي أنشأها لإيصال الماء الى سامراء وكانت هذه القناة تبتدىء من شمال مدينة الدور ثم تسير بموازاة نهر دجلة الى مسافة تقدر باربعين كيلومتراً حتى تصل الى قلب العاصمة تاركة تل العليق الى يسارها ، وكان

هناك فرع خاص يتشعب من امام هذا التل فيفضي الى الخندق المحيط بالتل .

ج - الحلبة الثالثة :

وهي حلبة تل العليق التي امن وصول المياه اليها من دجلة وعلى وجه
التخصيص من قناة المتوكل في فرع خاص يفضي الى الخندق المحيط بالتل ، كما كان
فقير أي بئر كيضمة « كهريز » خاص يخرج من الخندق من جهته الجنوبية فينتجه
نحو القناة وكان هذا الفقير « الكهريز » يرجع المياه الى القناة بعد امتلاء الخندق « ١ »



ساحة الفروسية

(١) ري سامراء ج ١ ص ١١١ ، ١١٨ ، ١٤١

د - الحلبة الرابعة :

كانت تمون من قناة المتوكل المارة الذكر .

هـ - الحلبة الخامسة « حلبة تل البنات »

كان التل تحيط به المياه . ﴿ وعند وصول النهر الجعفري عند تل البنات ينقسم هذا الجدول في هذا المكان قسمين أفرعين ، الفرع الغربي يحيط بالتل من الغرب والفرع الشرقي يحيط به من جهة الشرق ثم يعود الجدول فيتوحد بالتقاء الفرعين وذلك مما يجعل التل يشبه شيء بالجزيرة « ١ » بل ان الحلبة يحيط بها من ثلاث جهات الماء كما مر وصفه . وفي الساحة الرابعة « ذات الاطواق » وهي بشكلها الهندسي المبتكر روعي فيها حل مشكلتين في آن واحد وهما اولا الاختصار من طول مسافة الحلبة الذي كان يتطلب مرتفعاً عالياً . وثانياً الاختصار في ارتفاع الدكة او المنصة التي يجلس فوقها الخليفة .

حير الوحوش للمتوكل

من أبنية المتوكل حير الوحوش وهو ما نسميه اليوم (حديقة الحيوانات) وتقع هذه الحديقة خارج مدينة (سرمن رأى) ومشملاها من جهة الشرق بين القاطول ، القاطول الكسروي ، وبين القاطول الاسفل (نهر القائم) وهي مسورة بسور من الطين يحيط بها من جميع أطرافها ، ويستدل من آثار هذا السور على ان الحديقة كانت مستطيلة الشكل تمتد ضلعها الجانبيتان باتجاه الشمال ، أما الضلعان الجانبيتين فيركنيتها بزاوية قائمة . اما الضلع الجنوبية فتنحرف قليلا باتجاه الجنوب الشرقي فتسير على محاذة نهر القاطول الاسفل (مجرى القائم) على مسافة (٦٥٠) متراً تقريباً من ضفته اليسرى ، وتتصل الضلع الاخيرة هذه بالقصر الذي بالمشرحات حيث يقع في منتصف هذه الضلع تماماً . (١)

ويبلغ طول الضلع الغربية للسور ستة كيلومترات ونصف كيلومتر تقريباً . وطول الضلع الشرقية حوالي تسعة كيلومترات ونصف كيلومتر . أما طول الضلعين الاخرين فان طول الضلع الشمالية ، التي تتصل بكل من الضلعين الجانبيتين بزواوية قائمة ، يبلغ زهاء ستة كيلومترات ونصف كيلومتر وطول الضلع الجنوبية المنحرفة

(١) ري سامراء ج ١ ص ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦

سبعة كيلومترات تقريباً وبذلك يبلغ مجموع طول محيط الحديقة حوالي ثلاثين كيلو
أما مساحتها فتبلغ حوالي ثلاث وخمسين كيلومتراً مربعاً ، أى واحد وعشرين ألف
دونم عراقي (مشاركة) تقريباً .

ويمكن تتبع آثار سور الحديقة على طول اضلاعه الاربع ، عدا بعض اقسامه
التي اخترقها المزارع الحديثة والآبار التي حفرت في تلك المنطقة ومكائن الضخ
التي نصبت هناك في السنوات الاخيرة ، أما زوايا السور الاربع فواضحة المعالم
جليلة الآثار ويسمى الاهلون الزاوية باسم (التابية) . وتتصل الضلع الغربية لسور
الحديقة بسور مدينة (سرمن رأى) الخارجي ، عند الركن الجنوبي الغربي لسور
الحديقة فيتكون بذلك مثلث قاعدته سور مدينة (سرمن رأى) الخارجي الذي
يمتد من الزاوية الجنوبية الغربية للحديقة الى قصر بركوارا) ومن ثم الى (جامع
الملوية) وهو على الارجح السور الذي اطلق عليه اليعقوبي اسم (حائر الحير) .
وضلعه الشرقية السور الغربي لحديقة الحيوانات . اما ضلعه الغربية فتتكون من
جامع الملوية حتى الركن الشمالي الغربي لسور الحديقة ، ويبلغ طول
الخط الاخير حوالي ستة كيلومترات ، وبضمن هذه المسافة تقع ساحة الحير التي
مر ذكرها فيما تقدم . اما طول السور الخارجي لمدينة (سرمن رأى) اي قاعدة
المثلث فيصلح حوالي أحد عشر كيلومتراً .

وقد أيد المؤرخون العرب وجود هذه الحديقة خارج مدينة (سرمن رأى)
خلف السور الخارجي للمدينة ، كما ايدوني رواياتهم وجود بقعة فسيحة من الارض
في شرقي المدينة بين الحديقة وحدود المدينة الخارجية ، وكانت تعرف هذه البقعة
باسم (ساحة الحير) نسبة الى حير الحيوانات الواقع شرقي المدينة .

ويظهر انه كلما توسع العمران الى جهة الشرق وامتد الى هذه البقعة ،
قلع السور الخارجي القديم وبنى سور آخر خلف العمران الجديد ، أما الحائط
الذي بني في زمن المعتصم فكان يسمى : (حائر الحير) وهذا على ما نعتقد تغير في
زمن المتوكل فامتد الى الشرق حتى صار في الحد الذي تمتد اليه آثار السور الخارجي
الحالي الذي يمتد من موقع الملوية متجهاً الى الجنوب الشرقي حتى يتصل بالركن
الجنوبي لسور حديقة الحيوانات ، وهو السور المعروف اليوم باسم (سور البطاوي)
وان اتصال هذا السور بالزاوية المغربية الجنوبية لسور حير الحيوانات أكبر دليل
على ان حير الحيوانات كان يؤلف جزءاً من منشآت المتوكل التي امتدت الى خارج
مدينة (سر من رأى) شرقاً .

وكانت الشوارع التي تقع على الحدود الشرقية من المدينة تسمى (شوارع
الحير) منها (شارع الحير الجديد) الذي فتحة المتوكل . وقد جاء ذكره اليعقوبي
ما يؤكد أنه كان للحديقة سور يحيط بها من كل اطرافها ، وأن الحديقة تقع في
ساحة واسعة خلف سور المدينة ، واليك ما كتبه في هذا الصدد قال :

﴿ وهذه الشوارع التي من الحير كلما اجتمعت الى اقطاعات لقوم هدم
الحائط الوحش من الضباء والحمير الوحش وايايل والارنب والنعام وعليها حائط
يدور في صحراء حسنة واسعة ﴾ ويلاحظ أن هرتسفلد قد اعتبر في خارطته التي
رسمها لمدينة سامراء وفيما كتبه عن سامراء أن حديقة الحيوانات موضوعه البحث
تقع في شمال جامع الملوية قرب تل العليق . وهذا لا يتفق ليس مع الآثار الحالية
التي أشرنا اليها حسب ، ولكنه لا يتفق مع ما دونه المؤرخون
في هذا الصدد ايضاً كما يتضح مما تقدم ذكره ، ويظهر من مجرى الحوادث انه كان

هناك حير في حدود مدينة (سرمن رأى) الخارجية على عهد المعتصم وهذا كان سبب تسمية أحد شوارع المدينة في ذلك العهد باسم (شارع الحير الاول) وقد أشار الى هذا الحير والى الخيل الذي فيه محمود بن الحسن الوراق ، وهو شاعر مشهور كانت وفاته في خلافة المعتصم في حدود سنة ٢٣٠ هـ قال (كنت جالساً بطرف الحير حير سرمن رأى ومعى جماعة لننظر الى الخيل فر بنا ابوتمام فجلس الينا) (١)

وكان في قصر الحير في سورية ، وهو القصر التاريخي المعروف ، حديقة حيوانات من نوع حير المتوكل للوحوش المبحوث عنه أعلاه ، ويبلغ طول هذه الحديقة حوالي تسعة كيلومترات وعرضها كيلومتر ، محصنة بسور من كل اطرافها على نحو ما هو عليه حير المتوكل ولعل القصر سمي بقصر الحير لوجود الحير الى جانب القصر .

وقد ظن بعض المؤرخين أن البقعة المسورة الى جانب قصر الحير المذكور كانت تشكل بحيرة اصطناعية تابعة للقصر الا أن المستر كريسويل [K . A . C . Creswell]

يؤيد بان المكان كان بدون شك حيراً للوحوش وانه كان قد انشأه الخليفة هشام ليتصيد فيه وقد انشيء السور لحصر الوحوش داخله .

ومما يدل على أن الساحة التي تقع فيها حديقة المتوكل للحيوانات كانت تسمى بالحير وانها كانت الى جانب القاطول ، وصف البحترى لحديقة الحيوانات في شعره ، فقد سماها بالحير أى بمعنى الحديقة او البستان ، فقال وهو يخاطب

(١) كتاب (أخبار أبي تمام) لابي بكر الصولي ص ١٤٧

المتوكل مشيراً الى حيوانات الحديقة

يرعن منك الى وجهه يرين له

جلالة يكثر التسبيح رائيها

حتى قطعت بها القاطول واقترفت

بالخير في عرصة فسح نواحيها

ومما يؤكد قول الباحثي أن حديقة حيوانات المتوكل هذه كانت تدعى بالخير انه جاء ذكر حديقة حيوانات في مدينة بغداد الشرقية باسم الخير أيضاً إذ ذكر ابن مسكويه في كتابه (تجارب الامم) ان بعض جنود المقتدر (٣٩٥ - ٣٠٠ هـ - ٩٠٨ - ٩٣٢ م) شق عصا الطاعة فنهب قصر الثريا وذبح الوحش الذي في الخير ، واليك ما كتبه في هذا الصدد قال :

﴿ وفي سنة ٣١٥ هـ . شغب الفرسان برسم التفاريق وخرجوا الى المصلي فنهبوا القصر المعروف بالثريا وذبحوا الوحش الذي في الخير وذبحوا البقر التي لأهل القرى التي حوله وخرج اليهم مونس وضمن لهم ارزاقهم فرجعوا الى منازلهم ﴾ وقد جاء ذكر هذا الخير ايضاً لمناسبة وصف الاماكن التي ادخل اليها رسل صاحب الروم قبل وصولهم الى حضرة الخليفة المقتدر بالله ، إذ ورد في (مقدمة تاريخ بغداد) للخطيب (ص ٥٣) انه بعد ان ادخل الرسل الى الدار المعروفة بخان الخليل التي فيها خمسمائة فرس (ادخلوا من هذه الى الممرات والدهاليز المتصلة بحير الوحش وكان في هذه الدار من اصناف الوحش التي اخرجت اليها من الخير قطعان تقرب من الناس وتشممهم وتأكل من ايديهم ثم اخرجوا الى دار فيها اربعة فيلة مزينة بالديباج والوشي على كل فيل ثمانية نفر من السنند والزرايين بالنار فهال الرسل امرها ثم اخرجوا الى دار فيها مائة سبع خمسون يمنة

وخمسون يسرة كل سبع منها في يد سباع وفي رؤوسها واعناقها السلاسل والحديد
ولعل الوحش الذي في هذا الحير هو من جملة الذي نقل من حير (سر
من رأى) الى حير بغداد ، وذلك بعد أن تم ارجاع مقر العاصمة الى مدينة
السلام في عهد المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ ٨٩٢ م - ٩٠٢ م) .

ويستفاد من اشعار البحري الكثيرة ان عدد الحيوانات ، التي كانت في
الحير الذي أنشأه المتوكل يقدر بالفي وحش ، وفي ذلك قال وهو
يخاطب المتوكل :

الفان وافت على قدر مسارعة الى قبول الذي حاولته فيها
كما يستدل من هذه الاشعار انه كان في الحير عدد من السباع ، ونحن ننقل
هنا بعض ما أنشده في وصف مبارزة الفتح ابن خاقان للاسد وهو في اجتهه ، وسط
الاشجار المشتبكة على نهر نيزك قال :

وقد جربوا بالأمس منك عزيمة	فصلت بها السيف الحسام المجربا
غداة لقيت الليث والليث محذر	يحدد نابا للقاء ومخلبا
يحصنه من نهر نيزك معقل	منيع تسامى روضه وتأشبا
يرود مغاراً بالظواهر مكشبا	ويحتل روضاً بالاباطح معشبا
يلعب فيه افحواناً مفضضاً	يبص وحوذانا على الماء مذهبا
اذا شاء غادى عانة او غدا على	عقائل سرب ان تنقص رربا
يجر الى اشباله كل شارق	عبيطاً مدعى او رميلاً مخضيا

ومما يؤيد وجود السباع في حير المتوكل ، ما ذكره المسعودي عن قتلها على

عهد المهدي (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ ٨٦٩ - ٨٧٠ م) وهذا نصه :

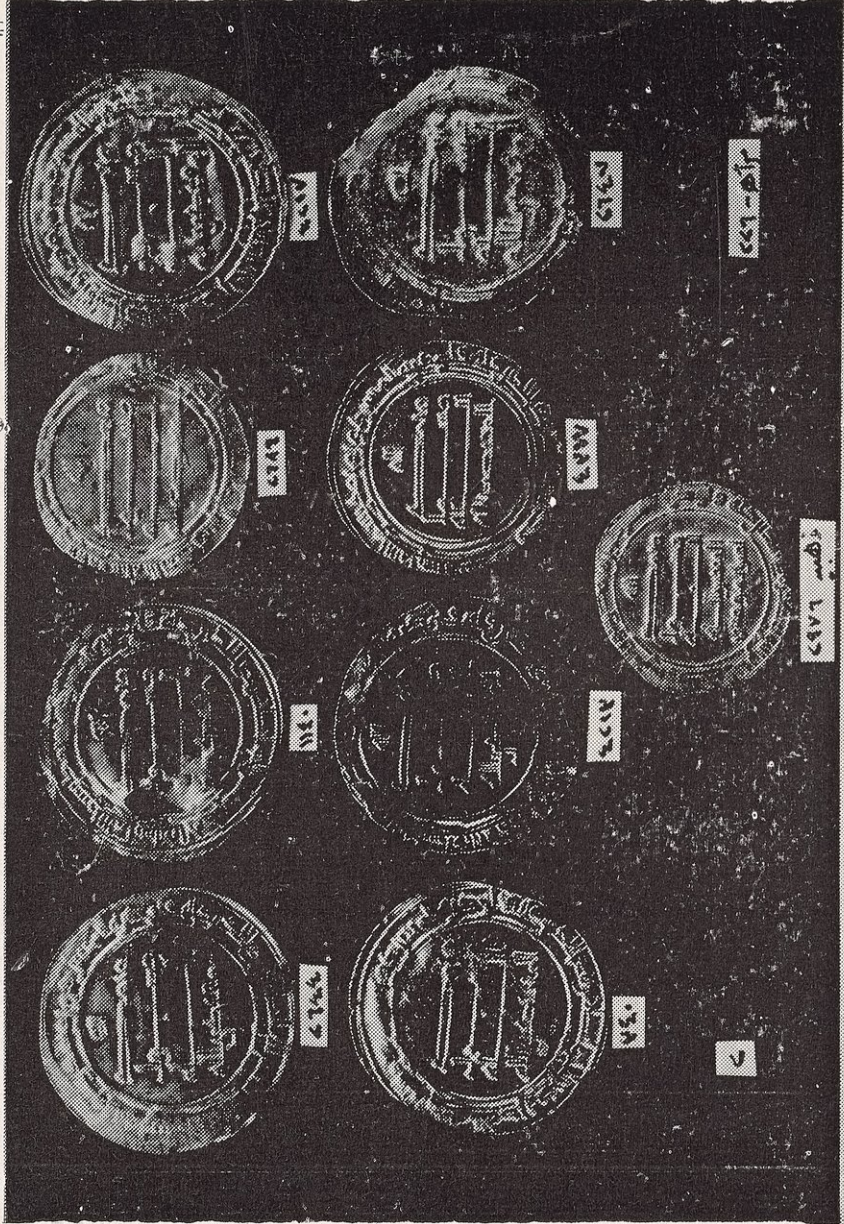
وقد كان المهتدي بالله ذهب في أمره الى القصد والدين فقرب العلماء
ورفع من منازل الفقهاء وعمهم ببره وكان يقول يابني هاشم دعوني حتى أسلك
مسلك عمر بن عبد العزيز فاكون عمر بن عبد العزيز في بني أمية وقلل في اللباس
والفرش وأمر باخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن فكسرت وضربت دنانير
ودرام وعمد الى الصور التي كانت في المجالس فحيت وذبح الكباش التي كان يناطح
بها بين أيدي الخلفاء والديوك وقتل السباع المحبوسة ورفع بسط الديباج وكل فرش
لم ترد الشريعة باباحته)

وأخيراً فاننا نكرر انشاد أبيات البحري ، التي يصف بها حديقة الحيوانات
ونهر نيزك وهو يخاطب المتوكل :

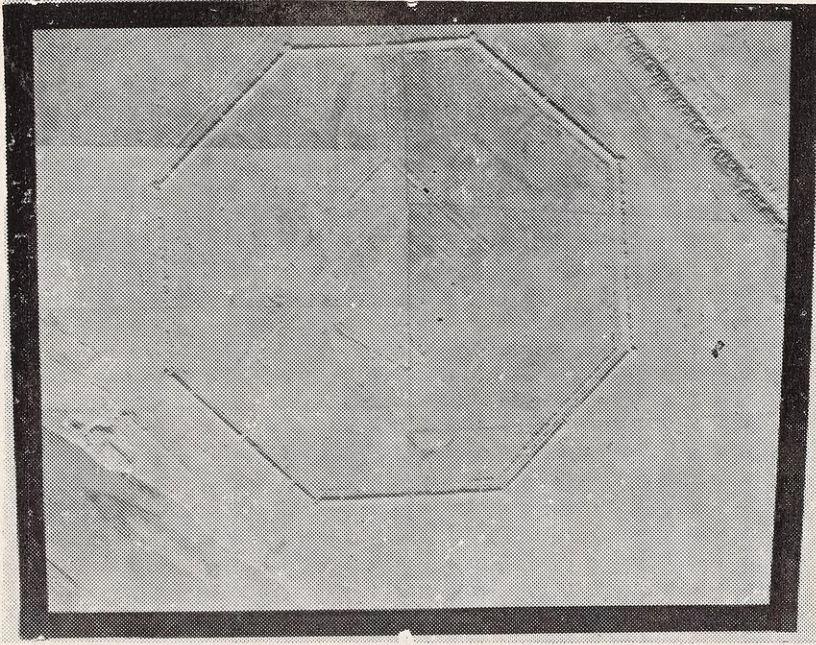
وطاعة الوحش اذا جاءتك من خرق	أحوى وأدمانه كحل ما آقيها
كالكعب الرود يخفي في ترائبها	ردع العبير ويبدو في تراقيها
ألفان وافت على قدر مسارعة	الى قبول الذي حاولته فيها
ان سرت سارت وان وقمتها وقفت	صوراً انيك بالحاظ تواليها
يرعن منك الى وجه يرين له	جلالة يكثر التسييح رائيها
حتى قطعت بها القاطول واقرقت	بالحير في عرصة فسح نواحيها
فنهر نيزك ورد من مواردها	وساحة التل مغنى من مغانيها
اولا الذي عرفته فيك يومئذ	لما اطاعك وسط البيد عاصيها
فضلان حزنهما دون الملوك ولم	تظهر بنيلها كبراً ولا تبيها

وقال البحري وهو يرثي المتوكل بعد مقتله : (١)

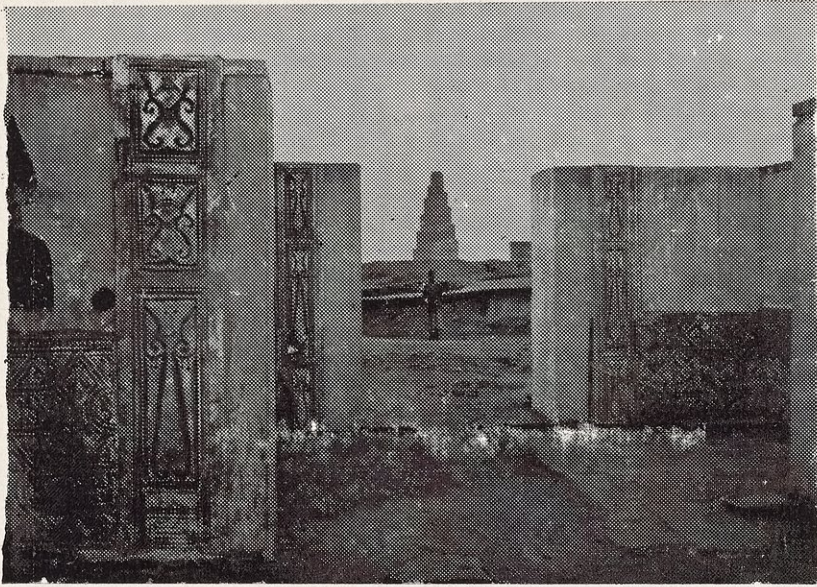
(١) ري ساءء ١ ص ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣



٢٠ - النقود الميسية في سامراء



٢١ - منظر جوي للقادسية



٢٢ - البيت العباسي في سامراء

محل على القاطول اخلق دائرة وعادت صروف الدهر جيشاً تغاوره
كأن الصبات في نذورا اذا انبرت تراوحه اذيا لها وتباكره
ورب زمان ناعم ثم عهده ترق حواشيه ويورق ناضره
ولم أنس وحش القصر اذ ريع سريه

واذ ذعرت أطلاؤه وجاذره
واذ صبح فيه الرحيل فهتكت على عجل استاره وستائه
ووحشته حتى كان لم يقيم به أنيس ولم تحسن لعين مناظره
كأن لم تبت فيه الخلافة طليقة بشاشتها والملك يشرق زاهره
ولم تجمع الدنيا اليه بهاءها وبهجتها والعيش غصن مكاسره

فنستخلص من كل ما تقدم ان الحير المذكور كان يضم عدداً كبيراً من
الحيوانات المفترسة والوحوش الضارية ، في الاقفاص وضمن الجدران الداخلية ،
وكان قسم آخر منها وهو القسم الاكبر طليقاً وسط الحير الواسع ، وكان مساحة
الحير من السعة بحيث يسهل معها الصيد والقنص .

وفي الحد الجنوبي من حير الوحوش او (حديقة الحيوانات) آثار قصر
واسع مستطيل الشكل يقع في منتصف الضلع الجنوبية لسور الحديقة من الداخل
وهو (قصر الحير) وقد تقدم الاشارة الى هذا القصر في باب القصور العباسية .
ويبلغ عرضه الذي يمتد مع السور ١٢٥ متراً وطوله الذي يمتد الى الشمال في داخل
السور ١٦٥ متراً أي بمساحة حوالي ٢٠.٠٠٠ متر مربع ، ولعل القصر المذكور
انشيء في حير الحيوانات عملاً بعادة الفرس القدماء الذين كانوا يجعلون حير
الوحوش متصلاً بالقصر الملكي .

وواجهة هذا القصر مقابلة للشمال ، فأمامها بهو مستطيل على شكل دكة
 بعرض خمسين متراً ، يشرف على بركة مربعة واسعة يبلغ طول اضلاعها مئتي متر
 تقريباً أي بمساحة حوالي أربعين ألف متر مربع ، وهذه هي البركة الجعفرية التي
 وصفها البحترى بدون أي شك . اما من الجنوب فيوجد خلف القصر ساحة
 كبيرة مستطيلة مسورة بسور من الطين واللبن فتمتد الى حد الضفة اليسرى للقطول
 الاسفل (نهر القائم) وتمتد هذه الساحة مسافة ٦٥٠ متراً في الطول نحو الجنوب
 حتى تتصل بالضفة اليسرى لنهر القائم ، أما عرضها باتجاه الضلع الجنوبية لسور
 الحديقة ، فيبلغ حوالي ٩٥٠ متراً وبذا تكون مساحتها حوالي ٦٢٠.٠٠٠ متر مربع
 وفي هذه الساحة الجميلة مصطبة اصطناعية تشرف على القطول الاسفل من جهة ،
 وعلى القصر وحديقة الحيوانات من جهة اخرى ، ولعل (ساحة التل) التي ذكرها
 البحترى في شعره هي نفس هذه الساحة وقد سماها (ساحة التل) نسبة للتل الذي
 يقع في وسطها . وتوجد على كل من جانبي هذه الساحة قطعة مستطيلة من الارض
 مسورة بسور من الطين أيضاً تمتد على طول الساحة الى مسافة ٦٥٠ متراً ، وأما
 جهة العرض فتسير موازية الضفة اليسرى لنهر القائم مسافة ١٢٥ متراً تقريباً ،
 وبذلك تبلغ مساحة كل من هاتين القطعتين حوالي ٨٠.٠٠٠ متر مربع . وفي
 هاتين القطعتين آثار أبنية منتشرة على طولها لعلها كانت من جملة الأبنية التي
 أعدت لرجال حاشية القصر وللقائمين باعمال حديقة الحيوانات وقد جاء ذكر القصر
 نفسه والحير والقطول في الايات التي نظمها الصولي وهو يمدح (سر من رأى)
 فأنشد قائلاً :

بسر من رأى بلاد الملك طاب لنا معرس عيشه باللهو منظوم

أرض متى اختلست الحاظها نظراً
والخير والقصر والقاطول جنتها
منازل آنت دهوراً فوحشها
عفت وغيرها وصل الرياح لها
اهتاج ذو طرب وارتاح مهموم
والجعفري بكف الدهر مزوموم
ظلم الزمان فمثوم ومهدوم
والوصل منها بجبل الهجر محتوم
وذكر البحترى القصر فيما أنشده عن دكتي البركة التي أمام القصر قال :
وأرى الدكتين بينهما اطواف روض كالوشي في الوانه

ذاك قصر مبارك تقصر الاعين دون الرفيع من بنيانه
ومما يدل على ان بناء الخير هو المكان الذي كان المتوكل يأوى اليه في
أنسه وطربه انه لما احضر اسحق الموصلي من بغداد الى سامراء ليغني في حضرته
قال ابو عبد الله وهو يعبر عن تأثير غناء اسحاق في نفوس الحاضرين ، مشيراً في
الوقت نفسه الى وجودهم في الخير ما نصه (فوالله ما بقي غلام من الغلمان الوقوف
على الخير الا وجدته يرقص طرباً وهو لا يعلم بما يفعل فامر له المتوكل بمائة الف
درهم) ويظهر ان القصر كان لا يزال موجوداً في أوائل القرن الرابع الهجري
حيث ذكره جحظة البرمكي في شعره الذي نظمته في حوالي سنة ٥٣٢٦ وقال في وصفه :

الأهل الى الغدران والشمس طالعة
وستشرق للعين تغدو ضياؤه
سبيل ونور الخير مجتمع الشمل
صوائد الباب الرجال بلا نبيل
به القصر بين القادسية والنخل
الى شاطيء القاطول بالجانب الذي

حصن القادسية

ان تسمية القادسية قديمة فبعضهم يرى انها مدينة \langle كارهاية \rangle (Carrhae) أو مدينة (اباميا) التي ذكرها بلينيوس (٧١ م) وقد ذكر كيمون (Gibbon) أنها المدينة الآشورية (قادسيا) (Cadesia) وعلى كل فان من المرجح ان تاريخ انشاء القادسية يرجع الى عهود قديمة ، ثم اصبحت ذات شأن بعد أن انشيء النهروان هناك بمدخله الصيفي والشتوي (مجري القأم والصنم) وقد توسعت بعد ان أنشأ الرشيد قصره فيها وشرع في انشاء مدينته هناك ثم نزول المعتصم فيها وانشائه بعض الابنية هناك قبل أن ينتهي الى مكان سر من رأى . ويغلب على الظن ان معمل الزجاج الذي نشاهد آثاره وبقايا زجاجه الآن في القادسية انشيء على عهد المعتصم أثناء تمصر مدينة (سر من رأى) حيث كان يزود منشآت المدينة الحديثة بالزجاج على اختلاف انواعه . وقد ذكر ياقوت أن القادسية اشتهرت بمعامل الزجاج ونسب اليها قوم من الرواة ، كما ذكر ابن عبد الحق أن القادسية قرية كبيرة من قرى سامراء تقع على الجانب الشرقي من دجلة .

ومن أهم الآثار في القادسية اليوم السور القديم المعروف بـ (سور القادسية) وهو الحصن الذي كان يقع بين مجرى القائم (المجرى الصيفي للنهروان) ومجرى الصنم (المجرى الشتوي للنهروان) أما اليوم فيقع بين مجرى القائم ودجلة ، لأن نهر دجلة تحي معالم مجرى نهر الصنم نتيجة تحول عقيق دجلة نحو الشرق ، والسور مبني باللبن ويحيط بساحة واسعة تشغل كل المساحة التي بين مجرى القائم الشمالي ومجرى الصنم الجنوبي تقريباً . ويناهز معدل قطر الساحة التي داخله ١٦٥٠ متراً وهو مشتمن الأضلاع يبلغ معدل الضلع الواحدة من الخارج ٦٢٠ متراً وتدعمه من الخارج ١٧ دعامة (Buttress) نصف دائرية قطرها نحو ٤٧ أمتار ، وبين كل دعامة واخرى ٢٩ر٥ متراً ، وفي كل ركن من اركان السور الثمانية برج مدور يبلغ قطره زهاء ثمانية أمتار ، وسماك السور نحو أربعة أمتار أما ارتفاعه فيبلغ حوالي خمسة أمتار . وتبلغ مساحة الأرض التي يشغلها نحو ٨٠٠ دونم مشاركة .

ويشاهد من الداخل ان اضلاع السور تتألف من أروقة تملأ الفراغ الحاصل بين كل دعامة واخرى الا في ضلعين متقابلتين منها توجد في وسطها زيادة في الشخن بمقدار خمسة أمتار ونصف مترو بمسافة ٦٥ متراً من طول الضلع . وتحتوي هذه الزيادة على ثمانى غرف ابعاد كل منها ٣ر٥ × ٣ر٧ مترات وقد عقدت بعقادة رأسية [Painled arch] ارتفاعا ٢ر٧ متراً ووصف لبنها رصفاً رأسياً على جانبي الغرفة وعرض مدخلها ٨٥ سنتماً وسماك جدار جبهتها ١ر٩ متراً ويلاحظ في بناء السور ان اللبن المستعمل فيه يمتاز بكبر حجمه من دون كل ابنية سامراء العربية حيث يبلغ حوالي ٤٧ سنتماً في الطول و ٢٦ سنتماً في العرض وزهاء ١٥ سنتماً

في السمك وتشاهد في وسط الساحة معالم بعض المنشآت الصغيرة وهذه مبنية من اللبن والطين ومحاطة بأسوار داخلية واطئة . ويستدل من شكل هذه المنشآت ومن السور الخارجي الضخم ان البناية كانت حصناً ومعسكراً لجيش كبير هيئت له فيها وسائل الدفاع والحصار في آن واحد وفي المنطقة التي حول سور القاسية بقايا مبان كثيرة تمتد على اطراف السور المذكور من الغرب والشرق والجنوب بين مجرى القائم ومجرى الصنم بعضها بالآجر والبعض الآخر باللبن . ومن أهم الأبنية التي بالآجر المفخور بقايا معمل الزجاج الواقع غربي موقع الصنم تماماً ، بقايا القصر الذي يقع في الجهة الجنوبية الشرقية من السور على الضفة الشرقية لنهر الصنم وهي الاطلال المسماة (الاصبعين) ولعل اطلال هذا القصر من بقايا القصر الذي بناه المعتصم في هذه المنطقة قبل ان ينتهي الى سامراء .

وتشاهد في الطرف الشمالي من سور القادسية آثار نهر واسع يخترق السور في الضلع الشمالية الغربية ويدخل الى الساحة التي في داخله ثم يتشعب الى عدة شعب هناك . وفي داخل السور أيضاً يدور بمحاذاة الاضلاع خندق يأخذ مائه من النهر نفسه لايزال ظاهراً والدكتور سوسه تتبع آثار هذا النهر فوجد انه يبدأ من القاطول الاعلى الكسروي فيتفرع من ضفته اليمنى في نقطة تقع على بعد ثلاثين كيلومتراً من صدوره ، ثم ينحدر الى الجنوب قاطعاً المنطقة التي بين القاطول الاعلى الكسروي والقاطول الاسفل (مجرى القائم) فيعبر من فوق مجرى القائم على عبارة في الموضع المسمى (فكة القادسية) وينقسم بعد ذلك الى فرعين فرع يتجه شرقاً نحو السور حيث يخترق ويدخل الى الساحة التي في داخل السور كما نوهنا اعلاه والفرع الثاني ينتهي الى نهر الصنم فيصب فيه . ولا شك ان الفرع الثاني هذا كان

يصرف المياه الزائدة فيصبها في نهر الصنم ، ولا بد انه كان هناك بناء لتنظيم المياه .

ويلاحظ ان دائرة الآثار قد تصورت بان نهر القادسية هذا يشق من نهر القائم وينتهي في دجلة ، وقد ذكرت ذلك في نشرتها عن سامراء المطبوعة في سنة ١٩٤٠ (ص ٧٢) فقالت ان القادسية تقع بين نهر القائم ونهر دجلة وفي طرفيها نهران مشتقان من القائم يصلان بينه وبين دجلة ، وهذا بعيد عن الواقع لأن نهر القادسية المذكور كان يأخذ مائه من القاطول الاعلى الكسروي وبعد ان يقطع المنطقة التي بين القاطول المذكور والقاطول الاسفل (نهر القائم) يعبر من فوق نهر القائم ثم ينقسم الى فرعين فرع ينتهي الى داخل سور القادسية وفرع آخر يصب في نهر الصنم كما اسلفنا . ولا شك في ان تغير الوضع بنتيجة تحول نهر دجلة الى الشرق وتقدم مجراه شرقا ثم اقتلاع العبارة التي كان يعبر عليها النهر من فوق مجرى القائم كانا السبب الذي حدا بدائرة الآثار ان تتصور ذلك .

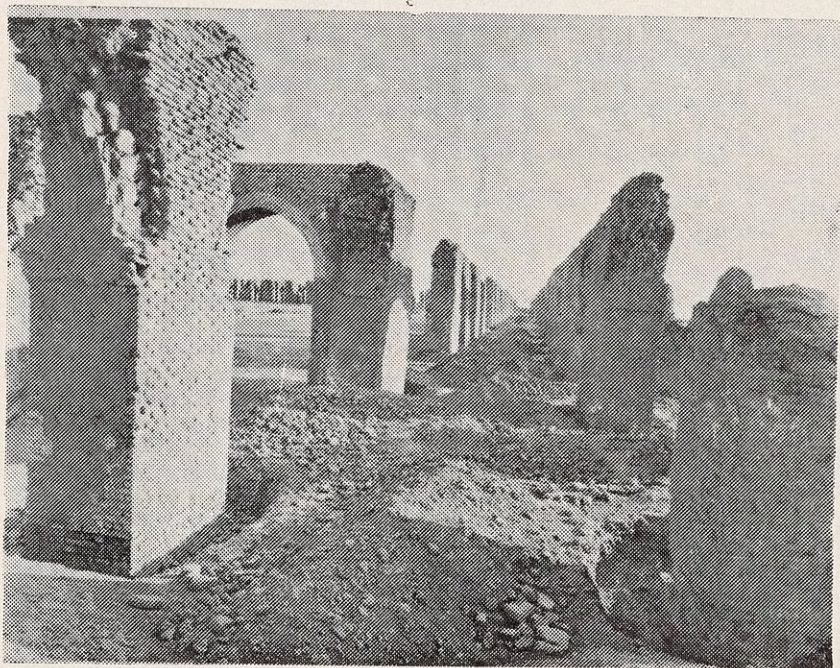
وقد اختلفت الآراء حول بناء سور القادسية فاعتبره بعضهم من أعمال العرب وعده البعض الاخر من أبنية الفرس ، فالدكتور روس الذي زار هذه المنطقة سنة ١٨٣٤ والتقط من جوارها القسم الاسفل من الصنم الاسود الذي كان على صدر المجرى الشتوي للنهران ، يعتقد انه يرجع الى عهد الساسانيين ، اما مس بيل فقد خالفته في هذا الرأي ، أي انها اعتبرته من أعمال العرب . وقد ذكر كريزويل في كتابه (الفن المعماري الاسلامي القديم) انه من المحتمل ان يكون حصن القادسية من جملة أبنية المعتصم في القاطول قبل ان ينتهي الى سامراء .

ومما يلفت النظر ان السير ويليم ويلكو كس قد ذهب الى ابعـد حد في تعيين منشأ هذا السور فكان يعتقد انه يرجع الى العهد الذي انشيء فيه سد نمرود وهو عهد واغل في القدم يرجع الى ما قبل ٣٥٠٠ سنة . ويعتقد فيليكس جونس ان لهذا السور ارتباطاً وثيقاً بمجرى النهر وان ، وعلى هذا الاساس يجزم جزءاً قاطعاً بانه بني في العهد الذي انشيء فيه النهر وان ثم هجر بعد هجران النهر وان واضمحلاله .

اما دائرة الآثار العراقية فقد اعتبرت سور القادسية من اعمال العرب ومن جملة الأبنية التي أنشأها المعتصم على القاطول قبل ان يقيم مدينة سر من رأى (١)

وقد شاءت دائرة الآثار العراقية ان تـتمسك بهذا الرأي على لسان مديرها العام الدكتور السيد ناجي الأصيل الذي ذكر في عدد مجلة سومر الجزء الثاني المجلد الثالث تموز (١٩٤٧) ص ١٦٠ - ١٧٠ : ان سور القادسية من جملة ابنية المدينة التي ابتناها المعتصم على القاطول قبل ان ينتهي الى سامراء . ومما يلفت النظر في هذا المقال ان تمسك دائرة الآثار العراقية بالرأي المذكور لم يستند الى دلائل مقنعة يمكن الركون اليها في قبول ما ذهبت اليه في هذا الخصوص ، ولا سيما اذا لاحظنا ما جاء في معجم ياقوت من اشار صريحة الى ان حصن القادسية اثر للاكسرة . فقد ذكر ياقوت في مادة (سامراء) ان الرشيد أراد بناء سامراء فبنى بجذائرها قصرآ وهو بازاء اثر عظيم كان للاكسرة والقصر الذي يشير اليه ياقوت هو نفس القصر الذي أقامه الرشيد على نهر

(١) نشرة دائرة الآثار العراقية عن سامراء ص ٧٣



۲۳ بقایا جامع ابی دلف



٢٤ - منارة جامع ابي دلف

أبي الجند في المشرحات بجوار حصن القادسية الذي يسميه ياقوت (أثراً عظيماً للاكسرة) ولا يختلف اثنان على أنه لو كان المعتصم أقام حصن القادسية وسوره لما اغفل المؤرخون العرب ذكره لا سيما وقد ذكروا من الابنية ما هو دون سور القادسية بكثير من حيث الضخامة والسعة. هذا كما أنه لا يمكن أن يكون السور فقد اختفى عن انتباه الزائر أو التفات المستطرق نظراً لارتفاعه الذي يستوقف النظر من مسافة بعيدة.

أما رأي الدكتور أحمد سوسة في الموضوع فهو يرى أن سور القادسية كان قد انشئ في زمن اشاء النهروان (أي في زمن انشاء مجري القائم والضمم) ودليله على هذا الرأي أن البناء مع دعاماته والغرف التي فيه والأروقة التي في اضلاعه من الاعمال الهائلة التي تتطلب وقتاً طويلاً وجهوداً جبارة، ولا سيما إذا لاحظنا أن بناء السور يستوجب احضار ما لا يقل عن خمسين مليون لبنة من النوع الضخم الذي بني به السور. (١).

ولا يخفى أن تخطيط مثل هذا الحصن بشكله المثلث على الارض من الامور الهندسية الصعبة التي تحتاج الى مهارة هندسية ودقة فنية كما أنه يحتاج الى وقت كاف ليس بالنسبة الى ذلك الوقت فقط بل بالنسبة الى وقتنا الحاضر أيضاً رغم توفر الآلات الهندسية الدقيقة التي تساعد على رصد الزوايا بصورة متقنة. ولا يسع المرء أن يتصور قيام المعتصم بمثل هذا العمل الجبار خلال المدة القصيرة التي قضاه في هذا المكان قبل أن ينتهي الى انشاء ساحراء (٢).

(١) ري سا سراء ج ١ ص ٢٥٢

(٢) ري سا سراء ج ١ ص ٢٥٣

ان المدة التي قضاه المعتمصم في القاطول لم تتجاوز الشهرين او الثلاثة اشهر على الاكثر وذلك حسب المعلومات التاريخية المتوفرة. وتثبيتاً لذلك لنتتبع خطوات المعتمصم منذ ان غادر بغداد حتى انتهى الى سامراء . فقد اجمع المؤرخون على ان المعتمصم غادر بغداد في سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥ م) ويستدل بما رواه الطبري وابن الاثير ان خروجه من بغداد كان في اواخر تلك السنة ، اذ ذكر الطبري انه خرج في شهر ذى القعدة منها (١) اما ابن الاثير فبعد ان ايد خروجه في سنة ٢٢٠ هـ ذكر بانه (صلى بالناس العيد أي عيد الاضحى) ومعنى ذلك شهر ذى الحجة من سنة ٢٢٠ هـ (أي في شهر تشرين الثاني من سنة ٨٣٥ م) ولم يدخل بغداد بل سار الى ناحية القاطول ولم يعد الى بغداد) .

ويروي لنا اليعقوبي في كتاب (البلدان) ان المعتمصم اقام في بغداد حوالي اربع سنوات بعد ارتقائه عرش الخلافة في ١٩ رجب من سنة ٢١٨ هـ (آب ٨٣٣ م) ثم خرج الى القاطول في سنة ٢٢١ هـ . ومع ذلك فانه يعين في تاريخه المفصل موعد خروج المعتمصم الى القاطول في منتصف ذى القعدة سنة ٢٢٠ هـ وهذا نص خروج المعتمصم الى القاطول في النصف من ذى القعدة سنة ٢٢٠ هـ فاختلف موضع المدينة التي بناها واقتطع الناس القطائع وجد في البناء حتى بنى الناس القصور والدور وقامت الاسواق ثم ارتحل من القاطول الى سرمن رأى (٢) كل هذا مما يدل على ان المعتمصم خرج الى القاطول في حوالي اواخر سنة ٢٢٠ هـ . او اوائل سنة ٢٢١ هـ على اكثر تقدير . ولدينا من الادلة التاريخية على انه مكث بعض الوقت

(١) الطبري (٣ : ١١٧٩) .

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١٩٨

في اماكن عديدة في طريقه بين بغداد والقاطول فتوجه اولاً الى الشماسية فعزم ان يبنى بها مدينة خارج بغداد (فضاقت عليه ارض ذلك الموضع وكره أيضاً قربها من بغداد فمضى الى البردان ٠٠٠ وذلك في سنة احدى وعشرين ومائتين وأقام بالبردان ايما لم يرض الموضع فصار الى موضع يقال له باحشما من الجانب الشرقي من دجلة فقدر هناك مدينة على دجلة وطلب موضعاً يحفر فيه نهراً فلم يجده فنفذ الى القرية المعروفة بالحضيرة فاقام بها مدة ثم مد الى القاطول ويكون البناء على دجلة وعلى القاطول ٠٠٠٠ ثم قال ارض القاطول غير طائلة وانما هي حصا وأفهار والبناء بها صعب جداً وليس لأرضها سعة (١) وقد ذكر المسعودي بعد أن وصف الاعمال التي قام بها المعتصم سنة احدى وعشرين ومائتين ، وقال ابن الاثير ان ابتداء العمارة بسامراء كان في سنة احدى وعشرين ومائتين (٢) اما ياقوت فقد ذكر في مادة سامراء ان المعتصم بنى سامراء ونزلها في سنة ٢٢١ هـ .

يتضح مما تقدم ان الوقت الذي استغرقه سفر المعتصم بين بغداد وسامراء ثم المدة التي قضاها ما كثراً في (الشماسية) و (البردان) و (باحشما) لتصميم البناء الذي اعتزم القيام به هناك ، مضافاً الى المدة التي استغرقها البناء في القاطول وابتداء العمارة في سامراء ، كل ذلك كان في سنة ٢٢١ هـ . ومما يدل على أن المعتصم لم يسعه المكوث في القاطول أكثر من شهرين أو ثلاثة أشهر كأقصى حد ، فهل كان في امكانه أن ينشيء سور القادسية الجسيم ثم يحفر النهر الواسع الذي

(١) كتاب البلدان لليعقوبي ج ٣ ص ١٩٨

(٢) ابن الاثير ج ٦ ص ٣١٩

يتفرع من القاطول الأعلى وينتهي الى داخل سور القادسية في بحر تلك
المدة القصيرة ؟ ٠٠٠

ومن المهم ان نذكر في هذا الصدد أن خروج المعتصم كان في اوائل الشتاء
وقد اتفق وصوله الى القاطول في قلب الشتاء ، أي في موسم الامطار ، وهو
الموسم الذي يجعل قطع اللبن وتهيئته للبناء من الصعوبة بمكان اذ تحول الامطار دون
عمله وجفافه ونظرة واحدة الى سور القادسية تحملنا على الاقتناع - بدون أي تردد
- علي ان تهيئة اللبن المطلوب لمثل هذا البناء الجسيم يحتاج الى موسمين صيفيين على
الاقل ، على حين ان المعتصم لم يتسن له ان يقضي موسماً صيفياً واحداً في القاطول
وقد أيد المسعودي وصول المعتصم الى القاطول في اوائل فصل الشتاء ومكوثه هناك
خلال فصل الشتاء فقال (ونالت من المعتصم شدة عظيمة لبرد الموضع وصلابة
ارضه وتأذوا ليالي فني ذلك يقول بعض من كان في الجيش :

قالوا لنا بالقاطول مشتانا فنحن نأمل صنع الله مولانا

الناس يأترون الرأي بينهم والله في كل يوم محدث شانا

(ولما تأذى المعتصم بالموضع وتعذر البناء فيه خرج يتقرى الموضع فانهى

الى موضع سامراء) (١)

وقد اختلف المؤرخون في منشأ فكرة اتخاذ سامراء مقر للعاصمة ، فهل كان
المعتصم مسبقاً بها قبل أن يغادر بغداد أو أنه يغادر بغداد او انه عمل فكرته هذه
بعد ان شيد بناءه في القاطول ثم انتهى الى سامراء عن طريق الصدفة ، فكانت
الفكرة بنت ساعتها ؟ فقد جاء في الطبري ان المعتصم قبل ان يخرج الى القاطول

(١) ري سامراء ج ١ ص ٢٥٥

أوفد في سنة ٢١٩ هـ أبا الوزير احمد بن خالد (لشراء موضع في ناحية سامراء فاشترى بسامراء الدير من النصارى بمخمسة مائة درهم واشترى موضع البستان الخاقاني بمخمسة آلاف درهم واشترى عدة مواضع فعزم على الخروج إليها في سنة ٢٢٠ هـ . فخرج حتى اذا قارب القاطول ضربت له فيه القباب والمضارب وضرب الناس الأخبية ثم لم يزل يتقدم وتضرب له القباب حتى وضع البناء في سنة ٢٢١ هـ . أما اليعقوبي فيرى رأياً آخر اذ يقول ان المعتصم بعد ان بني ما بناه في القاطول ركب متصيداً فمر في سيره حتى صار الى موضع سر من رأى حيث وجد ديراً للنصارى (فعزم على ان ينزل بذلك الموضع فاحضر محمد بن عبد الملك الزيات وابن ابي دؤاد وعمر بن فرج واحمد بن خالد المعروف بابي الوزير وقال لهم اشترؤا من اصحاب هذا الدير هذه الأرض وادفعوا اليهم ثمنها اربعة آلاف دينار ففعلوا ذلك) وهناك ما يؤيد ان نية المعتصم كانت متوجهة نحو انشاء عاصمته في سامراء منذ سنة ٢١٩ هـ فقال الطبري ان المعتصم خرج في سنة ٢١٩ هـ (يريد القاطول ويريد البناء بسامراء فصرفه كثرة زيادة دجلة فلم يقدر على الحركة فانصرف الى بغداد الى الشامية) فاذا اعتبرنا رواية الطبري صحيحة ، وهي ان المعتصم كان مسبوqa بفكرة انشاء عاصمته في سامراء قبل ذهابه إليها فقد يصح لنا ان نقول بان البناء الذي اقامه في القاطول لم يكن الا عملاً عرضياً لا يخرج عن كونه بناء اقيم على مدخل العاصمة الجديدة (سامراء) بصورة مؤقتة ، وعلى هذا لا يمكن ان يشتمل على بناء ضخيم مثل بناء (حصن القادسية) الجسيم وسوره العظيم ولا بد من التنويه في هذا الصدد الى ان فكرة البناء في سامراء لم تكن من بنات افكار المعتصم وانما قد سبقه الرشيد اليه وفيما ذكره ياقوت من ان (الرشيد اراد بناء سامراء ثم بناها المعتصم

ونزلها في سنة ٥٢٢١ هـ) أوضح دليل على ذلك (١)

وفضلاً عن ما تقدم فإن هناك أدلة تاريخية على أن موقع القادسية كان موجوداً في عهد الفرس حيث كانت هناك منزهات تعد من أجمل المنزهات العراقية في ذلك العهد. ولدينا في تسمية القادسية نفسها ما يجعلنا أن نتحول بتفكيرنا إلى قادسية الكوفة التي تعود إلى عهد الفرس ، وهذا يؤيد ترجيح رجوع تسمية قادسية سامراء إلى ذلك العهد أيضاً لوجود الشبه بين التسميتين .

وأخيراً نرى فيما ذكره ياقوت من ﴿ ان الرشيد بنى قصر آباءه اثر عظيم كان للاكاسرة ﴾ دليل تاريخي موثوق على أن حصن القادسية من عمل الاكاسرة ، ولا شك في أن المقصود بـ ﴿ الأثر العظيم ﴾ حصن القادسية نفسه ، وهو الحصن الذي لا يزال بعد اعظم اثر في منطقة القادسية حتى الآن .

ولنفترض سؤالاً آخر : فإذا قلنا ان سور القادسية من عمل المعتصم فما هي الاسباب التي دفعت به لإنشاء هذا الحصن الضخم المنيع ؟ ... ولا بد من الملاحظة في هذا الصدد بان تصميم بناء هذا الحصن يمتاز بفنه الهندسي الدقيق الامر الذي يدل على انه وضع بعد دراسة فنية دقيقة وتحريات تمهيدية عميقة استغرقت بعض الوقت على عكس ما نراه في الأبنية المجاورة التي تدل بقاياها على انها بنيت بدافع الحاجة الآنية ووضعت تصاميمها بصورة ارتجالية ، واذا ما قارنا تصميم بناء (حصن القادسية) مع شكل بناء (معسكر الاصطبلات) في الجهة

(١) ري سامراء ج ١ ص ٢٥٧

الغربية من نهر دجلة ، وهو المعسكر الذي أنشأه المعتصم على ما نعتقد ، اتضح لنا الفرق العظيم بينهما . هذا من جهة أما من حيث الدلائل الفنية التي لا تقبل الشك فهناك ما يدل على ان النهر الذي كان يأخذ ماءه من القاطول الكسروي وينتهي الى داخل حصن القادسية هو نهر قديم للغاية وانه واسع بحيث لا يمكن ان نتصور عمله من قبل المعتصم ، اذ لم يكن لدى المعتصم الوقت الكافي لقيامه بمثل هذا المشروع الضخم ، هذا الى ان هناك دلائل تؤيد لنا بان الحصن انشيء في نفس الوقت الذي انشيء فيه (النهران) وذلك بين صدره (مجرى القائم و مجرى الصنم) كما ان هناك دلائل ثابتة تؤيد ان النهر الذي ينتهي الى الحصن انشيء بعد ان اقام كسرى مشروع القاطول الاعلى الكسروي ثم هجر النهر ومعه الحصن بعد ان هجر مجرى القائم الذي يقع عليه الحصن في اواخر عهد كسرى عندما حفر مجرى القورج مكانه . ولا يخفى ان مجرى القائم والصنم كانا مندربين ومهجورين وكذلك حصن القادسية ، حين قرر الرشيد ترك مجرى القورج والرجوع الى صدرى القائم والصنم باعادة حفر الاول .

وقد أعاد الرشيد احياء مجرى القائم ولكنه لم يفكر في اعادة احياء نهر القادسية القديم الذي كان يتفرع من القاطول الاعلى الكسروي وينتهي الى حصن حيث لم يعد بحاجة اليه بعد ان هجر حصن القادسية . على أن من المحتمل انه استغل القسم الشمالي من هذا النهر فاعاد حفر هذا القسم لايصال المياه الى حدائق قصره في (المشرحات) شمالي شرقي حصن القادسية على الضفة اليسرى لنهر القائم ، وكذلك لايصال المياه الى الاراضي المجاورة للقصر من الشرق والجنوب ما بين

القاطول الاعلى (١) ومجرى دجلة القديم . والدليل على هذا الاحتمال اننا نجد عدداً من المجاري المدرسة في صدر هذا النهر يرجح ان بعضها حفر في زمن الرشيد لغرض المذكور وعلى كل فان وجود كثرة هذه المجاري يدل على انه كان من الصعب ادخال المياه الصيفية في النهر نظراً لعدم وجود ناظم أو سد على مجرى القاطول الاعلى الذي يمكن حجز المياه امامه ورفع مناسيبها لتأمين دخولها الى النهر في كل المواسم حسب مقتضى الحاجة ، وسنرى كيف تلافى المتوكل ذلك عندما اعترم انشاء حدائقه في المشرحات ولعل السبب في عدول الرشيد عن انجاز المدينة التي كان ينوي انشاءها في هذه المنطقة صعوبة اوصول المياه اليها في كل مواسم السنة بصورة منتظمة (٢)

كل هذه الدلائل مجتمعة تثبت لنا ان سور القادسية انشيء في نفس الوقت الذي انشيء فيه النهروان (أي في عهد الفرس) وانه انشيء جرياً على العادة المألوفة في ذلك الوقت ، وهي اقامة حصون منيعة على صدور الجداول المهمة للمحافظة عليها والحيولة دون وقوعها بيد العدو، اذ يؤدي استلاؤه عليها الى قطع الماء عنها . ولا شك في ان هذا الحصن انشيء في الوقت الذي كانت البلاد مهددة بغارات الرومان وغزوهم دوماً .

واذا سلمنا بالنظرية القائلة بان مشروع النهروان نفسه كان في الأصل مشروعاً عسكرياً دفاعياً اكثر منه زراعياً يسهل علينا ادراك ضرورة وجود مثل هذا الحصن على صدر النهر .

(١) ري سامراء ج ١ ص ٢٥٨

(٢) ري سامراء ج ١ ص ٢٥٩



۲۵ - امام دور

واخيراً فان هناك نقطة لا بد من الاشارة اليها وهي ان اللبن الذي انشئ به حصن القادسية أقرب الى احجام اللبن أو الآجر الذي استعمله الفرس في بناياتهم منه الى أحجام اللبن أو الآجر الذي استعمله العرب ، وقد لاحظ الدكتور احمد سوسة ان حجم اللبن الذي بني به حصن القادسية (وهو $٤٧ \times ٣٠ \times ١٥$ سنتمتر) قريب جداً من حجم الآجر المستعمل في بناء السد الفاطس المبني في ذنائب القاطول الأعلى الكسروي ، وهو السد الذي لا مجال للشك في انه من آثار الفرس وهناك أبنية أخرى مبنية بلبن من هذا الحجم وهي من الابنية التي ثبت رجوعها الى عهد الفرس أو الى ما قبله واعني بها (قلعة الناي) التي بني سورها بلبن حجمه ($٤٥ \times ٤٠ \times ١٥$) سنتمتر أو جدار المطبق وقلعة ام الرؤس المبنيتين با كبر انواع اللبن القديم ولا بد من الاضافة في هذا الصدد الى ان الدكتور سوسة لم يمتز أثناء تجوالاته الكثيرة في خرائب سامراء العربية على بناء مبنى بلبن يضاهي حجمه حجم اللبن الذي انشئ به حصن القادسية .

والظاهر ان منطقة القادسية هذه بما فيها القاطول الاسفل (بحري القائم) كانت من اجمل المنزهات في زمن العرب فقد وصف الشعراء والكتاب حدائقها واديرتها بكثير من الاطراء ، وهذا (دير السوسي الذي يقول فيه ابن المعتز :

يا ليالي بالمطيرة والكرخ ودير السوسي بالله عودي
كنت عندي امودجات من الجنة ولكنها بغير خلود

وقد كتب الشابستي في صفة القادسية قوله (والقادسية من أحسن المواضيع وانزهها وهي من معادن الشراب ومناخات المتطربين ، جامعة لما يطلب أهل البطالة

والخسارة وبالقادسية بنى المتوكل قصره المعروف بـ كوارا ولما فرغ من بنائه وهبه لابنه المعتز .

وكانت منطقة القاطول والقادسية من أحب المنتزهات وساحات الصيد لدى خلفاء بني العباس فكانوا يقصدونها لقضاء أوقات طربهم وانسهم فيها كما كانوا يقصدونها للقنص والصيد حيث كانت اطيوار البركة والماء موفورة في المنطقة نفسها .

وقد جاء في الأغاني ما يشير الى ان المعتصم كان يقضي بعض أوقاته في منطقة القاطول وهذا نص ما ذكره صاحب الكتاب في هذا الصدد قال :

﴿ أخبرني عمي قال حدثنا أبو عبد الله المرزبان قال حدثني ابراهيم بن أبي دلف العجلي قال كنا مع المعتصم بالقاطول وكان ابراهيم بن المهدي في حراقتة بالجانب الغربي وأبي واسحاق الموصلي في حراقتيها في الجانب الشرقي فدعاها يوم جمعة فعبرا اليه في زلال وأنا معها وانا صغير وعلي أقبية ومنطقة فلما دنونا من حراقة ابراهيم نهض ونهضنا ونهضت بنهوضه صبية له يقال لها غضة واذا في يديه كأسان وفي يديها كأس فلما سعدنا اليه اندفع فغنى :

حيما كما الله خليليا ان ميتا كنت وان حيا

ان قلتما خيرا فأهل له أو قلتما غيا فلا غيا

ثم ناول لكل واحد منهم كأسا وأخذ هو الكاس الذي كان في يد الجارية وقال اشربا على ريقكما ثم دعا بالطعام فأكلوا وشربوا ثم أخذوا العيدان فغناها ساعة وغنياه وضرب وضربا معه وغنت الجارية بعدهم فقال لها أي احسنت

مراراً فقال له ان كانت أحسنت فخذها اليك فما أخرجتها الا اليك (١)
واليك ما ذكره ابراهيم بن الحسن بن سهل عن الواثق ، وهو يتصيد على
القاطول قال (كننا مع الواثق بالقاطول وهو يتصيد فصاد صيداً حسناً وهو في
الزو (٢) من الاوز والدراج وطير الماء وغير ذلك . ثم رجع فتغدى ، ودعا
بالجلساء والمغنين وطرب وقال من ينشدنا ؟ فقام الحسين بن الضحاك فانشده :
سقى الله بالقاطول مسرح طرفكا وخص بسقياه مناكب قصر كا
حتى انتهى الى قوله :

تحيين للدراج في جنباته وللغر آجال قدرن بكفكا (٣)
والظاهر ان القصر المشار اليه في البيت الاول هو قصر الرشيد الذي على
القاطول ، وهو نفس قصر المشرحات الذي بناه الرشيد ، وقد كان موجوداً على
حالته الاصلية في عهدي المعتصم والواثق حتى اذا جاء المتوكل أعاد بناءه من جديد
واضاف عليه بركة البحري المشهورة .

ولما تولى الواثق الخلافة جلس الناس ودخل اليه المهنتون والشعراء ومن
جملة ما نظمهم احدهم في وصف السفينة التي كان يركبها الخليفة في دجلة والقاطول
الايات التالية :

الى خازن الله في خلقه سراج النهار وبدر الظلم
رحلنا غرايب زفافة بدجلة في موجها الملتطم

(١) الاغاني ج ٩ ص ٥٤ و ٨٣

(٢) الزو : نوع من السفن كان منتشرأ في العهد العباسي

(٣) الاغاني ج ٧ ص ١٥٨

إذا ما قصدنا لقاطولها ودم قراقيرها تصطدم
سكننا الى خير مسكونة يتمها راغب من أمم
وقد وصف البحري احدى نزعات المتوكل بالزو على القاطول قال :
أبي يومنا بالزو الا تحسناً لنا بساع طيب ومدام
غنينا على قصر يسير بفتية قعود على أرجائه وقيام
تظل البزاة البيض تحطف حولنا

جآ جيء طير في السماء سوام
تحدربالدراج من كل شاهق مخضبة اظفارهن دوام
فلم أركالقاطول يحمل ماؤه تندفق بحر بالساحة طام
ولا جبلا كالزو يوقف تارة وينقاد أما قدته بزمام
ثم وصف البحري الزو في قصيدة اخرى قال :

تعجبت من فرعون اذ ظن انه إكله لأن النيل من تحته يجري
ولو شاهد الدنيا وجامع ملكها لقل لديه ما يكثر من مصر
ولو بصرت عيناه بالزو لاذرى حقير الذي نالت يداه من الأمر
إذا لرأى قصرأ على ظهر لجة يروح ويفدو فوق أواجهاتجري
تصاد الوحوش في حفاف طريقه وتستنزل الطير العوالي على قسر

وقد بلغت منطقة القاطول والقادسية ذروتها في الجمال والتنسيق على عهد
المتوكل فقد اشغل المتوكل الساحة الواسعة الواقعة بين القاطول الأعلى الكسروي
وقاطول الرشيد الاسفل (نهر القائم) وأنشأ فيها حديقة فسيحة للحيوانات ثم
أقام على الطرف الجنوبي من هذه الحديقة قصرأ واسعاً ، في مكان قصر الرشيد

القديم في المشرحات ، وساحة كبيرة خلف القصر تتصل بصفة القاطول الاسفل اليسرى . وقد أنشأ أمام هذا القصر من جهة الشمال البركة الجعفرية المشهورة التي وصفها البحري ، وفوق كل هذا استغل مياه القاطول الأعلى فأنشأ ناظماً قاطعياً على مجراه وفتح نهراً من أمام هذا الناظم لايصال المياه الى حديقة حيواناته وبركة قصره .

وقد وصف جحظة البرمكي منطقة القاطول والقادسية فأنشد فيها أبياته التالية : -

الأهل الى الغدران والشمس طالعة	سبيل ونور الخير مجتمع الشمل
ومستشرق للعين تغدو ضياؤه	صوائد ألباب الرجال بلا نبل
الى شاطئ القاطول بالجانب الذي	به القصر بين القادسية والنخل
الى مجمع للطير فيه رطانة	يطيف به القناص بالخيول والرجل
فخانة من عيد اليهودي انها	مشهرة بالراح معشوقة الأهل
وكم راكب ظهر الظلام مفلس	الى قهوة صفراء معدومة المثل
اذا نفذ الخمار دنا بمنزل	تمينت وجه السكر في ذلك النزل
وكم من صريع لا يدير لسانه	ومن ناطق بالجهل ليس بندي جهل
ترى شرس الاخلاق من بعد شربها	جدير ببذل المال والخلق السهل
جمعت بها شمل الخلاء برهة	وفرقت مالا غير مصغ الى العدل
لقد غنيت دهرأ بقربي نفيسة	فكيف تراها حين فارقتها مثلي

ومما يسترعي الانتباه ان وصف جحظة للقصر من انه يقع بين القادسية والنخل ينطبق على موقع المشرحات الذي كان فيه قصر الرشيد ثم صار فيه قصر

قصر المتوكل بعد ان اُضيف اليه حير الحيوانات ، لان المشرحات تقع بين القادسية
من جهة (وأراضي الأجوى) التي فيها ضرعة حسين زغير الحالية من الجهة
الثانية . والدليل على ان النخيل الذى يشير اليه جحظة كان في أراضي الاجوى
المذكورة (جمع جوة) ان هذه الاراضي تؤلف سهلاً خصباً يستدل من تخطيطه
وتسميته بالأجوى على انه كان مقسماً الى بساتين . ومما لا شك فيه ان هذه
البساتين كانت تروى من القاطول الاعلى الكسروي بالطريقة المسيحية .
وتدل الروايات المحلية المتواترة على انه عثر على بعض جذور نخيل قديمة
في جوف الاراضي المذكورة أثناء حرثها أو حفر الآبار فيها مما يؤيد انها كانت
بساتين نخيل .



برج القائم

يتكون هذا البرج من بناء مربع الشكل يبلغ طول ضلعه حوالي ستة امتار وارتفاعه عن الارض المجاورة ١٥ الى ٢٠ متر ويقع على فم مجرى القائم تماما وقد سمي في اكثر الخرائط باسم (امام القائم) على حين انه لا يوجد فيه غير آثار منارة قديمة هي اقرب الى شكل النصب التذكري أو البرج من القبر . ويظهر من الآثار المتبقية ان بناء البرج الداخلي بني بالحصى والحصى الخشن . والارجح ان وجه البناء كان مغلفاً بطبقة من الآجر عليها بعض الكتابة وان هذه الطبقة تخربت او قلعت منها مادة الآجر التي فيها لاستعمالها في ابنية سامراء ، ويلاحظ في الجهة الشرقية من البرج آثار يستدل منها على انه كان في تلك الجهة سلم مدرج يصعد الى قمة البرج .

ويعتقد البعض بان البناء كان نصباً تذكارياً اقيم بمناسبة انشاء الجدول وهي الطريقة المتبعة منذ اقدم العصور حتى الآن عند انشاء الجداول فيدون عادة على النصب اسم القائم بالمشروع وتاريخ انشاء المشروع وغير ذلك من الامور المتعلقة بالمشروع وقد اختلف المحققون في امر تعيين تاريخ البناء فبعضهم وفي مقدمة هؤلاء المس بيل تعتقد بانه اقيم عندما انشيء المشروع ولذلك فهو اقدم

من العصر العربي (١)

والذي نراه هو ان البرج قديم جداً والارجح ان البناء الاصيل يرجع الى العصر الذي انشيء فيه النهروان في الاصل ثم اعيد انشاؤه على عهد الرشيد عندما اعاد الرشيد حفر المجرى نفسه ، ولعل المتوكل أضاف اليه بعض الزخارف او قام بتقويته والدليل على هذا ان الحموي يذكر بان القائم (بنية كانت قرب سامراء من ابنية المتوكل) كما ان ابن عبد الحق يؤيد ذلك بقوله ان القائم (بنية قرب سامراء من ابنية المتوكل) وذكر الشيخ ذبيح الله المحلاتي في كتابه (مآثر الكبراء في تاريخ سامراء) القائم فقال اسم موضع قرب سامراء يبعد عنها نحو ثمانية كيلومترات من جهة الجنوب والقادسية بينه وبين دجلة ، والقائم ايضاً اسم لدير كان في طريق الرقة ببغداد لان عنده مرقباً عالياً كان بين الروم والفرس يرقب عليه على طرف بين المملكتين شبه تل عقرقوف ببغداد وفيه يقول ابن المغني

بدير القائم الاقصى	غزال شادن احوى
برى حبي له جسمي	ولا يدري بما القى
واكتم حبه جهدي	ولا والله ما يخفى



٢٦- زخارف جصية في سامراء



٢٧ - الزخارف الخشبية في سامراء

تل الصوان

يقع هذا التل على بعد عشرة كيلومترات تقريباً جنوبي مدينة سامراء الحالية ويقع على الضفة اليسرى من نهر دجلة عن علو يقرب من ١٢ متر وشكاه بيضوي تقريباً ويبلغ طوله (٢٣٠ م) من الشمال الى الجنوب ، وعرضه من الشرق الى الغرب (١١٠) أمتار ، وقد عثر كل من الدكتور هر تسفلد والدكتور احمد سوسه خلال تنقيبهما على بعض الفخار والآثار التي تدل على ان منطقة سامراء كانت آهلة بالسكان منذ اقدم العصور ، وبالرغم من وجود بعض الدلائل المادية التي تشير الى وجود آثار من عصور ما قبل التاريخ في سامراء او تليقي اضواء على عراقة قدم هذه المنطقة ، فكان ذلك يفتقر الى المزيد من الادلة والاستنتاجات التي تدعمها التنقيبات العلمية المنظمة والبحث الاثري الحديث ، وفعلا قامت مديرية الآثار العامة في ١٧ شباط حتى ٢٠ من مايس ١٩٦٤ م بارسال هيئة من موظفيها برئاسة الاستاذ جهنم ابو الصوف للقيام بتنقيبات علمية منظمة في الموقع (١) المعروف (بتل الصوان) او تل ابي الصوان نسبة الى الآلات والادوات المعمولة وشظا حجر الصوان المنتشرة

(١) مجلة صوت الاسلام عدد ٨ ص ٨ السنة الاولى ١٩٦٣ الاستاذ سالم الآلومي مقال

بمعنوان (تل الصوان) .

والمبثوثة على سطحه ، ويقع هذا التل قرب النصب التذكاري المعروف لدى السكان المحليين وأهالي سامراء بـ (القائم) او (الكايم)

وتوصلت هذه الهيئة الى الكشف عن خمس طبقات بنائية يرجع أقدمها (الطبقة الاولى أي السفلى) الى بداية الالف السادسة قبل الميلاد ، كما تعود أحدثها (الطبقة الخامسة العليا) الى أواخر ذلك الألف . وقد أتت هذه التنقيبات بنتائج مدهشة من وجهة النظر الأثرية ، فقد تم الكشف عن طبقات بنائية متعاقبة شيدت باللبن المعمول بقالب حيث يعتبر بحد ذاته كشافاً جديداً فيما يخص العمارة في العراق اذ لم تعرف سابقاً أنبئة من دوري حسونة وسامراء شيدت بمثل هذا اللبن المنتظم ويرتفع التل المذكور عن مستوى السهل بحوالي ثلاثة امتار او اكثر بقليل في اعلا نقطة منه ويطل على نهر دجلة من ارتفاع اثني عشر متراً ، والتل بشكله العام يتألف من ثلاثة مرتفعات اعلاها وسطها وقد استغل السكان المحليون هذا الارتفاع فاتخذة مدفناً لموتهم مما أحدث فيه مخربات كبيرة، تضاف الى التخريبات والتشويهات في سطحه الناجمة عن قيام الفلاحين والمزارعين المحليين باخذ الساد منه وقد بدأ العمل او التنقيبات في هذا التل بشق خندق في الجهة الغربية منه فعر على عدد من الابنية كما عثر في داخل هذه الابنية على عدد من المواقد دائرية الشكل وعلى اوان وكسرات اوان من الحجر والفخار من عصور سامراء الى الالف السادسة قبل الميلاد ومن ازمنة تسبق ذلك وعلى عدد من الاصنام والتماثيل المصنوعة من الفخار والحجر كما عثر على بناية منتظمة على شكل حرف T تدل مظاهرها على

(١) مجلة سومر مجلد ١٩ ص ٢ من مقال للدكتور فيصل الوائلي مدير الآثار العام

سنة ١٩٦٣

انها كانت محلا للعبادة لسكان الطبقة الرابعة (طبقة سامراء) مما يثبت نشوء العقيدة الدينية قبل الميلاد في هذه المنطقة وكذلك نشوء بنايات الدينية وهي المعابد بشكلها المبسط ، ومما يقوي هذا الاعتقاد ان هذه البناية كبيرة الشبه بمعابد عصر العميد في موضع تبه كورا والعقير واريديو .

كما توصلت البعثة الى اكتشاف خندق دفاعي يحيط بمستوطن الطبقة الاولى السفلى على ما يرجح من جهاته الثلاث الشمالية والشرقية والجنوبية وينحدر جانبا هذا الخندق انحدارا شديداً الى قرار لا يتجاوز عرضه (٥٠ سنتمتر) أما فتحة الخندق عند السطح فيتجاوز عرضها المترين ويبلغ عمق الخندق نحو (٣) أمتار ويعد هذا الخندق أقدم واول خندق دفاعي وجد في العراق وبيدوان التحصينات الاولى عرفها سكان الشرق القديم منذ ذلك الزمن السحيق في القدم اذ وجدت معالمها أيضاً في مدينة أريحا في الاردن . ومن الاكتشافات الجديدة التي حققتها البعثة الوقوف على مجاميع كبيرة من الأواني صنعت من المرمر الشمعي باحجام وأشكال مختلفة مع مجموعة من التماثيل الصغيرة الحجم من نفس الحجر يقرب عددها من خمسين تمثالا ، ومن الجدير بالذكر ان الاواني والتماثيل قد وجدت في قبور أغلبها للاطفال مدفونة تحت الارضية في غرف بنايات الطبقة الاولى السفلى ان اكتشاف هذه المجموعة من التماثيل والاواني الحجر يعتبر فريداً في بابه اذ انها اول مجموعة يكشف عنها في هذا الدور في هذه المنطقة (منطقة الشرق الاوسط) .

وفي عام ١٩٦٥ في شهر ربيع ارسلت مديرية الآثار بعثة للتنقيب في تل الصوان بعد النتائج التي اسفرت عنها تنقيبات الموسم الاول اي في عام ١٩٦٤ وقد تم الكشف في التنقيبات الاخيرة عن الضلع الشمالي من الخندق ، ويبدو واضحاً ان

الخنديق قد أهمل في الطبقة الثالثة بدليل اكتشاف هذه الابنية التي انشئت فوقه في هذه المنطقة وقد عثر على بقايا باب من القصب المثبت بمادة القيرو وكشفت الحفريات عن عدد كبير من القبور تحت الطبقة السفلى ومما تجدر الاشارة اليه ان العدد الكبير من الهياكل العظيمة وجدت غير كاملة لفقد قسم من اجزائها ، ولا بد من الاشارة الى عدم وجود دليل قاطع بشأن هذه الهياكل الناقصة ودفن أجزاء من الجسم في محلات خاصة ، الا ان أغلب الظن هو ان هذا النقص قد حدث لاسباب طبيعية قد يكون منها وجود بعض الحيوانات القاضمة التي عثر على هياكل بعضها ، كما عثرت على اعداد كبيرة من التماثيل الحجرية الصغيرة . والملاحظ انها تتميز بدقة صنعها ووضوح تفاصيلها بالقياس الى التماثيل التي عثر عليها في الموسم الاول ، ولعل أبرز ما في هذه المجموعة دمية من الطين المشوي لرجل جالس بهيئة القرفصاء وقد برزت اعضاؤه التناسلية بوضوح . وهذا أمر غير مألوف بالنسبة لتماثيل تل الصوان وتحمل بعض التماثيل على اعناقها قلائد من خرز الشدر الازرق وكشفت حفريات هذا الموسم عن اعداد كبيرة من الاواني الحجرية ذات الاشكال المختلفة التي تدل على دقة ومهارة فائقة في النحت في هذه الفترة السحيقة في القدم . وان اهم ما ذكر هو عثور البعثة على قطع من النحاس بعضها على هيئة خرز فوق الطبقة الاولى وتحت الطبقة الثانية ، ووجدت قطعة أخرى في يعود الى الطبقة الاولى وعلى الارض البكر مباشرة ، وكانت موضوعة تحت عظام رقبة الهيكل العظمي ، ولا يخفى ما في هذا الاكتشاف من اهمية كبرى ، اذ يشير الى معرفة الانسان بالنحاس في بداية الالف السادس قبل الميلاد ويعزز الرأي الذي أبداه الاستاذ ملارت (Ymes mellaart) في تقريره عن الحفريات التي اجراها في موقع جتل هويوك في تركيا ، فيما يخص العصر المعدني والرجوع

بتاريخه الى فترة أقدم واذا أخذنا بنظر الاعتبار عدم وجود النحاس في هذه المنطقة فان استعماله يشير الى وجود صلات بين الاقوام التي سكنت هذا الموقع وبين مناطق بعيدة خارج العراق يوجد فيها النحاس وفي عام ١٩٦٧ اجريت تنقيبات وتحريات في التل المذكور وعثر على معلومات مفيدة .
ان هذه المعلومات النادرة عن تل الصوان التي تمثل اقدم قرية زراعية ومستوطن زراعي في منطقة سامراء في وسط العراق .



اطلال المشرحات

ذكر الدكتور احمد سوسة في كتابه (ري سامراء) (١) المشرحات فقال
اما القصر الذي أنشأه الرشيد على قاطوله والمدينة التي شرع في انشائها هناك لم
تتم فاننا نميل الى الاعتقاد بانهما يقعان في المكان المعروف باسم (المشرحات) وهذا
يقع في شمال شرقي سور القادسية على الضفة اليسرى لمجرى القانم (نهر ابي الجند)
وعلى بعد ستة كيلومترات تقريباً من صدر المجري المذكور . ويمكن الوصول الى
موقع (المشرحات) هذا من سامراء باتباع طريق الضلوعية الذي يسير في الاتجاه
الجنوبي الشرقي ثم بعد الوصول الى (بئر العجم) الواقعة على مسافة ثلاثة عشر
كيلومترا من سامراء الانحراف عن الطريق العام والنزول الى الجنوب حيث تقع
(خرائب المشرحات) على بعد اربعة كيلومترات من (بئر العجم) وترتفع (تلول
المشرحات) هذه الى اكثر من اربعة امتار عن سطح الارض ويمكن مشاهدتها
من (بئر العجم) والاتجاه نحوها بدون أية صعوبة .

أما دليلنا على ان القصر الذي انشأه الرشيد على القاطول والمدينة التي
شرع في انشائها هناك يقعان في موضع (المشرحات) المتقدم ذكره هو انه لا يوجد

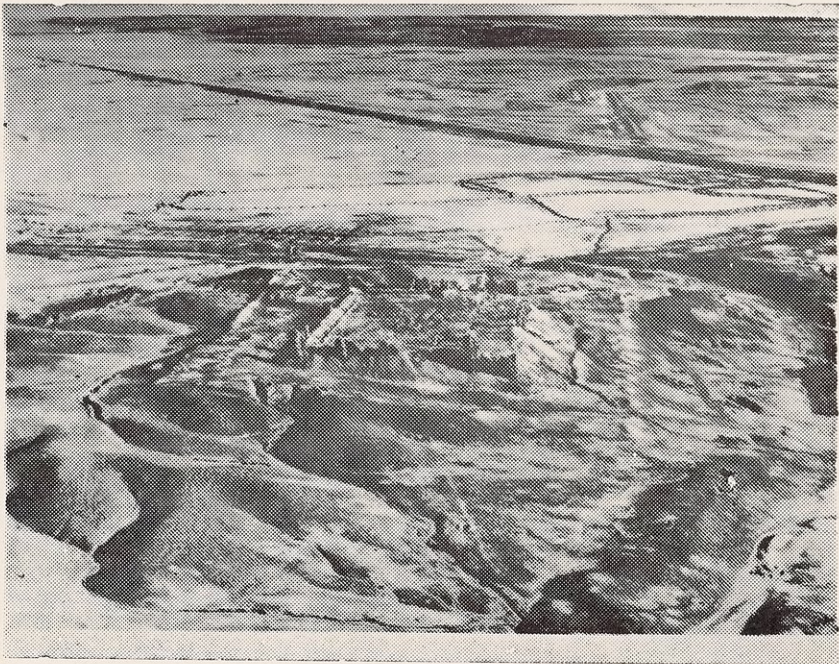
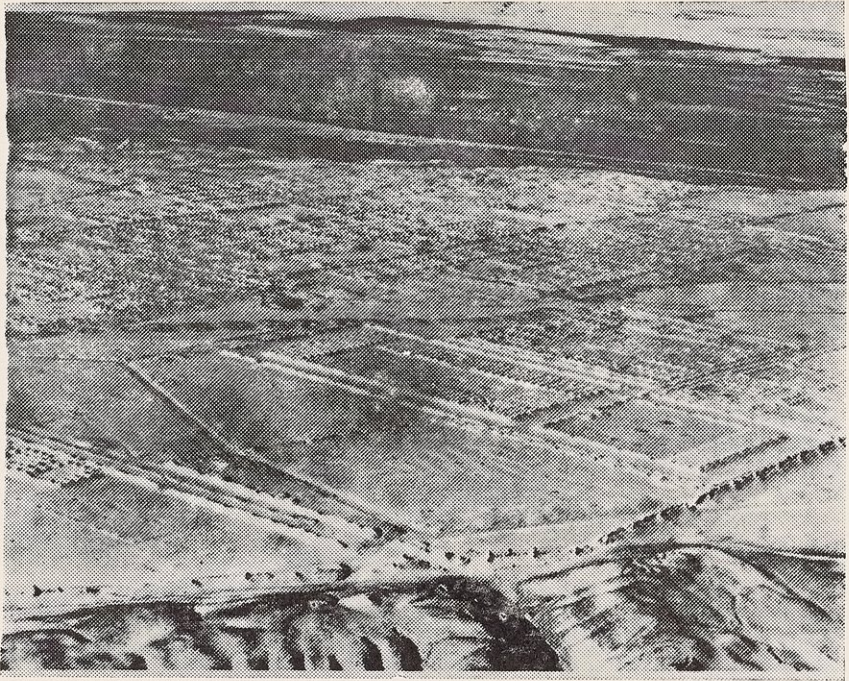
(١) ري سامراء ج ١ ص ٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٢

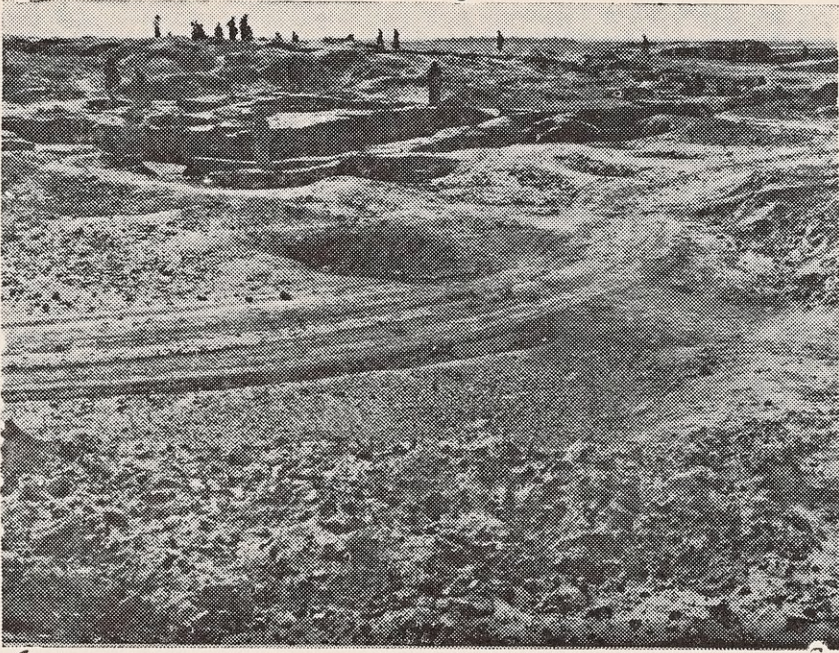
موضع آخر في هذه المنطقة ينطبق عليه الوصف الذي دونه المؤرخون عن القصر والمدينة فقد عين المؤرخون موضع القصر والمدينة على القاطول أو نهر أبي الجند المسمي حالياً نهر القائم بالقرب من صدره ، ولا توجد اطلال على مجرى القائم في الموضع المشار اليه يصح ان تمثل بقايا قصر مهم كالقصر المذكور غير (اطلال المشرحات) ويلاحظ ان المؤرخين لما وصفوا مواضع قصر الرشيد لم يتطرقوا الى ذكر نهر دجلة على حين انهم ذكروا ان القصر الذي بناه المعتصم والمدينة التي أنشأها على القاطول كانا يطلان على دجلة الامر الذي يدل على أن قصر الرشيد ومدينته كانا بعيدين عن دجلة . وهذا ماينطبق تماماً على موقع (المشرحات) المار الذكر . ويلاحظ أيضاً ان الرشيد لما أعاد حفر نهر أبي الجند (نهر القائم) أمر بوضع كل الاتربة المستخرجة من قعر النهر على الضفة اليمنى مما يدل على أنه كان يرغب في ان يجعل مدينته وقصره يشرفان على النهر المذكور لان وضع الاتربة على الضفة التي انشأ فيها قصره ومدينته يكون تلوها عالية تسد منظر النهر عن المدينة والقصر . وفضلا عن ذلك فان موضع (المشرحات) هو المكان الوحيد في منطقة القاطول الذي تجمع فيه الوسائل اللازمة لجعله لائقاً لان يكون منتزهاً للخليفة فهو يقع بين النهرين (القاطول الاعلى الكسروي) و (قاطول الرشيد الاسفل) وفي أرض سهلة ذات تربة صالحة لانشاء البساتين والزراعة ، كما انه يمكن اوصول المياه اليه من (القاطول الاعلى الكسروي) بالطريقة المسيحية بكل سهولة . وهناك مايدل على ان الرشيد لما انشأ قصره في هذا الموضع (اي موضع المشرحات) اعاد فتح النهر القديم ، الذي يتفرغ من الضفة اليمنى لنهر القاطول الاعلى الكسروي وينتهي الى (حصن القادسية) وهو النهر الذي كان قد جف بعد ان انشأ كسرى انوشروان نهر القورج

بدلاً من مجرى القائم (مجرى النهروان الاصيلي) وذلك باستخدام القسم الاعلى من هذا النهر لايصال المياه الى قصر المشرحات وحدائقه .

ومما يدل ان قصر الرشيد المذكور كان عامراً في زمن المعتصم نزل فيه عندما جاء الى هذه المنطقة وشرع في بناء مدينته فيها ، والذي نراه ان قصر الرشيد هذا بقي على حاله في عهد المعتصم حتى جاء المتوكل فبنى قصرآ جديداً مكانه وانشأ امام القصر الجديد البركة الجعفرية المشهورة التي وصفها البحترى ، كما انه انشأ حير الحيوانات هناك ولايصال المياه بصورة دائمة الى القصر وألحير اعاد تنظيم النهر الذي كان قد أوصله الرشيد الى قصره في هذا الموضع بانشاء ناظم قاطعي على مجرى القاطول الاعلى الكسروي وقد سمي النهر في هذا الدور (نهر نيزك) .

بناء على ماتقدم لا يسعنا الا ان نرى فيما ذكرته دائرة الآثار العراقية على لسان مديرها العام السابق معالي ناجي الاصيل في مقال (مدينة المعتصم على القاطول) من أن خرائب (المشرحات) الواقعة على الضفة الشرقية للقاطول (مجرى القائم) من جملة بقايا قصر المعتصم تسرعاً ظاهراً وان استنتجها هذا غير مبني على دلائل مقبولة سواء أكانت تاريخية أو واقعية . فلو كان امتد بناء المعتصم الى منطقة المشرحات الواقعة على الجانب الايسر للقاطول (مجرى القائم) لما ذكر اليعقوبي بان (المكان الذي انشأ فيه المعتصم أنبيته على القاطول ليس فيه سعة وان اراضيه متكونة من حصى وافهار بحيث يصعب البناء عليها) لان البقعة التي في جهة المشرحات تؤلف اوسع بقعة من اراضي سامراء المهمة الخصبة التي تصلح لانشاء البساتين والدور وهي تقع بين القاطول الاعلى الكسروي وقاطول الرشيد الاسفل) فتمتد الى مسافة حوالي عشرين كيلومتراً في الطول وزهاء اربعة عشر كيلومتراً في





٢٩ - تل الصوان



٣٠ - قبة الصليبية

العرض ويمتاز موقع هذه البقعة بسهولة ايصال المياه اليها سيجاً من القاطول الاعلى هذا كما ان منطقة (المشرحات) علاوة على سعتها تتكون من تربة خصبة ليس فيها حصى ولا افهار ثم لو كان مشروع النهر الذي انشيء في تلك المنطقة لا يصل المياه الى حصن القادسية وبناء (المشرحات) من عمل المعتصم لما كان هناك ما يجعله على الانتقال الى سامراء ولا سيما وانه يتعذر انشاء مثل هذا المشروع الممتاز في أي مكان آخر من تلك المنطقة كل ذلك يؤيد استنتاجنا المتقدم وهو ان المدينة التي شرع المعتصم في بنائها على القاطول ثم استبدل مكانها بموقع سامراء تقع على الضفة اليمنى لمجرى القوائم في جوار (حصن القادسية) الذي كان قد أنشأه الفرس من قبل ممتدة من تلك الضفة غربا الى نهر الصنم الاسفل (مجرى القاطول الشتوي) ثم الى الضفة نهر دجلة غربي نهر الصنم . اما موضع المشرحات فهو مكان قصر الحير والبركة التي أمامه وان أوضح دليل على أن قصر الحير والبركة من عمل المتوكل هو ان السور الذي يحيط بالمشرحات وهو السور الذي يضم حير الحيوانات وينتهي الى قصر المشرحات في الجنوب متصل في زاويته الجنوبية الغربية بالسور الذي يحوط مدينة سر من رأى من جهة الشرق فيمتد السور الأخير من الزاوية المذكورة الى قصر بركوارا غربا ومن ثم الى جامع الملوية وهناك من الدلائل أيضاً على ان النهر القديم يتفرع من القاطول الاعلى وينتهي الى حصن القادسية اعيد حفره كما اعيد تنظيم مصدر مياهه في القاطول الاعلى على عهد المتوكل . وقد قام المتوكل بهذه الاعمال خلال الثلاث عشر سنة التي قضاهها في سامراء قبل ان ينتقل الى المتوكلية .

ان من جملة الامور التي طلبت مديرية الآثار العراقية العامة الى الدكتور

هرتسفلد العلامة الالماني ، بيان رأيه فيها بموضع المشرحات ، وكان ذلك على اثر
ما نشره الدكتور احمد سوسة حول اطلال المشرحات ، فاجاب بكتابه الى المديرية
المذكورة بتاريخ ٢٧ تموز سنة ١٩٤٧ بما يلي (ان القصر الذي وصفتموه ومعه البحيرة
المنسقة كان اسمه المألوف اثناء وجودي هناك (المشرحات) ففي جهته الغربية
مباشرة يتصل به جدار ينزل من الشمال - او الشمال الغربي قليلا - وهذا الجدار
ينتهي في البناية وفي ضفة الجدول العالية وهناك في الجهة الشمالية الشرقية تقع ضفاف
القاطول الكسروي ايضاً التي تكون مع الجدار والجدول حدود ساحات الصيد
الواسعة التابعة لخائر الخير . لذلك اني اعتقد بأن بناء المشرحات انشيء خصوصاً
لفرض الصيد ويظهر مما تقدم انه لم يكن في وسع هرتسفلد تتبع آثار سور الخير كلها
لانه لم يشير الى غير ضلع واحدة منها وهي الضلع الغربية ، ثم يشير الى نهر يسير
بموازاة هذا الضلع ، وان هذا النهر هو نهر نيزك والذي ينتهي عند البركة الجعفرية
التي امام المشرحات . ويتضح مما تقدم أيضاً ان هرتسفلد يؤيد بوجه عام ما ذهب
اليه الدكتور سوسة حول القصر والحديقة أي ان القصر متصل بسور الحديقة ،
الا انه لم يتتبع تفاصيل الموضوع (١) .

(١) ري سامراء ج ٢ ص ٣٠٤ و ٣٠٥

الجسر العباسي على نهر دجلة في سامراء

أنشأ المعتصم جسراً على مجرى نهر دجلة أمام قصر الهاروني تماماً ولا تزال بقايا هذا الجسر يمكن مشاهدتها على الجانب الغربي من مجرى نهر دجلة الحالي ، وقد نصبت مضخة على سقف احد الطوق الضخمة المتبقية من آثار الجسر والمضخة عائدة الى السيد حسين العابد وهو صاحب الاراضي الزراعية المجاورة (١) وقد ورد ذكر الجسر المذكور في كتابات المؤرخين في عدة مناسبات ، ومن أوردوا ذكره المسعودي في كتابه (تاريخ مروج الذهب) فذكر ان المعتصم لما صمم على مقابلة ملك الروم (عسكر غربي دجلة يوم الاثنين في ٢ جمادي الاول سنة ثلاث وعشرين ومائتين ونصبت الاعلام على الجسر ونودي في الامصار بالنفير الخ ٠٠٠) وقد أورد ابن المعتز ذكر الجسر في ديوان شعره قال :

سقى الاله سرمن رأ القطرا
والكرخ والحس القرى والجسرا
وأشار الطبري الى الجسر ايضاً فقال في ذكر حوادث سنة ٢٥٠ هـ ان
الغاربة تحركت يوم ٣ جمادي الاول من هذه السنة فاجتمعوا قرب الجسر بسامراء
ثم تفرقوا في اليوم التالي (٢)

(١) ري سامراء ج ١ ص ٧٢ و ٧٤

(٢) تاريخ الطبري (٣ : ١٥١٥) مطبعة الاستقامة : القاهرة ١٩٣٩

وقد اشارت مس بيل الى بقايا هذا الجسر في كتابها (اموارت الى اموارت)
فقال انها عثرت عليها بطريق الصدفة أثناء عبورها نهر دجلة في القارب متجهة
نحو قصر العاشق في الجانب الغربي من دجلة ، وقالت انها لاحظت هناك اناساً
يقلمون احجار هذه البقايا ، وقد نقلت في هذا الصدد ما سمعته من الاهلين من
ان هناك بقايا اخرى من نفس البناء تقع في وسط النهر وهي تظهر في موسم الصيف
أثناء هبوط مناسيب المياه في النهر ، وهذا ما يؤكد لنا اليوم الاهلون القاطنون على
حافة النهر في هذه المنطقة . وقد استخلصت مس بيل من كلام اليعقوبي القائل ان
المعتصم لما فرغ من بناء مدينة سامراء التي في الجانب الشرقي من دجلة عقد جسراً
الى الجانب الغربي من دجلة ان الجسر كان من الجسور العائمة . وقد بنت على ذلك
رأياً هو ابعد ما يكون عن الواقع وهوان الدعامات التي شاهدها على الضفة الغربية
من نهر دجلة قد تكون رقبة الجسر على ضفة النهر فتجري منها المياه في موسم الفيضان
فقط على نمط بناء رقبتي جسر الموصل العائم القديم . اما قول اليعقوبي بان المعتصم
عقد جسراً على نهر دجلة فمعناه انه بنى جسراً على شكل الجسور ذات العقود او
الطيقان المألوفة .

العمران في الجانب الغربي من نهر دجلة

ذكر اليعقوبي في تاريخه (١) العمران على الجانب الغربي من نهر دجلة قال (لما فرغ المعتصم من الخطط ووضع الاساس للبناء في الجانب الشرقي من دجلة وهو جانب سر من رأى عقد جسراً الى الجانب الغربي من دجلة وصير الى كل قائد عمارة ناحية من النواحي وحمل النخل من بغداد والبصرة وسائر السواد وحملت الفروس من الجزيرة والشام والجبل والرى وخراسان وسائر البلدان فكثرت المياه في هذه العمارة في الجانب الشرقي بسر من رأى وصلح النخل وثبتت الأشجار وزكت الثمار وحسنت الفواكه وحسن الريحان والبقل وزرع الناس اصناف الزرع والرياحين والبقول والرتاب ، وكانت الارض مستريحة الوف سنين فزكا كل ما غرس فيها وزرع بها حتى بلغت غلة العارات بالنهر المعروف بالاسحاقى وماعليه والياتاخي والعمري والعبد المللكي ودالية بن حماد والمسروري وسيف والعربات المجدثة وهي خمس قرى ، والقرى السفلى وهي سبع قرى ، والاجنة والبساتين

(١) تاريخ البلدان لليعقوبي ص ٣٠

وخراج الزرع اربعمائة الف دينار في السنة ، واقدم المعتصم من كل بلد من يعمل عملا من الاعمال او يعالج مهنة من مهن العمارة والزرع والنخل والغرس وهندسة الماء ووزنه واستنباطه والعلم بمواضعه من الارض ، وحمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والحزف والحصر ، وحمل من الكوفة من يعمل الادهان ومن سائر البلدان من اهل كل مهنة وصناعة وانزلوا بعيالهم بهذه المواضع واقطعوا فيها ، وجعل هناك اسواقا لاهل المهن بالمدينة وبنى المعتصم العارات قصوراً وحير في كل بستان قصرأ فيه مجالس وبرك وميادين فحسنت العارات ورغب وجوه الناس في ان يكون بها لهم ادنى ارض وتنافسوا في ذلك وبلغ الجريب من الارض مالا كبيراً ثم مات المعتصم سنة (٢٢٧ هـ) .

ويقول الدكتور احمد سوسة في كتابه ﴿ ري سامراء (١) ﴾ ولما أنشأ المعتصم مدينة (سر من رأى) واتسعت ابنتها اتساعها كانت مياه الشرب تحمل من نهر دجلة الى المدينة على البغال وعلى الأبل ، ونظراً لأن الأراضي التي تقع فيها المدينة مرتفعة بالنسبة الى مستوى مياه النهر لذلك لم يكن هناك مجال لانشاء البساتين والمزارع بصورة واسعة حوالى المدينة ، ولا سيما وان الوسائط لرفع المياه لم تكن متوفرة بمقياس واسع في ذلك الزمن .

ولما كانت الاراضي في الضفة الغربية من نهر دجلة منخفضة بالنسبة الى مستوي أراضي الضفة الشرقية التي تقع فيها مدينة ﴿ سر من رأى ﴾ لذا انتقل بعض السكان الى الجانب الغربي من دجلة فحفروا هناك جداول سيحية انشئت

(١) ري سامراء ج ١ ص ٧٩

عليها الجنائن والبساتين والمزارع والقرى . وكانت هذه الجداول تتفرع
من نهر الاسحاقى الذي حفره المعتصم لارواء الاراضي الواقعة على الجانب الغربى
من نهر دجلة ارواء سيحياً .

ونهر الاسحاقى هذا يستمد المياه من نهر دجلة في نقطة تقع جنوب تكريت
بقليل فيجري من أمام مدينة (سر من رأى) بموازاة نهر دجلة من جهة الغرب
ثم ينتهي في دجلة في الحد الجنوبي لمدينة (سر من رأى) .



قبة الصليبية

تشتمل اطلال الصليبية على بناية مشمئة الشكل من اللبن الجصي تتوسطها قاعة مربعة يحيط بها رواق مشمن ، وقد اجمع الاخصائيون على انها كانت متوجة بقبة . وقد رسم هر تسفلد مخططاً مفصلاً لهذه البناية كما انه رسم مقطعاً عرضياً للبناية . ويظن البعض ان هذه البناية كانت ضريحاً لأحد الخلفاء ويرى آخرون انها كانت منظره على رأس الجسر من الجهة الغربية وهي في نفس الوقت قبة الحراس نظراً لوقوعها أمام الجسر تماماً ، ويرى هؤلاء أيضاً ان من المحتمل ان تكون البناية سميت بالصليبية لصب بعض الاشخاص على رأس الجسر بالقرب منها ، لاسيما أن التاريخ يذكر كثيراً من مثل هذه الحوادث حيث كان الصلب العلني مألوفاً في ذلك العهد .

على اننا نميل الى الأخذ بالرأى الاول وهو ترجيح كون البناء ضريحاً لشخصية مهمة لأن البناء أشبه بقبب الاضرحه منه الى أي طراز آخر . ولا بد من الاضافة في هذا الصدد الى ان البناء يقع في أعلى نقطة من هذه المنطقة وهذا يتفق والعادة المتبعة باقامة المقابر على الاماكن المرتفعة (١)

(١) ري سامراء ج ١ ص ٩١ ، ٩٣ ، ٢٨٤

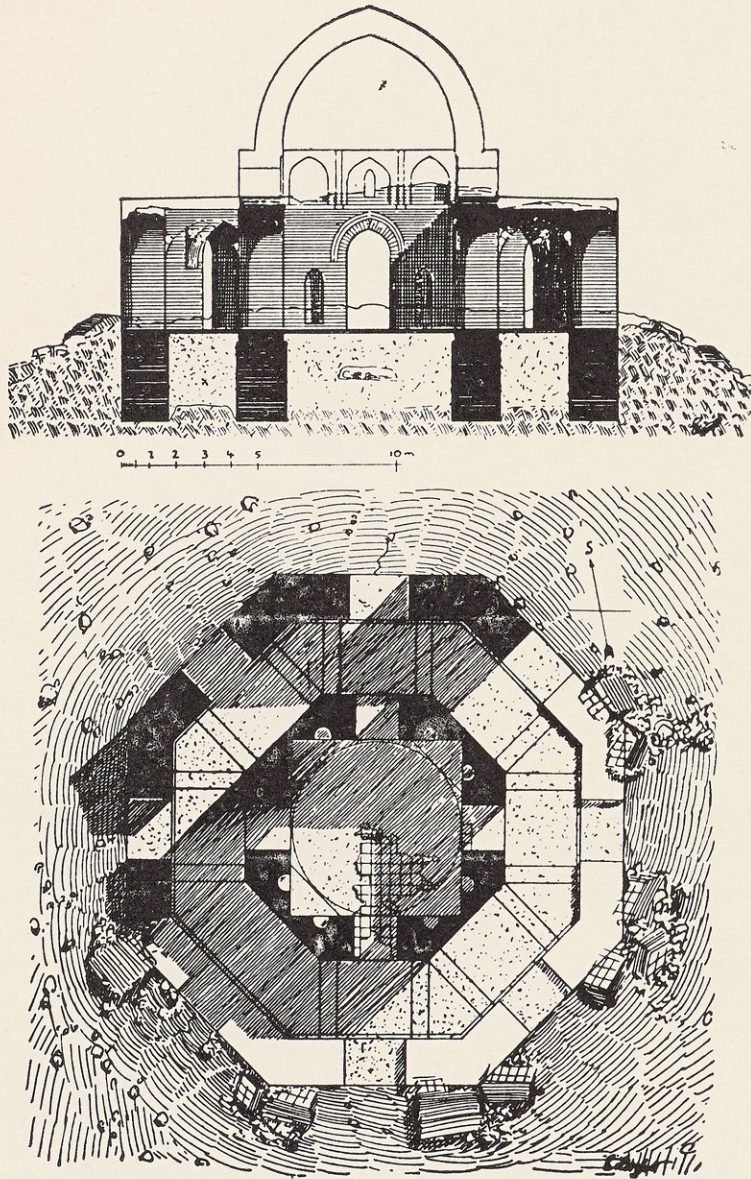
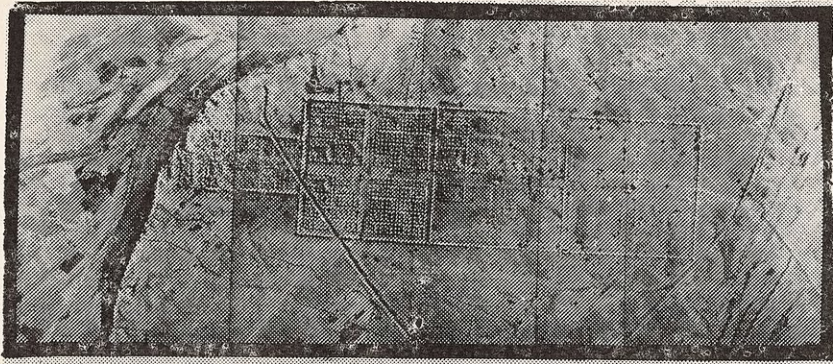


Abb. 6. Schnitt und Grundriß der Qubbat al-Sulaibiyyah

٣١ - مخطط قبة الصليبية حسب رأي هرتسفلد



خارطة الاصطبلات
(14-15)

تاريخ: ٢٧-١-١٩٤٦
الموقع: ١٠٠
الارتفاع: ٣٦٠
في طريق المنكسر، ١٩٤٦

٣٢ - منظر جوي لمسكر الاصطبلات



٣٣ - سور مسكر الاصطبلات

ومما هو جدير بالذكر ان هر تسفلد يرى انه من المحتمل جداً ان تكون
﴿قبة الصليبية﴾ موضع قبر المنتصر الذي كان قد انشيء في شهر ربيع الثاني من
سنة ٢٤٨ هـ مستنداً الى ما ذكره الطبري من أن المنتصر (هو أول خليفة من بني
العباس فيما قيل عرف قبره وذلك ان امه طلبت اظهار قبره ٠٠٠ واسم امه
حبشية وهي أم ولد رومية (١) ويرى هر تسفلد أيضاً ان مقبرة المنتصر هذه كانت
تضم ، علاوة على قبر المنتصر ، قبري المعتز والمهتدي مستنداً الى قول الطبري
أيضاً من ان المعتز لما مات في سنة ٢٥٥ هـ (اشهد على موته بنوهاشم والقواد فدفن
مع المعتز في ناحية قصر الصوامع (٢) وكذلك قوله من ان المهتدي محمد بن الواثق
لما توفي في سنة ٢٥٦ هـ (صلى عليه جعفر بن عبد الواحد وعده من اخوة امير
المؤمنين ودفن في مقبرة المنتصر (٣) ومما حمل هر تسفلد على الوثوق من اعتقاده
المذكور انه قام ببعض الحفريات في أرضية (القبة) فعثر على ثلاثة قبور اسلامية
تحتها ، ويرى كيزوبيل انه اذا صح رأي هر تسفلد هذا امكن ان نعد (قبة الصليبية)
من بين اقدم المقابر الاسلامية كما انه يرى ان القبة تعود الى عهد متأخر من عصر
سامراء العباسي لانها مبنية بنفس المادة التي بني بها (قصر العاشق) وهو القصر
الذي انشيء على عهد المعتمد .

(١) الطبري (٣ : ١٤٩٨)

(٢) الطبري (٣ : ١٧١١)

(٣) (٣ : ١٨٢٣) مطبعة الاستقامة - القاهرة ١٩٣٩

جسر حربى

يقع هذا الجسر على مجرى نهر دجيل على بعد ٢٢ كيلومتراً من صدره وعلى مسافة حوالي ٩٠ كيلومتراً من شمال بغداد بالقرب من اطلال مدينة حربى وهو يقع بالجانب الغربى من سكة القطار الممتدة بين بغداد والموصل . وكان يقع سابقاً على الطريق العام بين بغداد وسامراء إلا أن الشارع غير اتجاه سنة ١٩٦٠م وقد أنشأ الجسر هذا الخليفة المستنصر بالله العباسي وقد انشيء على عرض مجرى النهر في خط يمتد من الشمال الى الجنوب . وللقنطرة أربع فتحات يبلغ عرض كل من الفتحتين الجانبيتين ٥٠ مترأ وعرض كل من الفتحتين الوسطيتين ٨٠م وهناك ثلاث فتحات صغيرة بين الفتحات الاربع الكبيرة عرض كل منها ١٥٠م فيبلغ بذلك مجموع عرض مجرى الماء من تحت القنطرة ٢٢٦٠ مترأ اما مجموع طول الجسر فيبلغ ٥٤ مترأ وعرضه ١١٨٠ مترأ . وقد انشيء الجسر على طريقة العقادات الرأسية العربية الطراز (Pointed arches) بالآجر المفخور . ونجري مياه نهر دجيل الشتوية في الوقت الحاضر من تحت هذا الجسر . وكان قد انشيء جسر الى جانبه لعبور السيارات والناس لما كان الشارع العام يمر به وذلك بغية المحافظة على بقايا الجسر الأثرية . واهم ما في بقايا هذا الجسر الكتابة التي على

جيبتيه ، وهي تمتد على (١) طوله من اعلاه لمسافة مائة متر تقريباً . وهذه هي :

١ - الكتابة في الجبهة الغربية :

(بسم الله الرحمن الرحيم واقموا الصلوة وآتوا الزكوة واقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله ان الله غفور رحيم . الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً . أمر بانشاء هذه القنطرة المباركة تقريباً الى الله تعالى الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً وطلباً للفوز بجنات الفردوس التي اعدّها للذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلاً سيدنا ومولانا الامام إمام المسلمين ووارث الانبياء والرسلين وخليفة رب العالمين وحجته البالغة على الخلق أجمعين) .

٢ - الكتابة في الجبهة الشرقية :

(الذي ايد الله تعالى باعزاز نصره الدين واقترض طاعته على الحاضرين والبادين (واختصه من جليل بما) يعجز عنه حصر العاديين أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين مكن الله له في ارضه تمكن الوارثين ورفع مقدس اعماله الصالحات الى عليين ونشر بعدالته الزاهرة في آفاق الارضين وأوضح للخلائق بولاية سبيل الرشاد ومنهج الحق المبين بن الامام السعيد البر التقي أبي نصر محمد الظاهر بامر الله بن الامام السعيد الزكي الطاهر الوفي أبي العباس الناصر لدين الله بن الامام السعيد الزكي أبي الحسن محمد المستضيء بامر الله أمير المؤمنين ووارث

(١) ري سامراء ج ١ ص ٤٩٥ و ٤٩٦

الخلفاء المرشدين الذين قضوا بالحق. وبه كانوا يعدلون صلوات الله وسلامه عليهم
أجمعين وذلك في سنة تسع وعشرين وستمئة وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله
الطاهرين وسلامه .

لقد اختلف المؤرخون والكتاب في نقل هذه الكتابة ، فقد نقلها فيليكس
جونس ونشرها في كتاب سجلات حكومة بومباي سنة (١٨٥٧ ص ٢٥٢ - ٢٥٦)
كما نقلها الدكتور مصطفى جواد فنشرها في مجلة لغة العرب (مجلد ٨ ، ١٩٣٠ ص
٣٢٢ - ٣٢٣) ، ونقلها ايضاً السيد محمود شكري الآلوسي في مخطوط بحوزة الاستاذ
كور كيس عواد ، واخيراً نقلتها دائرة الآثار فنشرتها عن جسر حربي المطبوعة في
مطبعة الحكومة سنة ١٩٣٥ . وتختلف هذه النصوص بعضها عن بعض الأمر الذي
حمل الدكتور احمد سوسة على الرجوع الى الصور الفوتوغرافية المكبرة فنقله عنها النص
المدون اعلاه ، وقد ساعده في تدقيقه الاستاذ كور كيس عواد .

معسكر الاصطبلات

تقع اطلال معسكر الاصطبلات في الضفة الغربية من دجلة على بعد حوالي خمسة عشر كيلومتراً من مدينة سامراء الحالية جنوباً (وتتألف من حيث الاساس من مستطيل صغير متصل بمستطيل كبير يبلغ طول ضلع المستطيل الصغير نحو خمسمائة متر وعرضه مائتين وخمسة عشر متراً كما يبلغ طول المستطيل الكبير ألفاً وسبعمائة متر وعرضه خمسمائة وخمسين متراً وان كلا المستطيلين محاطان بسور مدعوم بابرّاج والمستطيل الصغير مقسم الى سلسلة احواش منتظمة واما المستطيل الكبير فمقسم الى ثلاثة اقسام متساوية تفصل بينها اسوار شبيهة بالاسوار الخارجية وان المربع الشرقي من هذه الاقسام الثلاثة كامل البناء حيث يشاهد فيه شارعان رئيسيان عريضان يتقاطعان من منتصفيهما في اتجاه عمودي على جدران السور وعلى الشوارع الاربعة التي تمتد على طول الاسوار والمربعات الاربعة التي تتكون على اضلاع هذين الشارعين المتعامدين تنقسم بدورها الى اقسام عديدة بشوارع طويلة وعرضية كلها متعامدة او متوازية واما القسم الاوسط من المستطيل الكبير فقليل البناء واما القسم الغربي فمحروم من المباني فلا يرى فيه شيء غير خطوط الشوارع ومن الواضح ان الاصطبلات كانت معسكراً كبيراً مع دور للقواد وتكنسة للجنود

وساحات للخيم) ومما يلفت النظر ان الاضلاع الجانبية للمستطيلين المذكورين تمتد في اتجاه الشمال الحقيقي تماماً (١)

وكان يحيط بالمعسكر سور خارجي طويل يبدأ في الشمال من حافة نهر دجلة الغربية في المكان المعروف باسم (تل بندري) وهو التل الواقع على بعد حوالي عشرة كيلومترات من جنوب مدينة سامراء الحالية ، فيمتد الى مسافة ستة وعشرين كيلومتراً غربي المعسكر ثم ينتهي جنوباً الى حافة دجلة الغربية أيضاً عند التل الأثري المعروف باسم (تل مسعود) الواقع على بعد ثلاثة عشر كيلومتراً من جنوب (تل بندري) وكان هذا السور محصناً بأبراج عدة في المنعطفات وفي المداخل الرئيسية للمعسكر ومن جملة هذه الأبراج البرجان الواقعان في (تل بندري) و (تل مسعود) وقد أنشأ في أول السور وفي منتهاه في مكان اتصالها بحافة نهر دجلة .

أما مساحة أرض المعسكر بما فيها مساحة الثكنات التي في داخل السور ، وهي حوالي ٤٢٠ دونماً عراقياً ، (مشارة) فتبلغ ثمانية وخمسون كيلومتراً مربعاً (أى حوالي ٢٣٣.٠٠٠ مشارة) .

وقد رسم الدكتور احمد سوسة في كتابه (ري سامراء) خارطة تبين حدود السور الخارجي للمعسكر وحدود الثكنات التي داخل السور وقد رسمت بعد تتبع آثارها وتدقيقها في مواقعها . ويشاهد في الخارطة المذكورة ان السور الخارجي بعد أن يترك (تل بندري) الى يمينه في الزاوية التي يشكلها من الخارج باتصاله

(١) ري سامراء ج ١ ص ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١

١٠٢ و ١٠٣

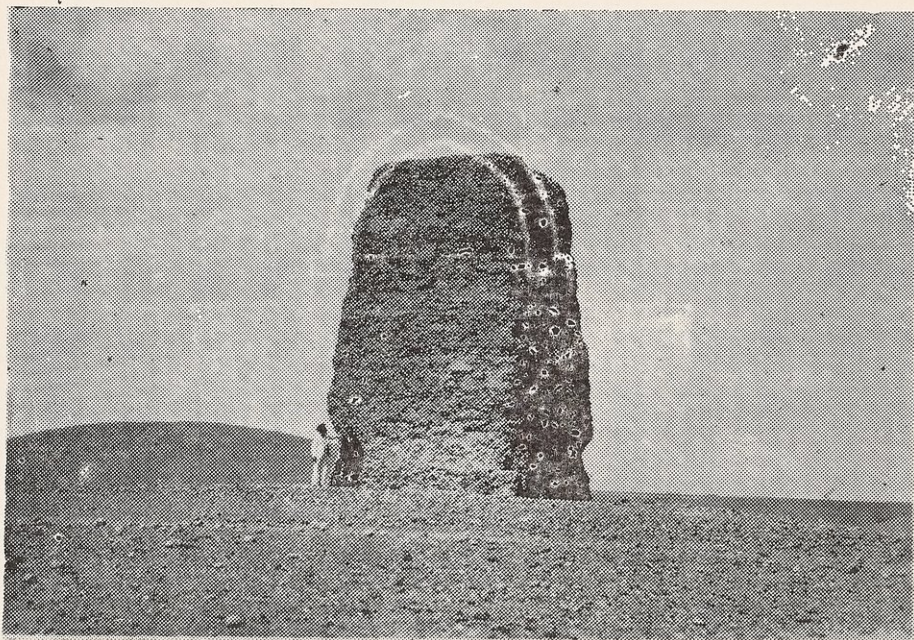
مع حافة نهر دجلة يسير جنوباً بانحراف قليل نحو الغرب مسافة (١٢٠٠ متراً) ومن ثم ينتطف نحو الغرب وبعد أن يسير نحو ٦٠٠ متر في الاتجاه الاخير يعرج الى الجهة الجنوبية الشرقية فيسير في هذا الاتجاه زهاء ٧٠٠ متر مشكلاً مثلثاً احدى ضلعيه المستطيلتين في الشمال والاخرى في الجنوب وقاعدته تتكون من الفتحة التي في الشرق بين الضلعين المذكورين . ويقترب مجرى الاسحاقى الذى تنحدر من الشمال من الزاوية التي في رأس المثلث ومن هنا يلزم السور فيسير بمحاذاة من الخارج حتى نهاية السور في الجهة الجنوبية الشرقية ويوجد في آخر الضلع الجنوبية للمثلث باب رئيسي يواجه (القبلة) فتشاهد آثار بناء هذا الباب وآثار قنطرة العبور على نهر الاسحاقى الذى يسير بمحاذاة السور من الخارج وتشكل بقايا بناء الباب تلامن انقاض الآجر والحص ، أما قنطرة العبور التي بجانب الباب غرباً فقد استخراج آجرها حتى اعتمق نقطة من الاساس . ومن الباب يسير السور نحو الجنوب الشرقي بصورة متعرجة حتى اذا ما قطع مسافة ٦٠٠ ر٥ كيلومتراً على هذه الصورة وصل الى جوار الزاوية الجنوبية الغربية لحدود بناء الثكنات المستطيل فيصبح على بعد مائتي متر عن تلك الزاوية .

ويوجد في هذه النقطة من السور مدخل رئيسي للمعسكر والثكنات تقع عنده آثار برج كما تقع على جانبه من الخارج قنطرتا عبور على مجرى نهر الاسحاقى وفرعه اللذين يسيران بمحاذاة السور . وبهذا يشكل بناء الثكنات حاجزاً مستطيلاً يمتد على عرض المعسكر بين نهر دجلة والسور الخارجى للمعسكر هذا باستثناء فتحة المائتي متر التي بين الركن الجنوبي الغربى للبناء والسور الخارجى للمعسكر ، ومن هنا يستمر السور في سيره الى الجنوب الشرقي على شكل شبه قوس

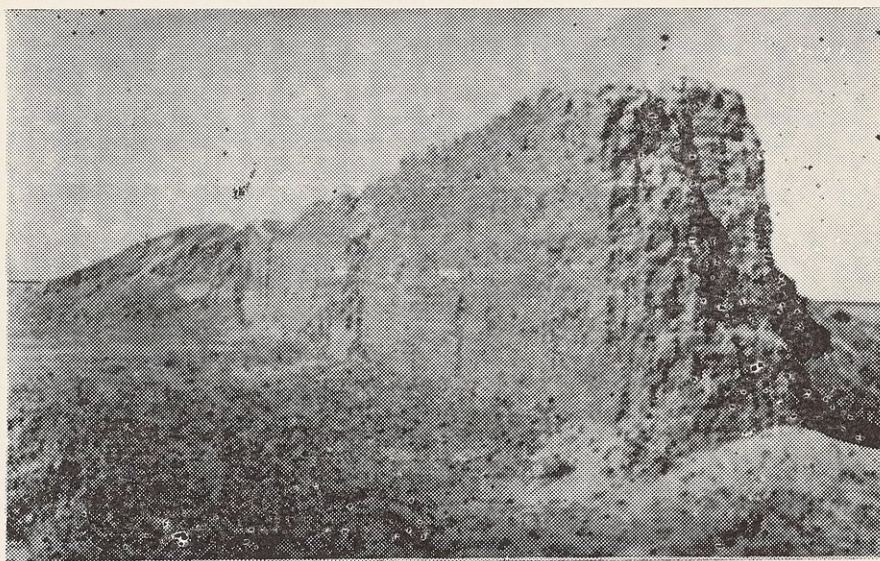
حتى اذا قطع مسافة ستة كيلومترات في هذا الاتجاه وصل الى ركن بارز ياخذ السور منه في اتجاهات هندسية مستقيمة في متعرجاته . فينعطف نحو الجنوب الشرقي فيسير مسافة ٧٠٠ ر ٢ كيلومتراً في اتجاه مستقيم ، ثم يميل الى الشرق فيسير في اتجاه مستقيم هندسي أيضاً مسافة ٤٠٠ ر ٣ كيلومتراً في هذا الاتجاه ويقع على هذه الضلع الاخيرة مدخلان المعسكر يشاهد الى جانبها آثار ابراج لحماية المدخلين المذكورين في أوسع ساحاته بالنسبة الى المسافة التي تمتد عرضياً بين نهر دجلة والسور الخارجي ، حيث تبلغ هذه المسافة زهاء سبعة كيلومترات ، وفي نهاية الضلع الاخيرة يرجع السور الى الشمال بانحراف قليل الى الغرب راجعاً الى حافة نهر دجلة فيشكل زاوية قائمة داخلها آثار برج كبير ، فيسير في اتجاه مستقيم مسافة ٢٠٠ ر ٤ كيلومتراً وينتهي في حافة مجرى دجلة عند (تل مسعود) الواقع داخل الزاوية التي يشكلها السور باتصاله مع حافة نهر دجلة ويعترض السور في اتجاهه الاخير نهر دجيل الحالي فيقطعه على مسافة كيلومتر واحد من (تل مسعود) جنوباً كما يعترضه ايضاً خط سكة حديد بغداد - سامراء وطريق بغداد - سامراء العام فيقطعانه على بعد حوالي كيلومتر من نهر دجيل جنوباً .

ويتصل السور عند رأس الزاوية القائمة التي تشكلها الضلع الاخيرة المتجهة نحو دجلة مع الضلع التي قبلها بجدار مرتفع يعرف بـ (عركوب المطبك) وهو جدار ضخيم قديم مبني باللبن ومحصن بابراج ضخمة يرجع الى ما قبل عهد العرب ، فكان يبدأ من ضفة نهر دجلة الغربية من قرب امام الخضر الحالي ثم يمتد في الجهة الجنوبية الغربية نحو أرض الجزيرة التي بين دجلة والفرات .

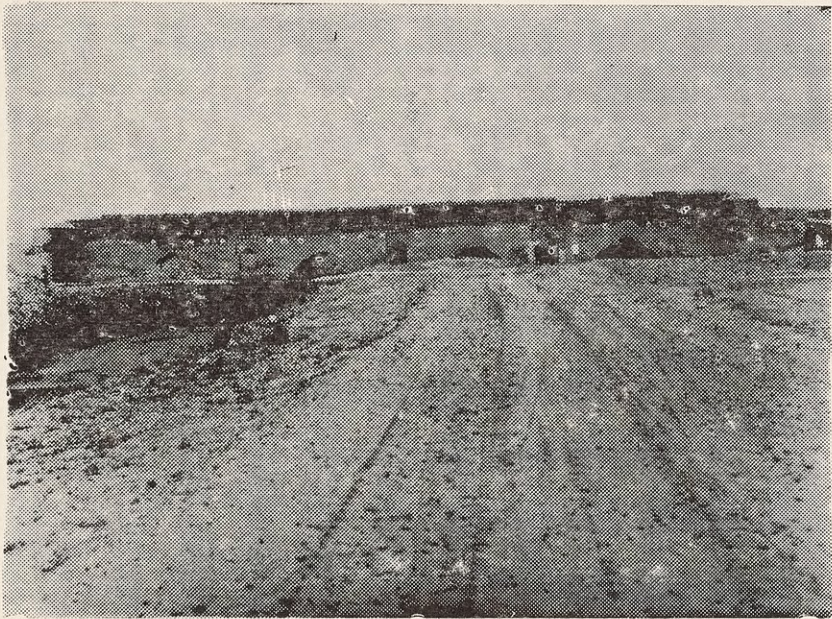
ويوجد خلف الجدار من الجهة الغربية خندق عمق يسير الى محاذة الجدار



٣٤ - برج القائم



٣٥ - السور المادي



۳۶ - جسر حربي

ويظهر ان هذا الخندق كان يستمد المياه من ضفة نهر دجلة اليمنى فيؤلف حاجزاً مائياً خلف الجدار وقد ظن المؤرخون والكتّاب الافرنج بان هذا الجدار هو (سور الميديين) الذي ورد ذكره في الكتب اليونانية القديمة .

وكان نهر الاسحاقى الذي انشأه المعتصم يأتي من الشمال فيسير بمحاذاة سور معسكر الاصطبلات غربا وجنوبا ثم بعد ان يقطع (جدار المطبك) وخندقه يسير شرقا حتى ينتهي في نهر دجيل القديم فيصب فيه . ونهر دجيل هو النهر القديم الذي يقع شرقي (جدار المطبك) والذي يسميه الاهلون (عركوب الفرحاتية) وكان يتفرع من ضفة دجلة الغربية شرقي (تل مسعود) فيسير في الجهة الجنوبية الشرقية في وسط الجزيرة التي بين دجلة والفرات حتى ينتهي في متخض عقرقوف ولاحاطة السور بخندق من المياه من اطرافه كافة فتح في شماله فرع من الضفة اليسرى من نهر الاسحاقى في نقطة تقع مقابل (تل بندري) فيسير خلف السور في قسمه الاعلى الذي يمتد ما بين نهر الاسحاقى ودجلة ثم ينصب في دجلة .

وهكذا احيط المعسكر بالمياه من كل اطرافه ، فنهر دجلة ودجيل يحدها من الشمال والشرق ، ونهر الاسحاقى يحده من الجنوب والغرب ، ويحده في أقصى الشمال الفرع الذي يمتد ما بين نهر الاسحاقى ونهر دجلة أمام (تل بندري) .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان القدماء كانوا يحرصون الحرص كله على ان يجعلوا تحصيناتهم محاطة بجواز من المياه على شكل خنادق عميقة تملأ بالمياه فيصعب عبورها بدون واسطة عبور او سباحة ، لذلك نجد ان أكثر الاسوار والجدران القديمة التي نشاهدها في مختلف أنحاء العراق ، ولا سيما تلك التي ترجع الى ما قبل عهد العرب ، تحاذيها خنادق عميقة

لتحقيق هذا الغرض .

وكان نهر الاسحاقى عدا احاطته سور معسكر الاصطبلات بحاجز مائي
يمون المعسكر بالمياه ، ولتحقيق هذا الغرض كانت هناك ثلاثة فروع رئيسيه تنفرع
من ضفته اليسرى فتخترق المعسكر ثم يصب بعضها في نهر دجلة والبعض الآخر
في نهر دجيل الواقع في الجنوب . فالفرع الاول وهو الفرع الشمالي كان يتفرع في
نقطة تقع على بعد حوالي كيلومترين من جنوب شرقي المدخل الرئيسي للمعسكر
وهو المدخل الواقع في القسم الشمالي من السور الخارجي فيخترق السور من تحته
وبعد ان يمتد عرض المعسكر في القسم الواقع شمال غربي بناء الشكنات يصب في دجلة
وبلي هذا الفرع الاوسط وهو الفرع الذي كان يتفرع من نهر الاسحاقى في
نقطة تقع على بعد ١٨٠٠ متر من جنوب شرقي صدر الفرع الشمالي ، فيخترق
السور من تحته ثم يتجه الى جهة الشكنات فيدخلها من الناحية الشمالية وبعد ان
يخترقها يصب في دجلة أيضاً وهناك ناظم خاص انشيء على نهر الاسحاقى في
جنوب فوهة هذا الفرع مباشرة لحجز المياه امام الناظم وتحويلها بمنسوب عال الى
الفرع المذكور .

ويشتمل هذا الناظم على ثلاث فتحات ، ولا تزال آثاره ظاهرة في جنوب
مأخذ الفرع مباشرة ، وقد استخرج آجر البناء الى حد الاساس بحيث ظهرت
معالم الاساسات بكل وضوح ، فعدت اشبه شيء بالحفائر الهندسية التي تحفر عادة
قبل بناء اساسات الناظم وفي جنوب هذا الناظم على مسافة حوالي نصف كيلومتر
من موضعه يتفرع الفرع الثالث وهو الفرع الجنوبي فيسير بين نهر الاسحاقى وبين
سور المعسكر مسافة ٥٨٠٠ متر ثم يدخل المعسكر من تحت السور ايضاً الى خارج

المعسكر بالقرب من ملتقى السور بجدار المطبك فيخترق جدار المطبك وخذقه ثم يتجه نحو نهر دجيل القديم فيصب فيه على مسافة حوالي اربعة كيلومترات ونصف كيلومتر من مقدم مصب نهر الاسحاقى في نهر دجيل وهناك ناظم ثان انشئ على نهر الاسحاقى في جنوب مأخذ الفرع الجنوبي هذا مباشرة بحجز المياه امام الناظم وتحويلها بمنسوب عال الى الفرع المذكور كما انشئ ناظم في فوهة هذا الفرع لتنظيم المياه التي تدخل اليه ويستدل من آثار الناظمين المذكورين ان الناظم الواقع على نهر الاسحاقى يتألف من فتحتين والناظم الواقع في فوهة الفرع من فتحة واحدة وقد انشئت على مسافة قصيرة جنوب فوهة هذا الفرع قنطرة تان للعبور عند المدخل الى الشكنات احدهما على نهر الاسحاقى وهي ذات فتحتين والاخرى على الفرع وتشتمل على فتحة واحدة .

ومما يلفت النظران قسماً كبيراً من أراضي المعسكر كان يستعمل لاحداث مراعى اصطناعية لجياد الجيش الامبراطوري ، واما القسم المبني ضمن السور الداخلي فكان معداً لسكنى الجنود والضباط . وكان بعض اراضي المعسكر وخاصة القسم الجنوبي الشرقي الذي يشكل اوسع بقعة داخل المعسكر يفجر بالمياه من فروع نهر الاسحاقى المار ذكرها فيتكون بذلك المرعى المطلوب وهو ما نسميه « الجاير » وكانت هذه الطريقة متبعة في القطر العراقي منذ اقدم الازمنة وقد استمر استعمالها في المقاطعات الواسعة حتى شرع في تنظيم الري وسن قانون الري والسداد العراقي الذي يمنع احداث مثل هذه المراعى في الاراضي الزراعية واذا تصورنا وضع الجياد وهي ترعى رعي الاغنام في داخل سور المعسكر اتضح لنا ضرورة تحقيق مشروع النهر الذي يفضي الى المعسكر لتأمين مياه الشرب لتلك الجياد فلا يضطر

الجنود الى نقل مياه الشرب اليها من نهر دجلة .

ولا بد ان نبحث عن تاريخ انشاء هذا المعسكر وعن قام بانشاءه ، وهل كان من عمل المعتصم أو من عمل المتوكل أو غيره من خلفاء سامراء ؟
وإذا رجعنا الى المدونات التاريخية فاننا لانجد فيها ما وصلنا الى أية معلومات صريحة في هذا الصدد لذلك كان لزاماً علينا ان نستند الى نتائج التبعات العملية حول صلة المعسكر بالأعمال الأخرى في سامراء ولما كان مشروع نهر الاسحاقى اوثق دليل يستند اليه في التوصل الى معرفة العهد الذي انشئ فيه المعسكر وكان هذا المشروع (نهر الاسحاقى) قد انشئ في عهد المعتصم ايضاً بدليل ان فروع النهر كانت تفضي الى المعسكر .

والظاهر ان من اهم الاغراض التي كان نهر الاسحاقى يرمي الى تحقيقها اقامة نهر جار على محاذاة السور الخارجي للمعسكر لتقوية وسائل التحصين خلف السور وذلك بحسب القاعدة العسكرية التي كانت متبعة حينذاك واعني انشاء الخنادق خلف الاسوار واملائها بالمياه لتكون حواجز مائية تحول دون الوصول الى تلك الاسوار .

وعلينا ان نتساءل الان هل كان انشاء المعسكر اثناء اقامة المعتصم في القاطول اي اثناء شروعه في بناء عاصمته في القادسية التي تقع امام معسكر الاصطبلات في الجانب الايسر من دجلة أم انه كان بعد عدول المعتصم عن فكرة انشاء المدينة في القاطول وانتهائه الى موضع سامراء؟؟ فاننا نرى ان المعتصم شرع في بناء هذا المعسكر اثناء مكوته في القاطول وبعد ان انتقل الى موضع سامراء واتجهت نيته الى بناء العاصمة هناك ارتأى ضرورة الاستفادة من موضع هذا المعسكر المنعزل

فاضاف اليه سوره الخارجي كما انه انشأ نهر الاسحاقى لتموينه بالمياه واحداث المراعى للحياد واحاطة السور بخندق للمياه وقد استدلت الدكتور سوسة على ما تقدم وجود كهاريز وسط بناء الشكنات يستدل منها على ان المعتصم قبل ان يفتح نهر الاسحاقى كان قد استعان ببعض الكهاريز التي تستمد مياهها من الينابيع الواقعة في منطقة الجزيرة غربي المعسكر لا يصال المياه الى داخل المعسكر .

ويرى السيد امير علي صاحب كتاب (مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي) ان المعتصم هو الذي شيد معسكر الاصطبلات ليستوعب جياد الجيش الامبراطوري وقد كان عددها (١٦٠) الف حصان والذي يلفت النظر ان المستر لاين صاحب كتاب (المسائل البابلية) يذهب الى ان آثار نهر الاسحاقى واطلال معسكر الاصطبلات وهنالك من بقايا ابنية قديمة في هذه المنطقة انما تعود الى العهد البابلي وانها كانت تحصينات تتصل بمشروع (سد نمرود) القديم ويضيف الى ذلك قوله انما ذكره المؤرخون العرب عن انشاء نهر الاسحاقى في عهد المعتصم غير صحيح ويورد مثالا لاختفاء الجغرافيين القدماء في وصفهم للجداول القديمة منها ما ذكره ابن سرايون من ان نهر دجيل كان يتفرع من نهر الفرات ومن الغريب ان يرى هر تسفلد في آثار الاصطبلات الرأي الذي أيده في كتاب ارسله الى المؤلف بتاريخ ٢٩ آب ١٩٤٧ انه يحتمل ان تكون هذه الآثار من بقايا اطلال قصر العروس الذي ورد ذكره في كتب المؤرخين من العرب مستنداً في رأيه هذا الى ما جاء في كتاب الاغاني من وصف رحلة نهريه قام بها المتوكل بصحبة ولادة اليهود من سامراء الى قصر العروس وفيما يلي ترجمة كلامه هذا قال (اما اطلال الاصطبلات فمن الصعب التوصل الى تشخيص ما كانت عليه

إذا استندنا الى المدونات التاريخية ولكن من المحتمل ان تكون بقايا قصر العروس الكبير فقد جاء في الاغاني (٩ : ٣٢) ان جماعة من المحتفلين اجروا من جسر سامراء نهراً حتى وصلوا الى هذا القصر الامر الذي يدل على ان القصر كان على الضفة الغربية وكان قد كلف انشاء هذا القصر مبلغاً كبيراً كما ذكره ياقوت (٣ : ١٧) لذلك يحتمل انه كان اوسع قصور سامراء)

اما وصف الاغاني الذي أشار اليه هرتسفلد فهذا نصه (اخبرني حفظة قال حدثني ميمون بن هرون قال : لما عقد المتوكل لولاية العهود من ولده ركب بسر من رأى ركة لم ير احسن منها ولاية العهود بين يديه والاتراك بين ايديهم اولادهم يمشون بين يدي المتوكل بمناطق الذهب في ايديهم الطبرزينات المحلاة بالذهب ثم نزل في الماء فجلس فيه والجيش معه في الجوانحيات وسائر السفن وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له العروس واذن للناس فدخلوا اليه فلما تكاملوا بين يديه مثل ابراهيم بن العباس بين الصفيين فاستأذن في الانشاد فاذن له فقال :

ولما بدا جعفر في الخميس بين المطل وبين العروس

فيتضح من النص المذكور انه ليس فيه اية اشارة او دليل على ان قصر العروس كان في الجهة الغربية من دجلة او انه كان جنوبي سرمن رأى او شماليها ولا ندرى كيف توصل هرتسفلد الى الرأي الذي تقدم ذكره في حين ان كل ما في الاصطبلات من الآثار ينطبق بكونها تكنات للجيش وقد يكون في التسمية وحدها المتوارثة حتى اليوم اي الاصطبلات كفاية للدلالة على انها كانت اصطبلات الجيش العباسي .

السور المادي

جاء في كتاب المرشد الى مواطن الآثار والحضارة للاستاذين طه باقرو فؤاد سفر ما نصه ﴿ بمسافة ٩٠ كيلومتر عن الكاظمية يشق الطريق الى سامراء بقايا سور من اللبن عرف باسم (السور المادي) ويلاحظ في هذا الموضع انه مكون من جدار ثخنه ١/٥٠ م والباقي من ارتفاعه نحو ٤ - ٥ م وهو من اللبن المربع الكبير بمعدل ٢٩ × ٢٩ × ١١ سم . ومدعم بابراج نصف دائرية من الشمال ويرى احدها بالقرب من يسار الطريق . وهناك خندق محفور بحذاء الوجه الشمالي ولا يعلم بالضبط تاريخ هذا الجدار والغاية من تشييده فهو يبدأ من دجلة الى الشمال من بلد قاطعاً ما بين النهرين الى الصقلاوية على الفرات بالقرب من الفلوجة .

والشائع ان نبوخذ نصر الملك البابلي (٦٠٥ - ٥٦٢ ق م) قد شيده للدفاع عن مملكة بابل ازاء الماديين ومن هنا جاء اسمه اي السور المادي كما ذكره مؤرخون اغريق ورومان منهم هيرودوتس (القرن الخامس ق م) . وزينفون (٤٠١ ق م) وديودورس الصقلي (منتصف القرن الاول ق م) ويجوز تفسير وظيفته ايضاً بانه حد فاصل بين بلاد بابل وبلاد آشور التي صارت تابعة للماديين بعد سقوط نينوى عام ٦١٢ ق م .

وقد ذكر الجغرافي اليوناني الشهير (اراستينس) - القرن الثالث قبل الميلاد - على ماروى سترابو في جغرافيته ان الملكة سميراميس بنت جدار في موضع يكون فيه بعد الفرات عن دجلة ٢٠٠ ستاديا . والستاد يوم وحدة قياس يونانية تساوي ١٨٥ م . ومما لا شك فيه انه كان يقصد الجدار الذي ذكره زينفون بالجدار المادي .

أما الدكتور احمد سوسة فقد ذكر في كتابه (ري سامراء) حول هذا ما ينفي ما تقدم حيث قال (ومما يدل على ان الاقدمين كانوا يعلقون على مشروع سد نمرود أهمية كبرى أنهم أقاموا في جواره تحصينات عسكرية ضخمة لصد هجمات الاعداء والحيلولة دون وقوع هذا الموضع الاستراتيجية الحيوي بأيدي العدو . وما زالت هذه التحصينات ماثلة للعيان ، فهي تتألف من جدار ضخم من اللبن مدعم بدعامات كبيرة .

ومما يلفت النظر ان اللبن المستعمل في البناء يبلغ من الحجم بحيث يضاهي اكبر أنواع الآجر البابلي القديم ، وليس في هذه المنطقة ما يساوي حجمه غير اللبن المستعمل في بناء حصن القادسية الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية من موضع سد نمرود وأبنية الحصون الفارسية القديمة .

أما الجدار فيبدأ من الضفة اليمنى من نهر دجلة في نقطة تقع في جوار موضع سد نمرود من جهة الغرب فيمتد غربا مخترقا الأراضي السهلة الواقعة على الجانب الغربي من دجلة وبعد أن يسير مسافة حوالي عشرة كيلومترات في هذا الاتجاه ينتهي الى حدود الأراضي الصحراوية المرتفعة . ويعرف هذا الجدار اليوم باسم (عرقوب المطبق) ويمكن المرء ان يتتبع آثاره بين (إمام الخضر) وحدود

الصحراء المرتفعة بكل سهولة نظراً لضخامته وارتفاعه . وتشاهد في نهاية الجدار آثار بناء مربع يبلغ طول ضلعه زهاء ثلاثين متراً ، وفي كل من الاركان الاربعة لهذا البناء برج ضخم ينظر منه الى مسافات بعيدة من جميع أطراف الصحراء المجاورة كما تشاهد آثار خندق عميق يسير الى محاذة الجدار شمالاً وقد انشيء هذا الخندق وفق الطريقة التي كان يتبعها الاقدمون في انشاء تحصيناتهم العسكرية وكان الخندق المذكور يستمد مياهه من نهر دجلة من أمام سد نمرود (١)

ومما لا شك فيه ان للجدار المذكور صلة مباشرة بالسد الذي كان قد أقيم على مجرى دجلة في هذا الموضع ، أى موضع سد نمرود على ان الكثير من الكتاب والمحققين الآثاريين قد توهموا فظنوا ان هذا الجدار كان يمتد في الصحراء الواقعة بين نهر دجلة والفرات ، فيبدأ من ضفة دجلة اليمنى وينتهي الى ضفة الفرات اليسرى وان السور التاريخي المشهور المعروف باسم ﴿سور الميديين﴾ وهو السور الذي أشار اليه زينفون في كتابه عن حملة العشرة آلاف المشهورة ونعني بذلك الحملة التي نظمها كورش الصغير في اليونان في سنة ٤٠١ قبل الميلاد ووجهها ضد أخيه ارتاكس للاستيلاء على عرش المملكة الفارسية في بابل و (سور الميديين) وهو الاسم الذي اطلقه المؤرخون والباحثون على التحصينات التي كان قد أقامها البابليون لاستخدامها في الدفاع عن مملكتهم وصد عادية الميديين عنهم .

وقد وصف المستر جيزني رئيس البعثة البريطانية التي قامت بمسح نهري دجلة والفرات بين سنة ١٨٣٥ و سنة ١٨٣٧ الجدار في قسمه الواقع قرب نهر

(١) ري سامراء ج ١ ص ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٧

دجلة فقال ان ارتفاعه يتراوح من ٣٥ الى ٤٠ قدماً وان هناك أبراجاً كثيرة على
جهته الشمالية تقع على بعد مسافات متقاربة ، ثم ذكر ان هناك آثاراً لحدق عرضه
٢٧ متراً تقريباً بنيت اطرافه بالحصى والنورة يقع في الجهة الشمالية من الجدار
ويسمى باسم (الجالي) وقد ذهب المستر جيزني الى ان هذا الجدار يمتد الى نهر
الفرات مستنداً بذلك الى كتابات المستر فيتز جيمس (fitz James)
والدكتور روس (Dr . Ross) والملازم لنج (tI lynch) الذين سبقوه
في ابداء هذا الرأي المبني على الحدس دون ان يتبعوا آثار
الجدار وسط الجزيرة .

ويتضح مما تقدم ان ما ذهب اليه هذا الفريق من ان السور يمتد الى نهر
الفرات لم يكن الا استنتاجاً وهمياً مستنداً الى آثار الجدار القديم بالقرب من دجلة
من جهة وكتابات الاغريق التي نوهت بوقوع سد الميدين بالقرب من نهر الفرات
من الجهة الاخرى وقد خالف بعض الخبراء الرأي المذكور فرأى هؤلاء ان
الجدار الذي تقدم وصفه جدار مستقل يتصل بمشروع سد نمرود ولا علاقة له
بسور الميدين الذي يشغلي التحري عنه في مكان آخر . وقد اطلق هذا الفريق على
الجدار اسم (سور سيمير اميس) لتمييزه عن سور الميدين الذي كان يقع في
الجنوب ، وكان ويليم ويلكوكس من مؤيدي الرأي الاخير فكتب قائلاً :

﴿ ويشاهد اليوم في الجانب الايسر أن نهر دجلة في المكان (أي مكان
سد نمرود) حصن مهيب (ويقصد بذلك حصن القادسية) وعلى الجانب الاخر
سور سيمير اميس) الذي يسمى في بعض الخرائط خطأ سور الميدين وكانت تصون

هذه المباني جناحي سد نمرود وكان يرى ويلكوكس ان سور الميدين كان
يمتد بين الفرات ودجلة فيبدأ من قرب صدر نهر الصقلاوية الحالي فيسير نحو
عقر قوف ثم ينتهي الى دجلة جنوبي بغداد ، وكان هذا السور يحمي البابليين من
غارات الآشوريين كما كان يحميهم من عدوان الميدين في العهد الذي سبق
العصر الفارسي .



المراجع

- ١- بلدان الخلافة الشرقية تأليف لسترنج ترجمة بشير فر نسيس و كور كيس عواد
- ٢- ري سامراء في عهد الخلافة العباسية للدكتور احمد سوسة
- ٣- سامراء من منشورات مديرية الآثار العامة
- ٤- معجم البلدان ياقوت الحموي
- ٥- مروج الذهب للمسعودي
- ٦- الفن الاسلامي محاضرات كتبت باآلة الطباعة للدكتور
زكي محمد حسن
- ٧- تاريخ الطبري للطبري
- ٨- نزهة القلوب المستوفي
- ٩- تاريخ الدولة العباسية محمد الخضري
- ١٠- تاريخ الاسلامي السياسي الدكتور حسن ابراهيم حسن
- ١١- الكامل في التاريخ لابن الأثير
- ١٢- تاريخ العرب فيليب حتى
- ١٣- الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني

- ١٤ - الديارات للشابستي
- ١٥ - الرافدان سيمتو ن لويد ترجمة طه باقر وبشير فرانسيس
- ١٦ - مجلة المقتطف
- ١٧ - مجلة عالم الغد
- ١٨ - مجلة سامراء
- ١٩ - مجلة صوت الاسلام
- ٢٠ - مفصل جغرافية العراق طه الهاشمي
- ٢١ - مأساة هندسية او النهر المجهول الدكتور احمد سوسة
- ٢٢ - مجلة سومر
- ٢٣ - مجلة العراق الجديد
- ٢٤ - مجلة بغداد
- ٢٥ - آثار البلاد واخبار العباد للقزويني
- ٢٦ - احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم المقدسي
- ٢٧ - آراء وأحاديث في التاريخ والاجتماع للحصري
- ٢٨ - دائرة معارف البستاني
- ٢٩ - البلدان لليعقوبي
- ٣٠ - فتوح البلدان للبلاذري

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٥٢	تل العليق	٣	الاهداء
١٥٦	الزيارات والتنقيبات في سامراء	٥	المقدمة للاستاذ كوركيس عواد
١٥٨	الحفريات الأثرية في سامراء	٨	كلمة المؤلف
١٦٤	عدد حفريات سامراء	١١	موقع سامراء الجغرافي
١٦٧	الزخارف الجصية في سامراء	١٤	سامراء قبل الفتح العربي
١٧٦	الزخارف الخشبية « »	١٧	سامراء بعد الفتح العربي
١٧٨	تطور زخارف سامراء في العالم العربي	٢١	اسماء مدينة سامراء
١٨١	التصوير في سامراء	٢٥	سامراء عاصمة العباسيين
١٨٦	النقود العباسية في سامراء	٢٩	تراجم خلفاء بني العباس في سامراء
١٩٢	خزف سامراء	٤٠	شجرة الخلفاء العباسيين في سامراء
١٩٦	عدد صيانات آثار سامراء	٤١	الشوارع العباسية
٢٠٠	البيت العباسي في «	٤٩	المسجد الجامع الكبير
٢٠٢	مدينة المتوكلية	٧٨	دار الخليفة
٢٠٨	النهر الجعفري	٩٨	القصور العباسية في سامراء
٢٢٠	قناة المتوكل	١٤١	الديارات في سامراء
٢٣٢	البركة الجعفرية		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٩٤	اطلال المشرحات	٢٣٨	جامع ابي دلف
٢٩٩	الجسر العباسي	٢٤٣	كرخ سامراء
٣٠١	العمران في الجانب الغربي	٢٤٥	الدور
٣٠٤	قبة الصليبية	٢٤٧	حلبات السباق
٣٠٦	جسر حربي	٢٥٨	خير الوحوش للمتوكل
٣٠٩	معسكر الاصطبلات	٢٦٨	حصن القادسية
٣١٩	السور للمادي	٢٨٧	برج القائم
٣٢٦	المراجع	٢٨٩	تل الصوان

كلمة الختام

انتهي من طبع الجزء الاول من (تاريخ مدينة سامراء) وانا اعترف بان خير كتاب انتفعت به من المصادر الحديثة هو كتاب (ري سامراء) للدكتور احمد سوسة ، الذي يعتبر موسوعة عربية عن ري العراق وغيره وانا لا انكر بان معظم مادة كتابي مستقاة منه كما اني لا أنسى فضل الاساتذة الافاضل الذين ساعدوني باخراج الكتاب واطح بالذكر منهم الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني والاستاذ مير بصري والدكتور فوزي رشيد والاستاذ ميخائيل عواد والاستاذ حكمت توماشي والاستاذ بهنام ابو الصوف وجعفر الحسيني وغيرهم لا مجال لذكرهم داعياً المولى ان يوفقهم لكل خير آمين .

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني والفهارس تكون بالجزء الثالث

تم طبع الكتاب في مطبعة دار البصري ١/١٠٠٠

٤/ صفر / ١٣٨٨ - ١/٥ / ١٩٦٨

﴿ تاريخ سامراء ﴾

﴿ عواطف الاخ الشاعر السيد أنور عبد الحميد السامرائي ﴾

أحسنت في تأليف (سامراء)	(يا يونس) العزة والاباء
ياثاقب الفكر الذي شأوه	قد فاق من علم مدى الفضاء
ومبدع الآيات في نثره	وكاشف الاسرار للاحياء
ألفت (سامراء) في حكمة	مفاده من خالق السماء
أزلت عن تاريخها ستره	حتى بدا كمناصع الضياء
تبهج أرواح الورى بالذى	كان به من خالد العلاء
ويمنح الأنفس أعطاره	فنتشي من فضله المعطاء
خلدت (سامراء) في روعة	كتابك الفأخ بالاشداء
آنأ به تختمال (ملوية)	بما جنت منه من الثناء
والبركة الحسناء مواجهة	تزهو على كواكب الاجواء
وكل ما فيها من القصور والآ	يات والمفاخر السماء
لتفتخر مكتبتى فيه يا	(يونس) يا كاذب (سامراء)



فهارس الصور

العنوان	الرقم	العنوان	الرقم
من حفريات سامراء	١٩	الخليفة المتوكل على الله العباسي	١
النقود العباسية في سامراء	٢٠	منظر جوي لمدينة سامراء	٢
منظر جوي للقادسية	٢١	و جامع الملوية	
البيت العباسي في سامراء	٢٢	الشارع الاعظم	٣
بقايا جامع ابي دلف	٢٣	جامع الملوية قبل التعمير	٤
منارة جامع ابي دلف	٢٤	جامع الملوية بعد التعمير	٥
امام دور	٢٥	تل العليق	٦
زخارف جصية من سامراء	٢٦	تخطيط جامع الملوية	٧
الزخارف الخشبية في سامراء	٢٧	محراب جامع الملوية	٨
منظر جوي للمتوكلية	٢٨	دار العامة من جانب الشط	٩
تل الصوان	٢٩	دار العامة حسب رأي هرتسفلد	١٠
قبة الصليبية	٣٠	دار العامة حسب تخطيط فيوليه	١١
مخطط قبة الصليبية حسب رأي هرتسفلد	٣١	قصر بلكوارا او قصر المنقور	١٢
منظر جوي لمعسكر الاصطبلات	٣٢	جانب من قصر العاشق في سامراء	١٣
سور معسكر الاصطبلات	٣٣	بعد الصيانة	
برج القائم	٣٤	منظر جوي لقصر الكوبر	١٤
السور المادي	٣٥	محراب من سامراء	١٥
جسر حربي	٣٦	زخارف جصية من سامراء	١٦
		زخارف متحف سامراء	١٧

Schaich Junis hat uns in den Seiten dieses Buches die Beschreibung der Stadt und ihre ursprüngliche Geschichte vorgelegt. Ausserdem unterrichtete er uns über ihre Dekorationen während der Regierungszeiten von al - Mu'tasim und al - Mutawakkel und über ihre unbedeutende Rolle in den späteren Perioden .

Kein anderer Verfasser konnte einen Plan für eine solche Untersuchung darstellen, besonders was den Anteil der osmanischen und der letzten Perioden anbelangt .

Besondere Beachtung wird in der Bearbeitung den sozialen, wirtschaftlichen und kulturellen Seiten durch die verschiedenen Perioden ihrer Geschichte .

Ferner zog er die Chroniken und nie Biographien in Betracht .

Diese Untersuchung von Schaich Junis al - Samarra'i wird denjenigen angeboten, die besonders an der Geschichte dieses wichtigen Islamischen Zentrums interessiert sind .

Bagdad 1 / 5 / 1968
Dr. Fauzi Rashid

Die Geschichte von Samarra

130 Km nördlich von Bagdad liegt Samarra . Es nahm nach Bagdad für mehr als die Hälfte eines Jahrhunderts die Stelle als Residenzstadt des abbasidischen Kalifats ein . Heutzutage ist Samarra eine kleine Stadt innerhalb des Bagdad - Liwa und liegt am linken Ufer des Tigris .

Im Jahre 221 n . H (= 836 n . e .) gründete der abbasidische Kalif al - Mu' tasim der Sohn von Harun al - Raschid die Stadt Samarra . Sie liegt auf den Ruinen einer Stadt, die mit dem Namen " Surre - man - Ra ' a " benannt war .

Nach der Gründung bewohnte der Kalif al - Mu' tasim die neue Stadt und es folgten ihm in der Bewohnung von Samarra acht Kalifen bis zur Regierungszeit von al - Mu' tamid, der wieder Bagdad zu Residenzstadt machte .

Die heutige Geschichte unseres Landes beruht grundsätzlich auf der alten Geschichte von Samarra und den Regierungszeiten derjenigen Kalifen die von dort aus die Islamische Welt regierten .

Viele Mühe kostete den Verfasser die Bearbeitung dieses Buches . Seine historischen Quellen bestehen hauptsächlich aus den klassischen arabischen Werken wie der Geschichte des al - Tabari , Ibn al - Atir , Ibn al - Ja'qub , al - Mas'udi , al - Schabuschi usw . Ferner gebrauchte er in seiner Untersuchung ausländische Literatur wie Herzfeld und Guy le Strange usw . Das vorliegende Buch ist das Ergebnis einer Untersuchung, die neun Jahre dauerte und es bildet eine Zusammenfassung aller Perioden der Islamischen Geschichte .

que l'étude des mouvements politiques et religieux et des développements sociaux économiques et culturels . Des chroniques et des biographies inédites sont publiées pour la première fois .

Sheikh Yunis Al - Samarraï mérite tous nos éloges pour son œuvre savante , et nous ne doutons pas que les lecteurs y puiseront un fonds d'information intéressante .

Bagdad 1 / 5 / 1968

Meer Basri

Histoire de Samarra

Samarra ancienne Cite des Califes Abbassides ' qui a supplante Bagdad Comme siege du Califat islamique, pour une periode de plus de Cinquante ans , est a present une bourgade sur la rive gauche du Tigre , a une distance de 130 kilometres au nord de Bagdad . C' est un arrondissement de la province de Bagdad meme , dependant de l' administration de songouverneur .

La ville fut fondee par le Calife Abbasside Al - Mu ' tasim, fils du celebre Haroun Al - Rachid, en l ' an 221 de l ' Hegire, 836 de l ' ere chretienne, sur les ruines d ' une Cite antique nommee surra - Man - Ra'a . Al Mu ' tasim en fit sa capital , et , ainsi , la ville de Samarra vit se succeder sur le trone huit Califes , dont le dernier , Al - Mu ' tmaid retourna a Bagdad .

La presente Histoire traite des annales de samarra depuis ses debuts les plus recules et les regnes des Califes qui ont gouverne de ses palais splendides , le mond de l ' Islam .

L'auteur Sheikh Yunis Al - Samarrai, a prepare son oeuvre avec soin, se basant sur les sources classiques arabes , telles Histoires d ' Al - Tabari, Ibn Al - Athir , Al - Yaqubi , Al - Massoudi , Al - Shabushti, etc . , ainsi que les oeuvres des erudi ts europeens tels que Hertzfeld , Guy LeStrange et autres . Il a presente les resultats de ses recherches laborieuses de plus des dix annees dans ce volume qui relate les peregrinations d ' une ville depuis son origine et les splendeures des Califes Al - Mu ' tasim et Al - MutaWakkil Jusqu 'aux temps presents . Les renseignements relatifs aux periode Ottomanes recentes son d ' une importance speciale , ainsi

the peregrinations of this city, its origins its splendours during the reigns of Al . Mu ' tasim and Al . Mutawakkil , and its modest destiny in modern ages .

No other writer has been able to collect such a wide body of informations on Samarra, especially during the Ottoman and later periods ,

Special care has been devoted to the study of political and religious movements, as well as social, economical and cultural developments during the centuries and many unknown biographies and chronicles have been elucidated .

Sheikh Yunis Al . Samarra'i 's scholarly work is therefore recommended to all lovers of history and readers interested in the annals of an important Islamic Centre .

Baghdad 1 /5 /1968

Yusuf Yacub M_{ik}e .ny .

HISTORY OF SAMARRA

Samarra , the old city of the Abbasside Caliphs which supplanted Baghdad as the seat of the Caliphate for more than half a century is now a small town on the left bank of the Tigris River at a distance of 130 kilometres to the north of Baghdad . a sub-district in the province of Baghdad, it depends administratively of the Governor of Baghdad .

The town was founded by the Abbasside Caliph Al-Mu' tasim, son of the famous Haroun Al - Rashid ; in the year 221 A . H . , 836A.D . , on the ruins of an old city known as Surra . Man Ra'a .

Al - Mu' tasim moved his capital to the new city, and it remained the seat of eight Caliphs who succeeded him on the throne , until , finally Al . Mu ' tamid returned to Baghdad .

The present history deals with the annals of Samarra from ancient times and registers the reigns of the Abbasside Caliphs who governed the Islamic world from its precincts .

The author took great pains in preparing this book, relying on classical Arabic sources , e . g . the histories of Tabari , Ibn Al - Athir , Al - Yaqubi , Al . Mas'udi ' Al . Shabushti , etc . , as well as foreign books on the subject , e . g Hertzfeld , Gug Le strange , etc . His work is the result of ten years research wich covered practically the whole history of Islam .

Sheikh Yunis Al - Samarrai has presented to us in these pages

المؤلف في سطور

- * ولد سنة ١٩٣٤ م
- * دخل المدرسة الابتدائية وتخرج منها عام ١٩٤٧
- * دخل المدرسة العلمية الدينية في سامراء وتخرج منها عام ١٩٥٨
- و درس على كبار علماءها وحصل على الشهادة الدينية .
- * عين امام وخطيب في جامع القلعة بسامراء عام ١٩٥٨ .
- * اصدر اول مجلة في مدينة سامراء باسم (سامراء) عام ١٩٦٣ .
- * اصدر مجلة اخرى في بغداد باسم (صوت الاسلام) عام ١٩٦٤
- * انتقل الي بغداد حيث عين اماماً وخطيباً في جامع السامرائي في بغداد الجديدة عام ١٩٦٤ .
- * عين واعظ في بغداد الجديدة عام ١٩٦٦ .
- المؤلف عدة مؤلفات مطبوعة ومخطوطة .



HISTORY OF SAMARRA CITY

BY

Sheikh Yunis AL - Samarra - i

1388 .H - 1968

Price : One dinar

مطبعة دار البصري - بغداد تلفون ٨٩٢٧٩

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 074323070

